

**PAGES MISSING
WITHIN THE
BOOK ONLY**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190231

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No

٤٥, ٩٢٨

Accession No.

10926

Author

صفت، احمد زكي

Title

This book should be returned on or before the date
last marked below

جوهر خزان العرب

في عصور العرب الزاهرة

لشيخ الأول

العصر الحديث، عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صفوت

استاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

كل الحقوق محفوظة

بمطبعة : محمد بن عمران

۱۳۵۹

تفصیل

تفصیل
۱۳۵۹
تفصیل

تفصیل ۱۳۵۹

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلى
وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
• وبعد : فلا مراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها
مأجبات الله من ذلاقة اللسان ، وعذوبة البيان ، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم ،
وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتعدّ - بعد القرآن الكريم
والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحتذيه المتأدب
في تقويم قلمه المعوجّ ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك معين فياض
يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يعين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها
ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة مشورة في كتب الأدب والتاريخ ،
لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشتاتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تعرف صورة
الخطابة في عصر من العصور ، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية ، ألفت
الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفقت وقتا مديدا في التنقيب عن خطبه في

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب :

جمهرة رسائل العرب ، في عصور العربية الزاهرة

كى تكمل حلقة النشر العربى فى تلك العصور، إنه المستعان ، عليه توكلت
وإليه أنيب

أحمد زكى صفوت

حرر بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ م



فهرس

مآخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « الرابع - السابع - الثامن - الحادى
: عشر - الرابع عشر - الخامس عشر
صبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - الثانى
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « الثالث - الخامس - السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
العقد الفريد : لابن عبد ربه : « - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « - «
البيان والتبيين : للجاحظ : « - الثانى - الثالث
نهج البلاغة : للشريف الرضى : « - «
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول - الثانى
نجم الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « - «
جمهرة الأمثال : لأبى هلال العسكري : « - «
خزانة الأدب : لعبد القادر البغدادى : « - «

تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر بن : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

جريد الطبري : السادس :

تاريخ الكامل : لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب : للمسعودي : » » - الثاني

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : » »

المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء : » »

معجم البلدان : لياقوت الحموي : » الثامن

سيرة النبي ﷺ : لابن هشام : » الأول - الثاني

السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : » »

إعجاز القرآن : لأبي بكر الباقلاني :

بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور :

شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون :

لابن نباتة المصري :

أنباء نجباء الأبناء : لابن ظفر المكي :

الحاسن والأضداد : للجاحظ :

الشعر والشعراء : لابن قتيبة :

شرح قصيدة ابن عبدون : لابن بدرون :

بلوغ الأرب : للسيد محمود شكري : الجزء الأول - الثالث

الألوسي :

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

البَابُ الْأَوَّلُ

الخطبة الوصائية

في

العصر الحجري

اصلاح مرثد الخير

بَيْنَ سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مَيْثَمِ بْنِ مَثُوبٍ

كان مرثد الخير بن ينكف قبلاً ، وكان حديثاً على عشيرته ، محباً لصلاحهم ، وكان
سُبَيْع بن الحرث ^(١) ومَيْثَم بن مَثُوب بن ذى رُعَيْن تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ،
وخيف أن يقع بين حييها شرٌّ ، فیتفانى جذماهما ^(٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما
ليصلح بينهما ، فقال لهما :

[١] أخو علس ، وعلس هو ذو جدن .

[٢] الجذم : الأصل ، وكذا الجذر

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخَبُّطَ ^(١) وَامْتِطَاءَ الْمَهْجَاجِ ^(٢) ، وَاسْتِحْقَابَ ^(٣) اللَّجَاجِ ، سَيَقْفُكُمَا عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا ^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ ^(٥) ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَايَا أَمْرَكُمَا قَبْلَ انْتِكَاثِ ^(٦) الْعَهْدِ ، وَانْحِلَالِ الْعَقْدِ ، وَتَشْتِ الْأُلْفَةِ ، وَتَبَايُنِ السُّهُمَةِ ^(٧) ، وَأَنْتُمَا فِي فُسْحَةِ رَافِهِةٍ ^(٨) ، وَقَدَمِ وَاطِدَةٍ ^(٩) ، وَالْمَوَدَّةِ مُثْرِيَةٍ ^(١٠) ، وَالبُقْيَا مُمْرِضَةٍ ^(١١) ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : يَمْنُ عَصَى النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَعَ إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آتَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاَفُوا الْقُرُوحَةَ ^(١٣) قَبْلَ تَفَاقُمِ الدَّاءِ ^(١٤) ، وَاسْتِفْحَالَ ^(١٥) الدَّاءِ ، وَابْتِلَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ الدَّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، تَقَضَّبَتِ ^(١٦) عُرَى الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ ^(١٧) الْبَلَاءُ .

٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْعَلَاتِ ^(١٨) لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاءَةُ ^(١٩) ،

[١] التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشر خاصة ، أو السير على غير هدى . [٢] ركب فلان مهجاج (غير مصروف) ، ووهاج منبأ على الكسر : أى ركب رأسه . [٣] الاستحقاب : استفعال من الحقية أو من الختاب ، فأما الحقية ، فما يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : بریم تشد به المرأة وسطها (والبریم خيط فيه لوانان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احترم بالهجاج أو جعله في وعائه . [٤] التورد : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . [٥] الأصل . [٦] انتقاص : (والأنكاث جمع نكت ، وهو ما نقض من الجبال ليعاد ثانية) . [٧] القراية : [٨] ناعمة من الرهاية . [٩] ثابتة . [١٠] متصلة . [١١] ممكنة قد أمكنت من عرضها ، أى من جنبها وناحيتها ، يقال قد أعرض لك الطي فارمه ، أى أمكك من عرصه . [١٢] طافية . [١٣] الجرح . (١٤) كالسعي والثرى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . [١٥] اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفعل . [١٦] تقطعت . [١٧] من بابي فرح ولصر . [١٨] العلة : الصرة ، وبو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، (والأخفاف : من أمهم واحدة والآباء شتى) . [١٩] جمع آس ، وهو الطيب .

وَلَا تَشْفِيهِمُ الرُّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ^(١) بِهَا الْكُفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ
الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْدِنَا هُوَ لَا ، أَنَا لَهُمْ رِذِيَّةٌ^(٢) إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا
أَجْدَبُوا ، وَعَضُدٌ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْزَعٌ إِذَا نَكَبُوا ، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأُمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ «

٣ - مقال ميثم بن ميثوب

فَقَالَ مَيْثَمُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ مَنْ نَفَسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الزَّعَامَةَ ، وَجَدَبَهُ^(٣)
فِي الْمَقَامَةِ^(٤) ، وَأَسْتَكْثَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا^(٥) بِالْمَلَامَةِ ،
وَمُؤَنِّبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بَيْدًا إِلَّا وَقَدْ نَاهَهُمْ مِنَّا
كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا
يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلُّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرِّوَاهَا^(٦) ، وَنَحْنُ بَنُو فَحْلٍ
مُقَرَّمٌ^(٧) ، لَمْ تَقْعُدْ بِنَا الْأُمَهَاتُ وَلَا بِهِمْ ، وَلَمْ تَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ السُّوءِ وَلَا إِيَاهُمْ ،
فَعَلَامَ مَطَّ^(٨) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعِيُونِ^(٩) وَالْجَخِيفُ^(١٠) وَالتَّصَعُّرُ ، وَالْبَاؤُ
وَالْتَّنَكُّبُ ؟ الْكَثْرَةُ عَدَدٌ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لِطُولِ مُعْتَقَدٍ^(١١) ؟ وَإِنَّا
وَإِيَاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي^(١٢)
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ^(١٣) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ^(١٤) «

[١] تنهض بها وتحملها . [٢] عون . [٣] عابه . [٤] المجلس . [٥] حليفاً .
[٦] مثلها . [٧] الفرم : السيد ، وأقرمه : جعله قرماً . [٨] مدّة . [٩] الحرر أن
ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليتحاررلى : إذا نظر إليه بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .
[١٠] التكبر ، وكذا البأو . [١١] اعتقد ضيعة ومالا : اقتناها . [١٢] لا : أراد الله ، فحذف
اللام الحافضة اكتفاءً بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتخزونى : تسوسى . [١٣] مهلكة .
[١٤] مسطرة وغفران .

٤ — مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ : « لَا تُنْشِطُوا ^(١) عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْمُؤَنَ
الْقَوَاعِدَ ^(٢) ، وَلَا تُورِّثُوا ^(٣) نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمَثَلَةُ الْمُسْتَاوِلَةُ ،
وَالْجَائِمَةُ ^(٤) وَالْأَلِيلَةُ ^(٥) ، وَعَفَّوْا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادَ ^(٦) الْكَلَمِ ، وَأَنْدَبُوا إِلَى
السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبَلُ بِزَبْرِجٍ ^(٧) الْغُرُورِ ،
وَتُدَبَّرُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةٍ حَبَوْتُ بِهَا مِنْ سُبَيْعَا وَمِثْمَا
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ عَوَاقِبُهُ لِلذَّلِّ وَالْقُلِّ جُرْهُمَا
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ أَنْ تَتَهَدَّمَا ^(٨)
وَلَا تَجْنِيَا حَرَابًا تَجْرُ عَلَيْكَمَا عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَامَا
فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ تُفَوِّقُهُمْ مِنْهَا الدُّعَافُ الْمُقَشَّمَا ^(٩)
حَذَارٍ ، فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنَّهَا تَغَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمَ مُكَشَّمَا ^(١٠)
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبَلُ نَصِيحَتَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّارَ ^(١١)
وَنَحْلُلُ الضَّغَائِنَ ، وَنَتَوَبُّ إِلَى السَّلَامِ .
(الامالى ١ : ٩٢)

[١] نشط العقدة عقدها ، وأنشطها حالمها ، والعقل ككتب جمع عقول ، وهو الحل .
[٢] هو مثل ، وأصله في الإيمل ، يقال : لقيت الناقة إذا حملت ، وألفحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا
للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع حوان ، وهو الثيب . يقال للحرب حوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة .
[٣] تدكوا . [٤] الاستئصال . [٥] الشكل . [٦] الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالدويع)
جمع ندب) . [٧] السحاب الذي تسفره الريح . [٨] التابه . [٩] تفوقهم : تسقيهم الفواق
(وهو ما بين الحلبين) والدعاف : السم أو سم ساعة (وسم ذعاف) والمقشم : المخلوط .
[١٠] هو مثل ، أى لا تخرجوا نبيتها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرته : يريد لا تثيروا الحرب . وكشما :
مقطوعاً . [١١] العداوة والشقاء .

٥ - طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير

اجتمع طريف بن العاصي الدوسي ، والحرث بن ذبيان (وهو أحد المعمرين) عند بعض مقاول ^(١) حمير ، فتفاخرا . فقال الملك للحرث : يا حارث ، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيها الملك . خرج هجينان ^(٢) منا يرعيان غنماً لهما ، فتشاولا ^(٣) بسيفيهما ، فأصاب صاحبهم عقبَ صاحبا ، فمات ^(٤) فيه السيف ، فزف ، ^(٥) فمات ، فسألونا أخذ دية صاحبا دية الهجين ، وهي نصف دية الصريح ^(٦) ، فأبى قومي ، وكان لنا رباه ^(٧) عليهم ، فأيننا إلا دية الصريح ، وأبوا إلا دية الهجين ، فكان أسم هجيننا ذهين بن زبراء ، وأسم صاحبهم عنقش بن مهيضة ، وهي سوداء أيضاً ^(٨) ، فتفاقم الأمر بين الحيين ، فقال رجل منا :

حُلومكم يا قوم لا تُعزِبُنَّها ولا تقطعوا أرحامكم بالتدابِرِ ^(٩)
وأدُّوا إلى الأقوام عقلَ ابنِ عمهم ولا تُرهقوهم سُبَّةً في العِشارِ ^(١٠)
فإنَّ ابنَ زبراء الذي فاذَ لم يكن بدون خليفٍ أو أسيدٍ بن جابر ^(١١)
فإن لم تُعاطوا الحقَّ فالسيف بيننا وبينكم ، والسيف أجور جائر

[١] جمع مقول ، والمقول والقليل هو الذي دون الملك الأعظم . [٢] الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرب : الذي أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) .
[٣] تفاخرا . [٤] أسد . [٥] نزع الرجل إذا سال دمه حتى يصعب . [٦] الصريح : الحالس النسب . [٧] زيادة . [٨] كذا في الأصل ، ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، فلعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » . [٩] لا تبعثها - وأعرب بعد وأبعد . [١٠] العقل : الدية ، يقال : عقلت فلاناً إذا غرمت ديتيه ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جايته . وأرهقته عسراً : كاذبه ذلك . [١١] فاذ يفرد : مات (وفاد يفيد : تبخر) .

تظافروا^(١) علينا حسداً ، فأجمع ذوو الحِجَى منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد ،
لحقنا بالنمر بن عثمان ، فوالله ما فت^(٢) في أعضادنا ، فأبذاعنهم ، ولقد أثأرنا^(٣)
ساحبنا وهم راغمون .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :
تالله ما سمعتُ كالיום قولاً أبعد من صواب ، ولا أقرب من خطل^(٤) ،
ولا أجلب أقذع^(٥) ، من قول هذا ؛ والله أيها الملك ماقتلوا بهجينهم بدجاً^(٦) ، ولا
رقوا به درجاً ، ولا أنطوا^(٧) به عقلاً ، ولا اجتفتوا^(٨) به خشلاً^(٩) ، ولقد
أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلهم ، حتى أمستلوا خشونة الإزعاج ،
ولجئوا إلى أضيق الولا^(١٠)ج : فلا وذلاً .

فقال الحرث : أسمع يا طريف ، إني والله ما إخالك كافاً غريب^(١١) لسانك ،
ولا مُنهنها^(١٢) شرة نروانك ، حتى أسطوبك سطوبة تكف طماحك ، وترد
جماحك ، وتكبت تثرعك^(١٣) ، وتقمع تسرعك .

فقال طريف : مهلا يا حرث ، لا تعرض لطخمة^(١٤) استيناني ، وذرب^(١٥)
سناني ، وغرب شبابي ، وميسم^(١٦) سبابي ، فتكون كالأظل^(١٧) الموطوء ،
والعجب الموجوء^(١٨) .

[١] تظافروا . [٢] أرهن وأضعف . [٣] أثارت : أدركت منه تأري (وأصله اثأر) . [٤] خطأ .
[٥] الكلام المبيح ، أقذع له إذا أسعته كلاماً قبيحاً . [٦] البذج : الحروف ، فارسي . عرب .
[٧] لمة في أعطوا . [٨] صرخوا . [٩] الحشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد
أنهم لم يبالوا تأره . [١٠] الولا^(١٠)ج الباب ، وجمعه الولا^(١٠)ج ، وهي أيضاً النواحي والأزقة . [١١] غرب الشيء حده .
[١٢] نهنه عن الأمر فتنه كفه وزجره مكف ، والشرة : الحدة ، والنزوان : الوثوب . [١٣] التثرع
إلى الشر . [١٤] طخمة السيل دفننه ، واستن الفرس قص وعدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين ،
والاستنان النشاط ، استن الفرس حرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة . [١٥] الثرب الحدة ،
وكذا العرب . [١٦] المكواة . [١٧] الأظل : أسفل حت المعبر . [١٨] المعجب : أصل الذنب
والموجوء المدفوق (من وجأ النيس : دق عروق خصيه بين حجرين ولم يخرجهما ، شبيهاً بلحصاء) .

فقال الحرث: إياي تخاطب بمثل هذا القول؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتُكَ^(١)،
ولو وَهَضْتُكَ^(٢) لَأَوْهَطْتُكَ^(٣)، ولو نَفَخْتُكَ^(٤) لَأَفَدْتُكَ.

فقال طريف متمثلاً:

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَسَكَ النَّبْلُ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
أَمَّا وَالْأَصْنَامُ الْمُحْجُوبَةُ، وَالْأَنْصَابُ^(٥) الْمَنْصُوبَةُ، لَنْ لَمْ تَرْبِعْ عَلَى ظَلَمِكَ^(٦)،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ، لَأَدْعَنَّ حَزَنُكَ مَهْلًا، وَغَمْرُكَ ضَحْلًا^(٧)، وَصَفَاكَ^(٨) وَحَلًا.
فقال الحرث: أَمَا وَالله لو رُمْتُ ذَلِكَ لَمُرُغْتَ بِالْحَضِيضِ^(٩)، وَأُغْصِضْتُ
بِالْجَرِيضِ^(١٠)، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ، وَلَا لَفِيَتْ
لَتِّي^(١١) تَهَادَاهُ الرُّوَامِسُ^(١٢)، بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ^(١٣).

فقال طريف: دون ما ناجتكَ به نَفْسُكَ، مُقَارَعَةً أَبْطَالَ، وَحِيَاضُ
أَهْوَالَ، وَحَفْزَةً^(١٤) إِنْجَمَالَ، يُنَمِّعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِمْنَالِ.
فقال الملك: إِيهَا^(١٥) عَنْكُمَا، فَمَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا^(١٦)،
وَلَمْ يَثْلِبَا^(١٧)، وَلَمْ يَلْصُقُوا^(١٨)، وَلَمْ يَقْفُوا^(١٩). (الأمل ١ : ٧٣)

[١] أساخه: جعله يسبح (أو يسوخ في الأرض) أي يغوس. [٢] كدركك. [٣] صرعتك صرعة لا تقوم منها. [٤] نفحه بسيفه: تناوله. [٥] الأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيها ويذبح لغير الله تعالى، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله جمع نصب، وقيل النصب جمع لصاب. [٦] ربع يربع: كف، وظلم ظلمًا غمز في منيه، واربع على ظلمك أي إلك ضعيف فاته عما لا تطيقه وكف. [٧] الغمر: الماء الكثير، والمحل: الماء القليل (وكذا الضحاح). [٨] الصفا جمع: صفاة وهي الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو. [٩] أسفل الجبل. [١٠] الجريض: الفصصة من الجرض، وهو الربق ينقص به يقال جرض بريقه يجرض انتلعه بالجهد على هم وحزن، وفي المثل: حل الجريض دون القريص، يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع. قاله جوشن الكلبي حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزناً حتى أشرف، فرق له وقال انطق بما أحببت، فقال ذلك. [١١] اللقي: المطروح. [١٢] الروامس: الرياح التي ترمس أي تدفن. [١٣] المستوى من الأرض، والطامس: الدارس (كالطاسم). [١٤] الحفر: الدفع. [١٥] إِيهَا: كلمة زجر بمعنى حسبك (وإيه. أمر. كلمة استزادة واستنطاق). [١٦] لم يقصبا. قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطر. [١٧] ثلبه: طابه. [١٨] لماء: قذفه. [١٩] قماه: قذفه بأمر عظيم.

٦ — منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لَمَّا أَسَنَ أَبُو بَرَاءَ : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ، تنازع في
الرِّياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ
الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ .

فَقَالَ عَلَقَمَةُ : كَانَتْ لِحْدِي الْأَحْوَصُ ، وَإِنَّمَا صَارَتْ لِعَمَلِكِ بِسَبَبِهِ ، وَقَدْ
قَعَدْتُ عَمَلِكِ عَنْهَا ، وَأَنَا اسْتَرْجَعْتُهَا ، فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَشَرِيَّ^(١) الشَّرُّ بَيْنَهُمَا ،
وَسَارَا إِلَى الْمَنَافَرَةِ . فَقَالَ عَلَقَمَةُ : إِنْ شِئْتُ نَافَرْتُكَ ، فَقَالَ عَامِرٌ قَدْ شِئْتُ .
وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْرُمُ مِنْكَ حَسَبًا^(٢) ، وَأُثْبِتُ مِنْكَ نَسَبًا ، وَأَطُولُ مِنْكَ قَصَبًا^(٣)
فَقَالَ عَلَقَمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَنَا خَيْرُ مِنْكَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ لَا أَنَا أَحَبُّ
إِلَى نِسَائِكَ أَنْ أَصْبِحَ فِيهِنَّ مِنْكَ ، أَنَا أَنْحَرُ مِنْكَ لِلْقَاحِ^(٤) ، وَخَيْرُ مِنْكَ فِي
الصَّبَاحِ ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ فِي السَّنَةِ الشَّيَاحَ^(٥) .

فَقَالَ عَلَقَمَةُ : أَنَا خَيْرُ مِنْكَ أَثَرًا ، وَأَحَدُ مِنْكَ بَصَرًا ، وَأَعَزُّ مِنْكَ نَفَرًا ،
وَأَشْرَفُ مِنْكَ ذِكْرًا . فَقَالَ عَامِرٌ : لَيْسَ لِبَنِي الْأَحْوَصِ فَضْلٌ عَلَى بَنِي مَالِكٍ فِي
الْعَدَدِ ، وَبَصَرِي نَاقِصٌ ، وَبَصَرُكَ صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكٌ ، إِنِّي أَشْمَى مِنْكَ
سُمَّةً^(٦) ، وَأَطْوَلُ مِنْكَ قِمَّةً ، وَأَحْسَنُ مِنْكَ لِمَةً^(٧) ، وَأَجْعَدُ مِنْكَ جُمَّةً^(٨) ،

[١] استطار . [٢] الحسب : ما تده من مفاخر آبائك ، أو الشرف الثابت في الآباء أو الكرم
أو الشرف في الفعل أو الفعال الصالح . [٣] القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوها كناية عن طول
قامته . [٤] الابل : واحدها لقوح . [٥] الشياح : القعط . [٦] السمة : القرابة ،
ويروى أنا أشرف منك أمة ، أي أكثر قوما . [٧] اللمة : للشعر المحاوز شحمة الأذن .
[٨] مجتمع شعر الرأس

وَأَسْرَعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وَأَبْعَدُ مِنْكَ هِمَّةً . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : أَنْتَ رَجُلٌ جَسِيمٌ ، وَأَنَا رَجُلٌ قَصِيفٌ ^(١) ، وَأَنْتَ جَمِيلٌ ، وَأَنَا قَبِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ بَابَائِي وَأَنْعَمَائِي . فَقَالَ عَامِرُ : أَبَاؤُكَ أَعْمَامِي ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَنَا فَرَكُ بِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ عَقَبًا ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ جَدًّا . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ عَقَبًا ، وَقَدْ أَطْعَمْتَ طَبِيبًا ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ ، إِنِّي خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأُولَى بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ .

فَخَرَجَتْ أُمُّ عَامِرٍ - وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا - فَقَالَتْ : يَا عَامِرُ نَافِرُهُ ، أَيُّكُمَا أُولَى بِالْخَيْرَاتِ . قَالَ عَامِرُ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا زَكَبُ مِنْكَ فِي الْحِمَاةِ ، وَأَقْتُلُ مِنْكَ لِلْكُفَاةِ ^(٢) ، وَخَيْرٌ مِنْكَ لِلْمَوَالِي وَالْمَوَالَاةِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي كَبَرْتُ ، وَإِنَّكَ لِفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلَدٌ ، وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ ^(٣) ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَادِرٌ ، فَقِيمٌ تُفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا نَزَلَ مِنْكَ لِلْقَفَرَةِ ^(٤) ، وَأَنْتَ خَرٌ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ ^(٥) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ ^(٦) ، وَأَطْعَنُ مِنْكَ لِلشُّغْرَةِ . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصَرِ ، نَكِيدُ النَّظَرَ ، وَثَابُ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدَاغٍ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنَا فَرَكُ بِخَيْرِنَا وَأَقْرَبِنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرُ : عَيْرٌ ^(٧) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّنَا نَفَرٌ

[١] نحيف من القصف ، وهو النحافة . [٢] جمع كمي ، وهو التمتع . [٣] رجل عامر

لم يولد له ولد . [٤] القفرة : القفر . الحلاء من الأرض . [٥] البكرة : الفتية من الإبل .

[٦] الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطعه قطعاً كباراً ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة .

[٧] العير : الحمار وغلب على الوحشي ، وهو أقوى من التيس ، أي مثلي وإياك كالعير والتيس ، أر على

الأقل كالتيس والعنز إذ التيس أقوى على النطاح من العنز ، وفي المثل : « كان عنزا فاستنيس » أي صار

تيساً . يضرب للذليل الضعيف يصير عزيزاً توباً .

عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنًا من أبنائهم على يد رجل يُقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد ، فسمى « الضمّين » .

وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئًا ، وكره ذلك لخالهما وحال عشيرتهما ، وقال أنما كركبتى البعير الأذرم^(١) ، قالاً : فأينا اليمين ؟ قال كلا كما يمين ، وأبى أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما - وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش - فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئًا ، فأتيا غيلان بن سلمة الثقفي ، فردّهما إلى حرمة بن الأشعر المزي ، فردّهما إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري ، فانطلقا حتى نزلا به ، وقد ساقا الإبل معهما حتى أشدت وأزبعت ، لا يأتیان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما ، فقال هرم : لعمرى لأحكمن بينكما ثم لأفصلن ، فأعطيانى موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، وأقام القوم عنده أياماً .

فأرسل هرم إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة ، فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رأياً ، وأن فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك ، أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه ! فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوالله لئن

[١] درم العظم : واره اللحم حتى لم ين له حجم ، وامرأة درماه لاستين كموها ومراقها ، وكل ماغطاه اللحم واللحم وحنى حجمه فقد درم .

فعلت لا أفليح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزئها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلا ، فسوّ بيني وبينه ، قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينقره ^(١) عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر ، فأتاه ، وقال له مثل ما قال عامر ، فرد عليه علقمة بما رد به عامر ، وانصرف وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً . ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قاتل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر ، فلينجرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، ينجرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، وأصبح هرم فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأتما كركبتى البعير الأدرم : تقعدان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ماليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، وعهد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحداً ، نهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شراً .

(الأغانى ١٥ : ٥١ ، وصح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح البيون ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨)

أشرف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى ^(٢) للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متواليّة رؤساء ، ثم انصل ذلك بكامل الرابع ، فالبيت من قبيلته فيه ، ويدنس إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة ابن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذى الجدين ، وآل الأشعث بن قيس بن كِنْدَة ،

[١] أنقره عليه ونقره عليه : قضى له عليه بالنبلّة .

[٢] هو كسرى أبو شروان حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأُتعد لهم الحكام والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان السن القوم ، فقال :

٧ - مقال حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعظم ، ومأثرة^(١) للصنيع الأكرم ، فقال من حواه : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فزارة بيت العز ، والعز فيهم	فزارة قيس ، حسب قيس نضالها
لها العزة القمساء والحسب الذي	بناه لقيس في القديم رجالها
فهيئات قد أعي القرون التي مضت	مآثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد إن هز يوماً بكفه	إلى الشمس في تجرى النجوم ينالها
فإن يصلحوا يصلح لذلك جميعها	وإن يفسدوا يفسد من الناس حالها

٨ - مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرايته من النعمان بن المنذر - فقال : قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وإنا إغياث الكروب ، ومعبد المكرمات ، قالوا : ولم يا أخا كندة ؟ قال : لأننا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأفيائهم^(٢) ، وتقلدنا منكبهم الأعظم ، وتوسطنا بمحبوحتهم الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا وجدت لنا فضلا على من يفاخر

[١] الأثرة بالفتح والعم : المكربة التوارثة . [٢] جمع فيء وهو ما كان شمساً بينه والطل .

فَمَنْ قَالَ كَلًّا ، أَوْ أَنَا بِمُحْطَةٍ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَتَحْنِ نَخَاطِرَ
تَعَالَوْا قَهْوَا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيْنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكْبَرُ

٩ - مقال بسطام الشيباني

ثُمَّ قَامَ بِسْطَامُ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَا بُنَاةُ بَيْتِهَا الَّذِي
لَا يَزُولُ ، وَمَنْعَرَسُ عِزِّهَا الَّذِي لَا يَحُولُ ، قَالُوا وَلِمَ يَا أَخَا شَيْبَانَ ؟ قَالَ لِأَنَّا
أَذْرَكْنَاهُمُ لِلنَّارِ ، وَأَضْرَبْنَاهُمُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَأَفْوَمْنَاهُمُ لِلْحَكَمِ ، وَأَلْدُّنَاهُمُ لِلْخُجْمِ ،
ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ ، فَقَالَ :

لَعَمْرِي بِسْطَامٍ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا	وَأَوَّلُ بَيْتِ الْعِزِّ عِزُّ الْقَبَائِلِ
فَسَائِلُ - أَيْتِ اللَّعْنِ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا	إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلِ ^(١)
أَلَسْنَا أَعَزُّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً	وَأَضْرَبْنَاهُمُ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ^(٢)
وَقَائِعُ غُرٍّ كُلُّهَا رَبْعِيَّةٌ	تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمَحَافِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا	وَعَادَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلِ ^(٣)
وَلِإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ	إِذَا تَزَلَّتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

١٠ - مقال حاجب بن زرارة

ثُمَّ قَامَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيُّ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ مَعْدُّ أَنَا فَرَعٌ^(٤) دِعَامَتِهَا ،
وَقَادَةُ زَحْفَتِهَا ، قَالُوا : وَلِمَ ذَاكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، قَالَ : لِأَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا ،
وَأَنْجَبُهُمْ طُرًّا وَلِيْدًا ، وَأَنَا أَعْطَاهُمُ لِلْجَزِيلِ ، وَأُحْمَلُهُمُ لِلنَّقِيلِ ، ثُمَّ قَامَ
شَاعِرُهُمْ ، فَقَالَ :

[١] أَيْتِ اللَّعْنِ : تَحِيَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَيْ أَيْتِ أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا تَلْعَنُ عَلَيْهِ . وَالْمُنَاقَلَةُ فِي الْمَطْنِ : أَنْ تَحْدُثَ
آخِرُ وَيَحْدُثُكَ . [٢] الْكَبْشُ : سَيِّدُ الْقَوْمِ وَفَائِدَتُهُمْ . [٣] لَاجِئٌ ، مَنْ وَالَّ إِلَيْهِ يَتُّلُّ وَالَّا .
[٤] نَوْعُ كُلِّ شَيْءٍ : أَعْلَامُهُ .

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العز قدما في الخطوب الأوائل ^(١)
 وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
 فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذي فعال ونائل ^(٢)
 فسائل (أيتت اللعن) عنا فانا دعائم هذا الناس عند الجلائل ^(٣)

١١ - مقال قيس بن عاصم السعدى

ثم قام قيس بن عاصم السعدى ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في
 المكرمات دعائم ، وأثبتهم في النائبات مقادير ، قالوا : ولم ذاك يا أبا بني سعد ؟
 قال : لأننا أذكرهم للشار ، وأمنعهم للجبار ، وأنا لا ننكل ^(٤) إذا حملنا ،
 ولا نرام إذا حللنا ، ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيس وخندف أننا وجل تميم والجميع الذى ترى ^(٥)
 بأننا صماد في الأمور وأنا لنا الشرف الضخم المركب فى الندى
 وأنا ليوث الناس فى كل مازق إذا جز بالبيض الجماجم والطلا ^(٦)
 فمن ذا اليوم الفخر يعدل عاصما وقيسا إذا مرت ألوف إلى العلا
 فهيهات قد أعيا الجميع فعالمهم وقاموا يوم الفخر مسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حبياءهم ،

وأعظم صلاتهم ، وكرم ما بهم . (صح الأعشى ١ : ٣٧٧)

[١] خندف : هى أم مدركة وطابخة وقعة أبناء الياس بن مصر بن نزار بن معد بن عدنان .

[٢] المعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم . [٣] أى الأمور الجلائل جمع جليلة .

[٤] لا مكس ولا نجين . [٥] قيس بن هيلان بن مصر . [٦] الطلا : جمع طليقة ،

وهى العنق .

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزّة الملك - يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفيتها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نحوا من ذلك في حكمتها وطبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أسجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسياتها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها ملكاً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرّيف ^(١) والثمار والحصون ، وما هورأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصيمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلتها ، وصغر همتها تحمّلهم ^(٢) التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، وبأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به ناعمهم لحوم الابل ، التي يعافها كثير من السباع ، لنقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدّها مكربة ، وإن أطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه النوحية التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فخرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لهذا مع ذلك آثاراً ولَبُوساً ^(٣) ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الدّلة والقِلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن

[١] الرّيف : أرض فيها زرع وخصب ، والسّعة في المأكل والمشرب . [٢] حل المكان وبه يحل
الكبير والغنم . [٣] الدرع . .

تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . ^(١) حَقٌّ ^(١) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندى جواباً في كل ما نطق به الملك ، في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتنى من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

١٢ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تنازع في الفضل ، أو ضمه الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلها ، وبجُبُوحَة عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأم التي ذكرت ، فأى أمة تقرّئها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بيزّها ، ومنعتيها ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخائتها ، وحكمة أسنتها ، وشدة عقولها ، وأنقتها ، ووفائها . فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترك المشوّهة ، والروم المقشّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم ليُسأل عن وراء أبيه دُنْيَا ^(٢) ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فاباً ، حاطوا بذلك

[١] حق لك أن تفعل كذا وحقت أن تفعله بمعنى . [٢] هو ابن عمي ديباً بعم المال وكسرهما مع الدوين ، وكسرهما لا تنون : أى لما .

أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أُنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاوُهَا ، فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالنَّابُ^(١) ، عَلَيْهَا بَلَاغُهُ^(٢) فِي حُمُولِهِ^(٣) وَشِبَعِهِ وَرِيَّةٍ ، فَيَطْرُقُهُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَنِي بِالْفِلْذَةِ^(٤) ، وَيَحْتَرِي بِالشَّرْبَةِ ، فَيَعْقِرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنُ الْأُحْدُوثَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَهُ وَوزَنَهُ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ ، وَضَرْبِهِمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ ، مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْنَاسِ ، ثُمَّ خِيَلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنَسَاوُهُمْ أَغْفَ النِّسَاءِ ، وَإِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ الْإِبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ^(٥) ، وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا مَسْفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بِلَدٌ قَفَرٌ .

. وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِهِ بَدِينَهُ أَنْ لَهُمْ أَشْهَرًا حَرَمًا ، وَبِلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مُحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ ، فَيَلْتَقِي الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِذَاثِهِ ، وَإِدْرَاكَ رَغْمِهِ^(٦) مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

[١] الناقة : المسنة . [٢] البلاغ : السكمانية . [٣] الحمول والأحمال جمع حمل . [٤] القطعة من الشيء . [٥] الجرع ويكسر الحمر، ليماني الصبي ، فيه سواد وياض ، تشبه به العيون . [٦] الدال .

وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُؤَمِّئُ الإيماءة ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة ، لا يَحْمِلُهَا إِلَّا خُروج نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رَهْنًا بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَغْلِقُ^(٢) رَهْنُهُ ، وَلَا تُخْفَرُ^(٣) ذِمَّتُهُ ، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفْنِيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفْنِيَ قبيلته ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُخْدِثُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَتَذَوَّنَ أولادهم ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ من يَفْعَلُهُ منهم بالإِثْناء أَنْفَةً من العار ، وَغَيْرَةٍ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إِلَّا احتقاراً لها ، فَعَمَدُوا إلى أجلاها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أَكْثَرُ البهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ، وَأَرْقَاهَا ألباناً ، وأقلها غائلة^(٤) ، وأحلاها مَضْنَةً ، وإنه لا شئ من اللُّحْمَانِ يُعَالِجُ مَا يُعَالِجُ به لحمها إِلَّا أَسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذلك من يَفْعَلُهُ من الأُمِّ إِذَا أُنِسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت نُهْوضَ عدوّها إليها بالزحف ، وإنه إِنَّمَا يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سائر غيرهم ، فَيُلْقُونَ إليهم أمورهم ،

[١] عهد . [٢] غلق الرهن : استحققه المرتبن ، وذلك إِذَا لم يَفْتَك في الوقت المشروط .

[٣] خف به وأخفزه : نقض عهده وغدره . [٤] شراً :

وينقادون لهم بأزمتههم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث^(١) بالعسف .
وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدّ الملك إليها الذي^(٢) أتاه ، عند غلبة الحبش له ، على ملك مُدَسِّقٍ ، وأمر مجتمع ، فأُتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وُثِّرَ به مَنْ يابيه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، وينغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لاهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساه من كسوته ، وسرّحه إلى موضعه من الحيرة .
فلما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين^(٣) أمرهم ، بعث إلى أكتّم بن صيّفٍ ، وحاجب بن زُرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عبّاد ، وقيس بن مسعود البكري ، وإلى خالد ابن جعفر ، وعالمقة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريّين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المرّي .
فلما قدموا عليه في الخورنق ، قال لهم : قد عرفتُم هذه الأعاجم ، وقُرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوّفت أن يكون لها غورٌ ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً ، كبعض طماطمته^(٤) ، في تأديتهم الخراج إليه^(٥) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقصص عليهم مقالات

[١] الوطث : العرب الذين يد بالرجل على الأرض . [٢] هو سيف بن ذي يزن . [٣] تنبيج واستهجان ، والهجة من الكلام ما يبييه . [٤] رجل طمطم وطمطي « بكسر الطاءين » وطمطمز « سمها » : في لسانه عجمة . [٥] كان الفرس ينفون عرب الحيرة من دفع الأتوة مقابل أن يقوموا بحمايتهم من كل غارة من نواحيهم .

كسرى ، وما ردّ عليه ، فقالوا: أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حججته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعزّزت بمكانكم ، وما يتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبّ إلىّ مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كلّ رجل منكم بما حضره ، ايعلم أن العرب على غير ما ظنّ ، أو حدّثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، متّرف ، معجّب بنفسه ، ولا تنخزلوا ^(١) له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثافة حلومكم ، وفَضْلُ منزلاتكم ، وعظيم أخطاركم ، وايكن أوّل من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي ، ثمّ تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، علمي بميل كلّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجدّ في آدابكم مطعنا ، فإنه ملك متّرف ، وقادر مُسَاط ، ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلال الملوك ، كل رجل منهم حلة ، وعمّنة عمامة ، وخِثْمَةٌ يافوثة ، وأمر لكلّ رجل منهم بنجبية مَهْرِيَّة ^(٢) وفرس نجبية ، وكتب معهم كتابا : « أما بعد : فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتة بما قد فهم ، مما أحبت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجّج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بمملكته ، وحمّت ما يليها بفضل قوّتها ، تبلغها في شيء من الأمور ، التي يتعزّز بها ذوو الحزم والقوّة والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت أيها

[١] الانخزال : مشية في تناقل . [٢] النجيب : البعير والفرس إذا كانا كريهين عتيقين ، والمهرية :

نسبة إلى مهرة بن حيدان ، هي تنسب إليه الإبل النجبية .

الملك رهطا من العرب، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم،
فليسمع الملك، وليغْمِضْ عن جفاء إن ظهر من منطقهم، وليكرمني بإكرامهم،
وتعجيل سراحهم، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم» .

نخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب
النعمان فقراه، وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم، فلما أن كان
بعد ذلك بأيام، أمر مرزبانته^(١) ووجوه أهل مملكته، فحضرُوا وجلسوا على
كراسي، عن يمينه وشماله، ثم دعا بهم على الولاء^(٢) والمراتب التي وصفهم النعمان
بها في كتابه، وأقام الترجمان^(٣) أيؤدى إليه كلامهم، ثم أذن لهم في الكلام .

١٣ — خطبة أكتم بن صيفي

فقام أكتم بن صيفي فقال :

« إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعا،
وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب
مهوأة، والشر حاجة^(٤)، والحزم مرء كَبَّ صعب، والعجز مركب وطيء، آفة
الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخبر الأمور العسير، حسن الظن ورطه،
وسوء الظن عبسمة، إصلاح الفساد الرية خير من إصلاح فساد الراعى، من
فسدت بطانته كان كالعاص بالماء، شر البلاد بلاد لا أمير بها، نسر الملوك من
خافه البريء، المرء يعجز^(٥) لالامخالة^(٦)، أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان

[١] جمع مرزبان، مفتاح اليم وضم الراي، هو الرئيس من الفرس . [٢] التنازع والتوالى،

مصدر والى . [٣] ترجمان: بفتح القاء وضم الحم وضمها وبفتحها . [٤] أى أصله اللجاجة،

وهي تمالك الحصين وتماديها . [٥] من بابي ضرب وسبع . [٦] امخالة: الحيلة .

من لم يُزأ بالنصيحة ، أحقُّ الجنود بالنصر من حسُدت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك الجَل ، حسْبُكَ مِنْ شَرِّ صِمْغَةٍ ، الصَّمتُ حُكْمٌ ^(١) وَقَلِيلٌ فاعله ، البلاغة الإيجاز ، مَنْ شَدَّدَ نَفْرًا ، وَمَنْ تَرَخَّى تَأَلَّفَ .

فتعجب كسرى من أكرم ، ثم قال : وَيُحَكِّ ^(٢) يَا أَكْثَمَ مَا أَحْكَمَكَ وَأَوْثَقَ كَلَامَكَ ! لَوْلَا وَضَعُكَ كَلَامَكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . قال أكرم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : رب قول أَتَقْذُ مِنْ صَوْلِ .

١٤ - خطبة حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال :

« وَرَى ^(٣) زَنْدِكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلْظَتْ أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَخْصَدَتْ ^(٤) مِرَّتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرَّتَهَا ^(٥) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ، مَسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَامَحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ ^(٦) غَضَاضَةٌ ^(٧) ، وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ ^(٨) سَلَامَةٌ ^(٩) ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَأَلْسِنَتُهَا لَدَيْكَ ، ذَمُّنَا مُحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعَشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيعَةٌ ، إِنْ نَوَيْتُ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عَمُومٌ مُحَمَّدَتْنَا ، وَإِنْ نَذَمْنَا لَمْ نُخْصِ بِالذَّمِّ دُونَهَا . »

[١] الحكم : الحكمة (وآتيناه الحكم صبياً) . [٢] ويح : كلمة رحمة ، (وويل : كلمة عذاب) ، وقيل هما بمعنى واحد . [٣] ورى الزند بفتح الراء وكسر ها وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريت ووريت واستوريت ، والرند : العود الذي يقدح به البارجمه زناد وأزند وأزناد . [٤] استخمد الجبل : استحكم ، واللرة : طاقة الجبل ، واللوة : الغل . كناية عن قوتهم . [٥] الدرة : الابن كالدر . [٦] عصارة : شجر مر . [٧] هي احتمال السكره . والدلة والمنقصة . [٨] ماء زلال : سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس . [٩] سهولة . السطس السهل الابن المتقاد .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التَّلَّال بألوان صخرها ، قال حاجب :
بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : وذلك .

١٥ - خطبة الحارث بن عباد

ثم قام الحارث بن عباد البكرى ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سناها ، من طال رِشاؤه ^(١) ،
كثُرَ منحه ^(٢) ، ومن ذهب ماله ، قل منحه . تناقل الأقاويل يُعرف اللب ،
وهذا مقام سيؤجف ^(٣) بما ينطق به الركب ، وتعرف به كُنْهَ حَلَا النجم
والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا نجمة ، وجيوشنا
نخمة ، إن استنجدتنا فغير رُبُض ^(٤) ، وإن استطرقتنا ^(٥) فغير جُهْض ^(٦) ، وإن
طلبتنا فغير غُمُض ^(٧) ، لا نثنى لدُعر ، ولا نَنكُرُ لدهر ، رماحنا طوال ،
وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة ، وأمة ضعيفة ، قال الحارث : أيها الملك وأنى
يكون لضعيف عزّة ، أو لضعيف مرّة ! قال كسرى : لو قصرَ عمرُكَ ، لم تستول
على لسانك نفْسُكَ . قال الحارث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على

[١] الرشاء : الحبل . [٢] المتج : نزع الماء من البئر . [٣] وجف الفرس والبعير عدا ،
وأوجفته : أعديته ، يقال : أوجف فأعجف (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما أعملتم .
[٤] يقال : رجل ربض عن الحاحات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربضت الشاة
كبركت الناقة أى لا تقاوس عن نصرتك ولا نجم . [٥] استطرقه خلا : طلبه منه ليضرب في إبله ، هذا
هو الأصل ، والمراد استنعت بنا . [٦] أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته فاقص الخاق ، والسقط :
جهمض ، وجمعه جهض ، أى أن خلنا إذا ضرب الباق (مكعبها) لم تأت بجهض بل تنج ، والمراد أنه
إن استنجد بهم أثمر ذلك الاستنجاد ولم يجب . [٧] من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ،
ولا أغمضت ، ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، والمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا نام
عن نصرتك .

الكتيبة مُغَرَّرًا بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَوْتِ ، فَهِيَ مَنِيَّةٌ اسْتَقْبَلَهَا ، وَجَنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا ،
والعرب تعلم أَنِّي أَبْعَثُ الْحَرْبَ قُدُّمًا ^(١) ، وَأَحْبَسَهَا وَهِيَ تَصَرَّفُ بِهَا ، حَتَّى إِذَا
جَاشَتْ نَارُهَا ، وَسَمِعَتْ لَظَاهَا ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ، جَعَلْتُ مَقَادِمَهَا رُمَحِي ،
وَبَرَقَهَا سِيفِي ، وَرَعَدَهَا زَيْبِرِي ، وَلَمْ أَقْصِرْ عَنْ خَوْضِ خَضَخَاضِهَا ^(٢) ، حَتَّى
أَنْعَمَسَ فِي غَمَرَاتٍ لُجَجِيهَا ، وَأَكُونَ فَلْسًا لِفِرْسَانِي إِلَى مُجْبُوْحَةٍ كَبَشِهَا ^(٣) ،
فَاسْتَمَطَرَهَا دِمَاءً ، وَأَتْرَكَ تُحْمَاتَهَا جَزَرَ ^(٤) السَّبَّاعِ وَكَلَّ نَسْرِ قَشْعَمٍ ^(٥) . ثُمَّ قَالَ
كَسْرَى لِمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَرَبِ : أُوْكَذِّبُكَ هُوَ ؟ قَالُوا : فَعَالَهُ أَنْطَقَ مِنْ لِسَانِهِ .
قَالَ كَسْرَى : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَفْدًا أَحْشَدَ ، وَلَا شَهودًا أَوْفَدَ .

١٦ - خطبة عمرو بن الشريد

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ السُّلَمِيُّ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا الْمَلِكُ ، نَعِمَ بِالْك ! وَدَامَ فِي السَّرُورِ حَالُكَ ! إِنْ عَاقِبَةُ الْكَلَامِ مُتَدَبِّرَةٌ ،
وَأَشْكَالُ الْأُمُورِ مُعْتَبِرَةٌ ، وَفِي كَثِيرٍ ثِقَلَةٌ ، وَفِي قَلِيلٍ بُلْغَةٌ ، وَفِي الْمُلُوكِ سَوْرَةٌ ^(٦) الْعِزِّ ،
وَهَذَا مَنَظِقٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَمَلَ فِيهِ مَنْ خَمَلَ ، لَمْ نَأْتِ لِضِيْمِكَ ،
وَلَمْ نَقِدْ لِسَخَطِكَ ، وَلَمْ تَعْرِضْ لِرِفْدِكَ ^(٧) إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُنْتَقَدًا ^(٨) ، وَعَلَى عِزِّنَا
مُعْتَمِدًا ، إِنْ أَوْزَيْنَا ^(٩) نَارًا أَثْقَبْنَا ، وَإِنْ أَوْدَ ^(١٠) دَهْرُنَا اعْتَدَلْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا
لِجَوَارِكَ حَافِظُونَ ، وَلِمَنْ رَامَكَ كَاخُونٌ ، حَتَّى يُحْمَدَ الصَّدْرُ ^(١١) وَيُسْتَطَابَ الْخَبَرُ .

[١] القدم : المضي أمام أمام ، وهو يمضي القدم : إذا مضى في الحرب . والقدم : المقدام الشجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد غفر قدم في سبيل الله » . [٢] الحضاخض : نقط أسود رقيق تنها به الابل الجرب (ولعله خضاخضها) بضم الحاء ، والحضاخض : المكان الكثير الماء . [٣] سيد القوم وقائدهم . [٤] أي قطعا . [٥] مسن . [٦] سورة المجد أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سلطوته (والسورة المنزلة) بالصم . [٧] الرغد : المطاء . [٨] انتقد الدرام قبضها . [٩] أوقدنا . [١٠] اعوج . [١١] الرجوع .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطِقِك بإفراطك ، وَلَا مدْحُك بدمك ، قال عمرو : كفى بقليل قصدي هاديا ، وبأيسر إفراطى مُخبرا ، وَلَمْ يُلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نفسه عما يعلم ، وَرَضَى مِنَ الْقَصْدِ بِمَا بَلَغَ . قال كسرى : ما كل ما يعرف المرء ينطق به . اجلس .

١٧ — خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أَحْضَرَ اللَّهُ الْمَلِكُ إِسْعَادًا ، وَأَرْشَدَهُ إِرْشَادًا ، إِنَّ لِكُلِّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غُصَّةٌ ، وَعَىُّ الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْ عَىِّ السُّكُوتِ ، وَعِثَارُ الْقَوْلِ أَنْكَأُ ^(١) مِنْ عِثَارِ الْوَعْتِ ^(٢) . وَمَا فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَا إِلَّا بِمَا نَهَوَى ، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لَأْنَهَوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ ^(٣) ، وَتَرَكِي مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي ، وَيُعْلَمُ مِنْ سَمْعِي أَنَّنِي لَهُ مُطِيقٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلَفِي مَا أَتَخَوَّفُ وَيَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْفَدَنَا إِلَيْكَ مَلَكُنَا النِّعْمَانُ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنِعَمَ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفُسَنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِاخْمَةِ ^(٤) ، وَرِقَابَنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةً ، وَأَيْدِيَنَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةً . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَسَمَرْتَ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِذُبُلٍ .

١٨ — خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجَتْ ^(٥) لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعَتْ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إِنْ لِلْأَقَاوِيلِ

[١] نكأ العدو ونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أى أشد نكابة وقهراً . [٢] الوعث : المكان السهل الدهس نقيب فيه الأقدام والطريق المسر . [٣] أساغ المصاة ابتلعها ، وساع الشراب : سهل مدخله في الخلق . [٤] خاضعة ومقرة ، بنج بالحق أقرب به وخضع له . [٥] وضحت .

مناهج ، وَلِلآرَاءِ مَوَاجِجٌ ^(١) ، وَلِلْمَوِصِّصِ مَخَارِجٌ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ
الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ ، إِنَا وَإِنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرِّبَتْنَا ، فَلَيْسَ مَنْ
حَضَرَكَ مِنَّا بِأَفْضَلٍ يَمُنُّ عَزَبَ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قَسَيْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمْتَ
مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ دُنْيًا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلَّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ
مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ ^(٢) مُوصُوفٌ ، وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْنَافِذِ ^(٣)
مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ ^(٤) ، وَيَذُودُ أَعْدَاهُ ، لَا تَحْمُدُ ^(٥) نَارَهُ ،
وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ ^(٦)
الْعَرَبُ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيًّا ^(٧) ، وَالنُّجُومُ الزَّوَاهِرُ
شَرَفًا ، وَالْحَصَى عَدَدًا ، فَإِنْ تَعْرِفَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يَعِزُّوكَ ، وَإِنْ تَسْتَصْرِخَهُمْ ^(٨)
لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى - وَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ كَلَامٌ يَحْمِلُهُ عَلَى السُّخْطِ عَلَيْهِ - حَسْبُكَ
أَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ !

١٩ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ :

«أَطَابَ اللَّهُ بَكَ الْمَرَّاشِدُ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَّاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ ^(٩) !

[١] مداخل جمع موج : كحطس ، ولج يلح ولوجا ولجة . [٢] السُّودد بفتح الهمال والسُّودد بضمها
والسود والسيادة . [٣] الظاهر أثره . [٤] ندأى : جمع ندمان ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ،
وناداه : جالسه على الشراب (ندمان بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى تلام
فلا يصرف لأن مؤنثه ندى

كل فملات فهو أتاها فعلى غير وصف النديم بالندمان)

[٥] خد : كسر وسبع . [٦] اختر واصطف . [٧] طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت طال
والبحر امتلا ، وهنك عك . [٨] تستنجد بهم . [٩] جمع شصبة ، وهى الشدة

مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْتْنَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزْرَعُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ ! لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمَسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمَعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ لَتَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعِيَّتِكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُتَحَجِّمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُتَعَصِّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فَعَبِيرٌ مَسْبُوقِينَ ، وَإِنْ سُومِينَا فَغَبِيرٌ مَغْلُوبِينَ »

قَالَ كَسْرَى : غَيْرَ أَنْكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ غَيْرَ وَافِينَ (وَهُوَ يُعَرِّضُ بِهِ فِي تَرْكِهِ الْوَفَاءَ بِضِمَانِهِ السَّوَادَ ^(١)) قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا كُنْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَوَافٍ غُدِرَ بِهِ ، أَوْ كَخَافِرٍ أُخْفِرَ بِذِمَّتِهِ قَالَ كَسْرَى : مَا يَكُونُ لَضَعِيفٍ ضِمَانٌ ، وَلَا لَذَلِيلٍ خَنْمَارَةٌ . قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَا أَنَا فِيهَا أُخْفِرٌ مِنْ ذِمَّتِي أَحَقُّ بِالْإِزَامِ الْعَارِ مِنْكَ فِيمَا قَتَلَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَنْتَ تَهْكِ مِنْ حَرَمَتِكَ ، قَالَ كَسْرَى : ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَيْتَمَنِ الْحَاةِ ^(٢) ، وَأَسْتَنْجِدَ الْأَتَمَّةَ ، نَالَهُ مِنَ الْخَطِيئَةِ مَا نَالَنِي ، وَابْتَغَى كُلُّ النَّاسِ سِوَاءَ ، كَيْفَ رَأَيْتَ حَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ ، لَمْ يُحْكِمِ قَوَاهُ ، فَيَبْرِمَ ، وَيَعْتَهُدُ فَيُؤْفِي ، وَيَعِدُّ فَيُنْجِزُ ، قَالَ وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا لِي ، قَالَ كَسْرَى : الْقَوْمُ يُزَلُّ ^(٣) وَأَفْضَلُهَا أَشَدُّهَا

٢٠ - خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثُمَّ قَامَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ الْعَامِرِيُّ فَقَالَ :

« كَثُرَ فَنُونُ الْمَنْطِقِ ، وَلَبَسَ الْقَوْلُ أَعْمَى مِنْ حَنْدِسِ ^(٤) الظُّلَمَاءِ ، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الْفَعَالِ ، وَالْعَجْزُ فِي النُّجْدَةِ ، وَالسُّودَدُ مَطَاوَعَةُ الْقُدْرَةِ ^(٥) ، وَمَا أَعْلَمَكَ بِقُدْرَتِنَا ، وَأَبْصَرَكَ بِفَضْلِنَا ، وَبِالْحَرَسِيِّ ^(٦) إِنْ أَدَاكَ ^(٧) الْأَيَّامُ ، وَثَابَتَ الْأَحْلَامُ

[١] أَيْ سِوَادِ الْعِرَاقِ . [٢] الْحَاةُ وَالْحَوْنَةُ : جَمْعُ خَائِنٍ . [٣] الْبَازِلُ : الْجَلُّ فِي السَّنَةِ النَّاسِئَةِ ، وَالرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجَرُّبَتِهِ جَمْعُ بَزَلٍ وَبَزَلٍ . [٤] الْإِيلُ الْمُظْلَمُ وَالظُّلْمَةُ . [٥] أَيْ أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ بِقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْلُغُهُ السُّودَدُ . [٦] خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ . [٧] نَصَرْنَا .

أَنْ تَحْدِثَ لَنَا أُمُورًا لَهَا أَعْلَامٌ^(١) . قَالَ كَسْرَى : وَمَا تِلْكَ الْأَعْلَامُ ، قَالَ مُجْتَمَعٌ^(٢) الْأَحْيَاءِ مِنْ رِبِيعَةٍ وَمُضَرٍ ، عَلَى أَمْرِ يَذْكُرُ . قَالَ كَسْرَى : وَمَا الْأَمْرُ الَّذِي يَذْكُرُ ؟ قَالَ مَا لِي عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا خَبَّرَنِي بِهِ مَخْبَرٌ ، قَالَ كَسْرَى مَتَى تَكَاهَنْتَ يَا بَنَ الطَّفِيلِ ؟ قَالَ : لَسْتُ بِكَاهِنٍ ، وَلَكِنِّي بِالرَّمْحِ طَاعِنٌ ، قَالَ كَسْرَى : فَإِنْ أَتَاكَ آتٌ مِنْ جِهَةِ عَيْنِكَ الْمَوْرَاءِ ، مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ : مَا هَيَّيْتِي فِي قَفَايَ بِدُونِ هَيَّيْتِي فِي وَجْهِ ، وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْثُ^(٣) ، وَلَكِن مَطَاوَعَةَ الْعَبَثِ .

٢١ - خطبة عمرو بن معديكرب الزبيدي

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبِ الزُّبَيْدِيِّ ، فَقَالَ :

« إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَبِلَاغِ الْمَنْطِقِ الصَّوَابِ ، وَمِلَاكِ النَّجْمَةِ^(٤) الْإِرْتِيَادِ ، وَعَفْوِ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةِ ، وَتَوْقِيفِ الْخَبْرَةِ خَيْرٌ مِنْ أَعْتِسَافِ الْخَيْرَةِ ، فَأَجْتَبِذْ^(٥) طَاعَتَنَا بِلَفْظِكَ ، وَاکْتَضِمْ بَادِرَتَنَا بِحِلْمِكَ ، وَآلِنَا لَنَا كَنَفَكَ يَسْلَسْ لَكَ قِيَادَنَا ، فَإِنَا أَنَاسٌ لَمْ يُوقَسْ^(٦) صَفَاتُنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرِ^(٧) مَنْ أَرَادَ لَنَا قَضَاهَا^(٨) ، وَلَكِنْ مَنَعْنَا حِمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا . »

٢٢ - خطبة الحارث بن ظالم المري

ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمُرِيِّ ، فَقَالَ :

« إِنْ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكَذِبُ ، وَمِنْ لَوْثِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقُ ، وَمِنْ خَطَلِ الرَّأْيِ خِيفَةُ الْمَلِكِ الْمُسَلِّطِ ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنْ مُوَاجِهَتَنَا لَكَ عَنْ ائْتِلَافٍ ، وَأَنْقِيَادَنَا^(٩) »

[١] أى مشهورة . [٢] اجتماع . [٣] الإفساد . [٤] النجمة : طاب الكلام في موضعه .

[٥] اجتذب . [٦] الوقس : انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراب ، أى لم يחדش

صفتنا ويؤثر فيها . [٧] جمع مقار ، وهو حديدة كالقاس ، فربها . [٨] أصله الأكل بأطراف الأسان .

لك عن تصافٍ ، فما أنت لقبول ذلك منا بخلق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ،
ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام وث العهود ، والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم
يأت من قبلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً
على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالقدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن
في الحق منغصة ، والسرور التغافل ^(١) ، وإن يستوجب أحد الحلم إلامع القدرة ،
فلتشبه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم .

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفطن فيه متكلموكم ،
ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يشق أودكم ، ولم يحكم أمركم ، وأنه ليس لكم ملك
يجمعكم ، فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة البأخعة ، فنطقتم بما استولى على
ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به ، وإني لأكره
أن أجبه وفودى ، أو أحنق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مدبركم ،
وتألف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى وبينكم ، وقد قبلت ما كان فى منطقكم
من صواب ، وصفحتم عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم ، فأحسنوا
موازرتة ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ،
فإن فى ذلك صلاح العامة .

(العدد الفريد ١ : ١٠١)



وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بابن له مات

نشأ لسلامة ذي فائش ابنٌ كَأَ كُلِّ أَبْنَاءِ لِلْقَاوِلِ ، وكان مسروراً به ، يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرساً صعباً ، فكبا به ، فوقعه ^(١) ، فجزع عليه أبوه جزعاً شديداً ، وامتنع من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه ، فخرج إلى الناس فقام خطبائهم يوشونه ^(٢) ، وكان في القوم الملبب بن عوف ، وجعادة بن أفلح ، قام الملبب فقال :

٢٣ - خطبة الملبب بن عوف

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطي لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتُحلى لتُمر ، وترزع الأحران في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطأتك جال ^(٣) ، مالم تُدْزِ الأجل ، وتقطع الأمل ، وإن حادثاً ألم بك ، فاستبد ^(٤) بأقلك ، وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تناهت إليك أنباء من رزى فصبر ، وأصيب فاعتفر ، إذ كان شوى ^(٥) فيما يُرتقب ويُنذر ، فاستشعر اليأس مما فات ، إذ كان ارتجاعه مُمتنعاً ، ومرامه مُستصعباً ، فليشئ ما ضربت الأسي ، وفزع أولو الأبواب إلى حسن العزاء .

٢٤ - خطبة جعادة بن أفلح

وقام جعادة فقال : « أيها الملك ، لا تُشعر قلبك الجزع على ما فات ، فيغفل

[١] وقس عنه : كسرهما . [٢] أساء تأسية عزاءه ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان وفلان . [٣] الجلل العظيم والحفير وهو هنا بالمعنى الثاني . [٤] البدة بالضم : النصيب ، واستبد به : جعله نصيبه . [٥] الشوى : الهين اليسير ووزال المال .

ذهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وَنَاضِلٌ عَوَارِضَ الْحَزْنِ بِالْأُنْفَةِ عَنْ مَضَاهَاةٍ (١)
أَفْعَالِ أَهْلِ وَهْيٍ (٢) الْعُقُولِ ، فَإِنَّ الْعَزَاءَ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزْعَ لِرَبَّاتِ
الْحِجَالِ (٣) ، وَلَوْ كَانَ الْجَزْعُ يَرُدُّ فَائِتًا ، أَوْ يُنْجِي تَالِفًا ، لَكَانَ فِعْلًا دَنِئًا ،
فَكَيْفَ وَهُوَ مَجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَّا
يَتَهَافَتُ (٤) فِيهِ الْأَرْدَلُونَ ، وَصْنِ قَدْرَكَ عَمَّا يَرْكَبُهُ الْمَخْسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ
طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةً كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ . (الأمالي ٢ : ١٠١)

٢٥ - أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى يَعِزِي عَمْرُو بْنَ هَنْدٍ عَنْ أَخِيهِ

وَعِزَّى أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى عَمْرُو بْنَ هَنْدٍ مَلِكَ الْعَرَبِ عَنْ أَخِيهِ فَقَالَ لَهُ :
« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرٌ لَا يَحْمِلُونَ عَقْدَ الرِّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ
مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ
سَيَّظَعُنُّ عَنْكَ وَيَدْعُوكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ ، فَأَمْسِ عِظَةً ، وَشَاهِدْ عَدْلًا ،
فَجَمْعَكَ بِنَفْسِهِ ، وَأَبْقِ لَكَ وَعَلَيْكَ حِكْمَتُهُ ؛ وَالْيَوْمُ غَنِيمَةٌ ، وَصَدِيقُ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ،
طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتُهُ ، وَسَتَسْرِعُ عَنْكَ رِحْلَتُهُ ؛ وَغَدٌ لَا تَدْرِي مِنْ أَهْلِهِ ، وَسَيَأْتِيكَ
إِنْ وَجَدَكَ ، فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرِ لِلْمَنْعَمِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِلْقَادِرِ ، وَقَدْ مَضَتْ لَنَا أَصُولُ
نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ الْفُرُوعِ بَعْدَ أَصُولِهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ
الْخَلْفِ مِنْهَا ، وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعْطِيهِ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ .

(العقد العربد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٢٦ - خُطْبَةُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ

يَهْنَى سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بِاسْتِرْدَادِ مَلِكِهِ مِنَ الْحَبْشَةِ

لَمَّا ظَفَرَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بِالْحَبْشَةِ ، أَتَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ وَأَشْرَافُهَا وَشِعْرَاؤُهَا

[١] مشاكلة . [٢] ضنف . [٣] والهجاء جمع حجلة (بفتح ح) ، وهي القبة وموضع يزين
بالستور ، والنياب للعروس . [٤] التهافت : التنازع .

تهنئة وتمدحه ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه في الكلام فأذن له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً^(١) شامخاً ، وأنبئك منبتاً طابت أرومته^(٢) ، وعزّت جزؤمته^(٣) ، وثبت أصله ، وبسّق^(٤) فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وريعها الذي به تُخصب ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُهَا^(٥) الذي إليه يلجأ العباد ، سَلَفُكَ خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، وإن يَحْمِلَ من أنت سلفه ، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدَحَنَّا^(٦) ، فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزئة^(٧) » .

(العقد المرید ١ : ١٠٧ ، وأباء نجباء الأباء ص ١١)

٢٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ يَقُومُ أَوَّلَ نَهَارِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنْ تَلْقَاءِ بَابِهَا ، فَيَخْطُبُ قَرِيشًا ، فيقول :

« يا معشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسطها^(٨) أنساباً ، وأقربها أرحاماً ، يا معشر قريش ، أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره ، دون بني إسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ .

[١] غالباً من بدخ بذخ : كفرح . [٢] أرومة : بالضم والفتح أى أصل . [٣] أصله أيضاً .
[٤] علا و طال . [٥] اللجأ . [٦] أملاً . [٧] رزأه ماله : كجمل وعلم أصاب منه شيئاً
رزأه ، كارتزأه ماله ، ورزأه رزأاً ومرزئة أصاب منه خيراً . أى لسنا وافدين لعماء . [٨] خيرم :
الوسط من كل شيء أعمله (قال أوسطهم وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) .

جارٌ من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوّار بيته ، فإنهم يأتونكم شُغفًا ^(١) غُبرًا من كل بلد ، فوّرب هذه البذية ^(٢) ، لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله ، ما لم يُقْطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعه ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحُرمة هذا البيت ألا يُخرج رجل منكم من ماله ، لكرامة زوّار بيت الله ومعاونتهم إلا طيبًا ، لم يؤخذ ظلما ، ولم يُقْطع فيه رحم ، ولم يغتصب .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٨)

٢٨ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال: « اسمعوا وعُوا ، وتعلموا تعلموا ، وتفهّموا تفهّموا ، ليل ساج ^(٣) ، ونهار صاج ^(٤) ، والأرض بهاد ، والجبال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كل ذلك إلى بلاء ، فصلوا أرحامكم ، وأصلحوا أحوالكم ، فهل رأيتم من هلك رجع ، أو ميتا نُشِر ، الدار أمامكم ، والظن خلاف ما تقولون ، زينوا حرّمكم وعظموه ، وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتى له نبا عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم قال :

نهارٌ وَلَيْلٌ وَأَخْتِلَافٌ حَوَادِثِ	سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا
يُثَوِّبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوَبَا	وَبِالنَّعَمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سُتُورُهَا ^(٥)
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلُبُ أَهْلُهَا	لَهَا عَقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	فِيخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَيْرُهَا

[١] جمع أشعث : وهو ملبد الشعر منفره [٢] الكعبة : (والبنية بكسر الباء وضمتها وسكون النون ما بينته) . [٣] الساجى الساكن والدائم . [٤] ليله ضاج من ضج القوم صاحوا وأجلبوا . [٥] التأوب الرجوع .

ثم قال :

يَا لَيْتَنِي شَهِدْتُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا (١)

(صح الأعشى ١ : ٢١١)

٢٩ - تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدواني ، وحممة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلنا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذي الرثية (٢) العديم ، وذو الخلعة (٣) الكريم ، والمسر الغريم ، والمستضعف الهضم . قال من أحق الناس بالحق ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعي القوال . قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحريض الكاند (٤) ، والمستميد (٥) الحاسد ، والملحف الواجد . قال فمن أجدر الناس بالصنعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا موطئ صبر ، وإذا قدم المهد ذكر . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قرب منع ، وإن بعد مدح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضويق سمح ، قال : من أأم الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا مثل منع ، وإذا ملك كنع (٦) ، ظاهره جشع (٧) ، وباطنه طبع (٨) . قال : من أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجل إذا اتصر ، ولم تطنه عزة الظفر . قال : من أخزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل المواقب نصب عينية ، ونبذ التهيّب

[١] لحوى الكلام وخوؤه مناه ومذهبه . [٢] الرثية وجمع المفاصل واليدين والرجلين

(الرومانزم) . [٣] الخلعة الحاجة . [٤] الكاند الذي يكثر النعمة والكنود الكمود : (إن

الإنسان لربه لكود) . [٥] المستميد والمستعير المستعطى . [٦] تفيض . تكنع جلده إذا تفيض

أي ممسك بخيل . [٧] الجشع : أسوأ الحرص . [٨] الدلس .

دَبَّرَ أُذُنِيهِ^(١) . قال : فمن أخرج الناس ؟ قال : من ركب الخطار^(٢) ، واعتسف^(٣) العِثَارَ ، وأسرع في البِدَارِ ، قبل الاقتدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يَأْسَ على المجهود . قال فمن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَزِيرَ^(٤) باللفظ الوجيز ، وَطَبَّقَ^(٥) المَفْصِلَ قبل التحزير . قال : فمن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تَحَلَّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قال : فمن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على الْقِسْمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحْتَمَمْ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التَّجَمُّلَ للناس ، واستكثر قليل النعم ، وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال : من صَمَتَ فَأَدَّ كَرَّ ، ونظر فاعتبر ، وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَغْنَمًا ، وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .

(الأمل ٢ : ٢٨٠)

٣. — خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي بِسُوقِ عُكَاظَ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَاعْمُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ^(٦) ، وَنَهَارٌ سَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَنَجْمٌ تَزْهَرُ^(٧) ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ^(٨) ، وَجِبَالٌ مُرْسَاةٌ ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ^(٩) ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرٌ ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرٌ ، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا ؟ يَقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ : إِنْ لِلَّهِ دِينَكَ هُوَ أَرْضِي لَكَ ، وَأَفْضَلُ

[١] جعلت الشيء دبر أدنى : إدام ألفت إليه . [٢] جمع خطر ، وهو الإشراف على الملاك .

[٣] الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . [٤] الصعب .

[٥] التطبيق : أن يصيب السيف الفاصل فيفصلها لا يجاوزها . [٦] مظلم . [٧] تضيء وتتلألأ .

[٨] تمتلئ وترتفع . [٩] مدحوة : أي مبسوطة ، وإنما قاله مدحاة لمراعاة السجع .

من دينكم الذي أتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً. وَيُرْوَى أن قسا أنشأ
بعد ذلك يقول :

في الزاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكبر والأصغر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقيين غابر^(١)
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، إيجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والنبين ١ : ١٦٨ ،
الأغاني ١٤ : ٤٠ ، المعاد الفريد ٢ : ١٥٦ ، وجمع الأمثال للبيداني ١ : ٧٤)

٣١ - خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر
طويلاً ، ثم قال : «أرعوني أسماكم ، وأصنعوا إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوعظ منكم حيث
أريد ، طَمَحَ^(٢) بالأهواء الأشر ، وَرَانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطُخِطَخَ^(٤) الجهلُ
النظر ، إن فيما ترى لَمُتَبَرِّأً لِمَنْ أَعْتَبَر ، أرض موضوعة ، وسمااء مرفوعة ، وَشَمْسٌ
تَطْلُعُ وَتَغْرُب ، ونجوم تسرى فتَغْرُب ، وقر تَطْلُعُ النحور ، وَتَحْقُقُ أَدْبَار
الشهور ، وعاجز مُثَر ، وَحَوْلٌ^(٥) مُكْدٍ ، وَشَابٌ مُخْتَصِرٌ^(٦) ، وَيَفَنٌ قد غَبَر ،
وَبَراحلون لا يثوبون ، وموقوفون لا يُفَرِّطُونَ^(٧) ، وَمَطَرٌ يرسل بِقَدَر ، فيحيي
البشر ، وَيُورِقُ الشجر ، وَيُطْلِعُ الثمر ، وينبت الزهر ، وماء يتَفَجَّر ، من الصخر

[١] مقيم . [٢] ارتفع وعلا وذهب . [٣] غلب . [٤] أظلم . [٥] رجل حول :
شديد الاحتيا ، وأكدي : لم ينح ، وأصله من أكدي إذا خرف فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي
الصفاء العظيمة الشديدة . [٦] الذي يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حمص أخضر ، واليفن
الشيخ الكبير . [٧] يقدّمون .

الْأَبْرَ^(١) ، فيصدع المدر ، عن أفنان الخضر ، فيُعْجِي الأنام ، وَيُشْبِع السَّوَامَ ،
وَيُنْجِي الأنعام ، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، الباري المصور ،
يأبها العقول النافرة ، والقلوب النائرة^(٢) ، أَنِّي تُؤَفِّكُونَ ، وعن أي سبيل
تَعْمَهُونَ ، وفي أي حيرة تهيمون ، وإلى أي غاية تُوفِضُونَ^(٣) ، لو كُشِفَتْ
الاعطية عن القلوب ، وتجلَّت النشأوة عن العيون ، لصرَّح الشك عن اليقين ،
وأفاق من نشوة الجهالة ، مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضلالة . (الأمل ١ : ٢٧٦)

٣٢ — خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قَالَ هَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانِي يُحَرِّضُ قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارِ^(١) :
« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَعْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٌ ، إِنَّ الْحَذَرَ
لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ ،
اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّمَعُ فِي تُغْرٍ^(٥) النُّجُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي
الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ، يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَمَا لِلْمَنَآيَا مِنْ بُدٍّ » . (الأمل ١ : ٩٢)

٣٣ — خطبة عمرو بن كلثوم

أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تركية نفسه ، ولا يعبر
عنه في تركية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، وائتمانه إياهم على حرمة^(٢)
(البيان والتبيين ٢ : ٦٩)

[١] الصلب . [٢] النائرة النافرة ، نارت نوراً بفتح النون ، ونوارا بفتحها وكسرهما فرت .
[٣] تسرعون . [٤] كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أسر الأعاجم ، وهو يوم لبي
شيبان ، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً ، ففطر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من المعجم .
[٥] جمع ثرة بالضم : وهي ثرة النحر بين الرقوتين (والثرة بالفتح : كل هرة ، منفحة) .

٣٤ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً
حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن
أخي من لا يُوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه : براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ،
ومجداً ونُبلاً ^(١) ، وإن كان في المال قل ^(٢) ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية ^(٣)
مُسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم
من الصِّداق فعلى » .

(صح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٣)

٣٥ - حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المسألة حين كبرت سنه

كان لرجل من مقاول حمير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، والآخر ربيعة ، وكانا
قد برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأُشِفْنِي ^(١) على
الفناء ، دعاهما ليَبْلُو ^(٢) عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا . قال لعمرو
- وكان الأكبر - أخبرني عن أحبِّ الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال :
« السيد الجواد ، القليل الانداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع
العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحُساد ، الباسل الذُّوَاد ^(٣) ، الصادر الوَرَاد »
قال ما تقول ياربيعة ؟ قال : ما أَحْسَنَ ما وصف ! وغيره أحبُّ إليَّ منه ،

[١] دكاء ونجابة . [٢] قلة . [٣] ما يستعار ، مشددة وقد تخف . [٤] أشى عليه :

أشرف . [٥] ليخبر . [٦] من زاد عنه إذا دفع .

قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، القمقام ^(١) الزعيم ، الذي إن هم فعل ، وإن سُئِلَ بذل .
قال أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك . قال : البرم ^(٢) اللثيم ،
المستخذي ^(٣) للخصيم ، المبطان ^(٤) النهيم ، العبي انبكيم ، الذي إن سئل منع ،
وإن هُدِّدَ خضع ، وإن طلب جشع ^(٥) . قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره
أبغض إلى منه . قال : ومن هو ؟ قال : النثوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ،
الرجيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام .

قال أخبرني يا عمرو : أي النساء أحب إليك ؟ قال : الهر كولة ^(٦)
اللفاء ^(٧) ، المنكورة ^(٨) الجيذاء ، التي يشفي السقيم كلائها ، ويبري الوصب ^(٩)
إمامها ، التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن
استعبت بها ^(١٠) أعتبت ، الفاترة الطرّف ، الطفلة ^(١١) الكف ، العميمة الرّذف .
قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نعت فأحسن ! وغيرها أحب إلى منها . قال :
ومن هي ؟ قال : « الفتانة العنين ، الأسيلة ^(١٢) الخدين ، الكاعب ^(١٣) الثديين ،
الرّذاح ^(١٤) الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ^(١٥) ، الرّخيمة ^(١٦)
الكلام ، الجماء ^(١٧) العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام ^(١٨) ،

[١] السيد (ويضم) . [٢] البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر . [٣] الحاض المستكين ،
والخصيم الخاصم . [٤] من همه طنه ، أو الرغب لا ينتهي من الأكل . [٥] الجشع : أسوأ الحرص .
[٦] المرتجة الأرداف . [٧] الملتفة الجسم . [٨] المطوية الخلق من النساء والمستديرة
الساقين ، والجيذاء من الجيد بالتحريك وهو طول الرقبة ، أو دقتها مع طول . [٩] المريض .
[١٠] استعته طلب إليه العتي (الرضا) وأعته أعطاه العتي . [١١] الناعمة . [١٢] الأسيل من
الحدود الطويل المسترسل . [١٣] كعب الثدي نهد . [١٤] الثنية العجيرة الضحمة الوركين .
[١٥] الزوج . [١٦] المينة الكلام . [١٧] التي ليس لعظامها حجم . [١٨] المراد موضع اللثام
فهو على رذف مضاف .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : القَتَّاتَةُ ^(١) الكَذُوبُ ،
الظاهرة العيوب ، الطَوَافَةُ ^(٢) الهُبُوبُ ^(٣) ، العابسة القَطُوبُ ، السَّبَّابة الوَثُوبُ ،
التي إن ائتمنها زوجها خاتته ، وإن لان لها أهانتها ، وإن أرضاها أغضبتة ، وإن
أطاعها عصته ، قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بثس والله المرأة ذكر ! وغيرها
أبغض إلى منها . قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السَّلِيْطَةُ ^(٤)
اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها
من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وتَرَّتَه ^(٥) ، وإن ناطقها انتهرته . قال
ربيعة : وغيرها أبغض إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي شقي صاحبها ، وخزى
خاطبها ، واقتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها في خصالها كلها ،
لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكَفُورُ غير
الشُّكُور ، اللثيم الفَجُور ، العَبُوس الكالِح ^(٦) ، الحرون الجامح ، الرَّاضى
بالهوان ، المختال المَنان ، الضعيف الجَذان ، الجَعْدُ ^(٧) البنان ، القثول غير الفَعُول ،
المَلُول غير الوَصُول ، الذى لا يَرِغُ ^(٨) عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .
قال أخبرنى يا عمرو : أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران
للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكَفَيْت ^(٩) العَرِيْقُ ،
الشديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، وَيَلْحَقُ إذا طلب . قال : نعم الفرس
والله نعمت ! قال فما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أحب إلى منه . قال : وما هو ؟
قال : الحصان الجَوَاد ، السَّلِس القيَاد ، الشَّهْم الفَوَاد ، الصَّبُور إذا سرى ،
السابق إذا جرى .

[١] النمامة . [٢] الكثيرة الانتباه والهبوب الريح المثيرة للغبار . [٣] الطوية .

[٤] أحفظته وأغضبتة . [٥] كالج : تكسر فى عبوس . [٦] كناية عن البخل .

[٧] وربع : كورث كف . [٨] السريح .

قَالَ : فَأَيُّ الْخَيْلِ أُنْبِضُ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : الْجَمُوحُ الطُّمُوحُ ، النَّكُولُ ^(١)
 الْأُنُوحُ ^(٢) ، الصَّنُولُ ^(٣) الضَّعِيفُ ، الْمَلُولُ الْعَنِيفُ ، الَّذِي إِنْ جَارِيَتْهُ سَبَقَتْهُ ،
 وَإِنْ طَلَبَتْهُ أَدْرَكَتْهُ . قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَبِيعَةُ ؟ قَالَ : غَيْرُهُ أُنْبِضُ إِلَى مِنْهُ . قَالَ :
 وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : الْبَطِيُّ ، الثَّقِيلُ ، الْحَرُونَ الْكَكَلِيلُ ، الَّذِي إِنْ ضَرَبَتْهُ قَمَصٌ ،
 وَإِنْ دَنُوتَ مِنْهُ شَمَسَ ^(٤) ، يَدْرِكُهُ الطَّالِبُ ، وَيَفُوتُهُ الْهَارِبُ ، وَيَقْطَعُ
 بِالصَّاحِبِ . قَالَ رَبِيعَةُ : وَغَيْرُهُ أُنْبِضُ إِلَى مِنْهُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : الْجَبُوحُ
 الْخَبُوطُ ^(٥) ، الرَّكُوزُ الْخَرُوطُ ^(٦) ، الشَّمُوسُ الضَّرُوطُ ^(٧) ، الْقَطُوفُ ^(٨) فِي
 الصَّعُودِ وَالْهَبُوطِ ، الَّذِي لَا يُسَلِّمُ الصَّاحِبُ ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الطَّالِبِ .

قَالَ : أَخْبِرْنِي يَا عَمْرُو أَيُّ الْعَيْشِ أَلْذُّ ؟ قَالَ : عَيْشٌ فِي كَرَامَةٍ ، وَنَعِيمٍ وَسَلَامَةٍ ،
 وَاعْتِبَاقٍ ^(٩) مُدَامَةٍ . قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَبِيعَةُ ؟ قَالَ : نَعِمَ الْعَيْشُ وَاللَّهُ وَصَفَ !
 وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : عَيْشٌ فِي أَمْنٍ وَنَعِيمٍ ، وَعِزٍّ وَغِنَى
 عَمِيمٍ ، فِي ظِلِّ نَجَاحٍ ، وَسَلَامَةٍ مَسَاءً وَصَبَاحٍ ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ :
 وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : غِنَى دَائِمٌ ، وَعَيْشٌ سَالِمٌ ، وَظِلٌّ نَاعِمٌ .

قَالَ : فَمَا أَحَبُّ السُّيُوفِ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : الصَّقِيلُ الْحُسَامُ ، الْبَاتِرُ
 الْمِجْدَامُ ^(١٠) ، الْمَاضِي السُّطَامُ ^(١١) الْمُرْهَقُ ^(١٢) الصَّمْصَامُ ^(١٣) ، الَّذِي إِنْ هَزَزْتَهُ
 لَمْ يَكُتْ ^(١٤) ، وَإِذَا ضَرَبْتَ بِهِ لَمْ يَنْبُ ^(١٥) . قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَبِيعَةُ ؟ قَالَ :

[١] النكول : الذي ينكل عن قرنه . [٢] الكثير الزحير . [٣] كثير الضئيل : وصئيل
 الفرس صهيله . [٤] شمس الفرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . [٥] الكثير الحبط :
 وهو السير على غير هدى . [٦] الخروط الدابة الجموح تجتذب رسلها من يد ممسكها ثم تمصى .
 [٧] الكثير الضراط . [٨] قطعت الدابة : ضاق مشيها وهي قطوف . [٩] اعتبق : شرب
 الفبوق وهو ما يصرّب بالشئ والمدامة الحمر كالدم . [١٠] من الجدم : وهو النقط . [١١] الحد .
 [١٢] رصف السيف ، وأرصفه رققه . [١٣] السيف لا يثني كالصمصامة . [١٤] لم يعثر .
 [١٥] لم يكمل عن الفريبة .

نعم السيف نعمت ! وغيره أحبُّ إلى . قال وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الروثق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إن هزرتَه هَتَكَ^(١) ، وإذا ضربت به بَتَكَ^(٢) . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفُطَارُ^(٣) الكَهَامُ^(٤) ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن دُجِحَ به لم يَنخَعِ^(٥) . قال : فما تقول ياربعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الطَّبِيعُ^(٦) الدَّدَانُ^(٧) ، المِعْضَدُ^(٨) المِهَانُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّمَاحِ أحبُّ إليك عند المِرَّاسِ ، إذا اعتكر البَّاسُ ، وأشتَجَرَ الدَّعَاسُ^(٩) ؟ قال : أحبها إلى المَارِنُ^(١٠) المُنْقَفُ ، المَقْوَمُ المَخْطَفُ^(١١) ، الذى إذا هزرتَه لم ينمطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : « نِعَمَ الرِّمَحِ نعمت ! وغيره أحبُّ إلى منه . قال وما هو ؟ قال : الذَّابِلُ^(١٢) العَسَّالُ ، المَقْوَمُ النَّسَّالُ ، الماضى إذا هزرتَه ، النافذ إذا همزته . قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرِّمَاحِ إليك . قال : الأعْصَلُ^(١٣) عند الطَّعْمَانِ ، المثلَّمُ السَّنَانُ ، الذى إذا هزرتَه انمطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : بئس الرِّمَحِ ذكر ! وغيره أبغض إلى منه . قال : وما هو ؟ قال : الضَّعِيفُ المَهْزِ^(١٤) ، اليا بَسَ الكَزْ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال انصرفا ، الآن طاب لى الموت » . (الأمل ١ : ١٥٢)

[١] مَرَّقَ . [٢] قطع . [٣] الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . [٤] سيف كهام كليل . [٥] لم يبلغ النخاع . [٦] من الطمع أى الصدا . [٧] الذى لا يقطع . [٨] القصير الذى يمتد فى قطع الشعر وغيرها . [٩] الطمان : دعه إذا طمعه . [١٠] المارن : ما لان من الرمح ، والمنقف : السوى بالنخاع ، وهو ما تسوى به الرماح . [١١] الخطف بضم فسكون الصمر ، وإخطاف الحشى انطاؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ورمح مخطف أى دقيق . [١٢] قنا ذابل : أى دقيق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر القنّاء) ، والمسال : الشدائد الاضطراب إذا هزرتَه ومنه السلان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والسلان قريب منه . [١٣] المتوى : الموج . [١٤] مهزه كنهه : دفعه . [١٥] الكزازة : اليبس والانباض كرهوه كز .

٣٦ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جُبَيْل قيس بن خُفَّاف البرُجُمي حاتم طيء، في دماء حملها عن قومه، فأسلموه^(١) فيها، وعجز عنها، فقالَ والله لآتين من يحملها عني، وكان شريفاً شاعراً، فلما قدم عليه قالَ : « إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأملي، فَقَدَمْتُ مالي، وكنت أُملي، فَإِن تَحْمِلُهَا فرب حق قد قضيته، وهم قد كفيتَه، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أياس من غدك. ثم أنشأ يقول :

حملت دماء للبراجم جَمَّةً	فجئتك لما أَسَلَمْتَنِي البراجم ^(٢)
وقالوا (سَفَاها) لِمَ حملت دماءنا	فقلت لهم يكفي الحَمَالَةَ حاتم ^(٣)
مَتَى آتَه فِيهَا يَقل لِي مَرَجَباً	وَأَهلاً وَمِهْلاً أَخْطَأْتُكَ الْأَشْأَمَ ^(٤)
فِيحْمِلُهَا عَنِي، وَإِنْ شَدَّتْ زَادَنِي	زِيَادَةٌ مَنَ حَنْتَ إِلَيَّ الْمَكَارِمَ
يَعِيشُ النَّدَى مَا عَاشَ حَاتِمُ طِيٍّ	فَإِنْ مَاتَ قَامَتِ لِلسَّخَاءِ مَأْتَمُ
يَنَادِين مَاتَ الْجُودُ مَعَكَ فَلَا نَرَى	مُجِيباً لَهُ مَا حَامَ فِي الْجَوِّ حَاتِمُ
وَقَالَ رِجَالُ أَنْهَبِ الْعَامُ مَا لَهُ	فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمُ ^(٥)
وَلَكِنَّهُ يَعْطِي مِنْ أَمْوَالِ طِيٍّ	إِذَا جَلَّفَ الْمَالَ الْحَقُوقُ اللُّوْازِمُ ^(٦)
فَيُعْطِي الَّتِي فِيهَا الْغِنَى وَكَأَنَّهُ	لَتَصْغِيرِهِ تِلْكَ الْعَطِيَّةُ جَارِمُ ^(٧)
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَشَرَجٌ	وَسَعْدُ وَعَبْدُ اللَّهِ تِلْكَ الْقِمَاقِمُ ^(٨)

[١] خذلوه . [٢] الراحم من تميم . [٣] السفاه : السفه . والحالة : الدية يحملها قوم عن قوم . [٤] الأشأَم : ضد الأيمان . [٥] أنهب المال : حمله نهباً ينفار عليه . [٦] أي جره واستغفه . [٧] جرم الرجل (بفتحين) : أذنب كأجرم . [٨] جمع ققام وهو السيد .

فقال له حاتم : إن كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك ، هذا مِرْبَاعِي^(١)
من الغارة على بني تميم ، نخذة وافراً ، فإن وفى بالحمالة ، وإلا أكلتها لك ، وهو
مائتا بعير سوى بنيتها وفصاها ، مع أني لأحب أن تؤيس قومك بأموالهم ،
فضحك أبو جُبَيْل وقال : لكم ما أخذتم منا ، ولنا ما أخذنا منكم ، وأى بعير
دفعته إليّ ، ليس ذنبه في يد صاحبه ، فأنت منه برىء ، فدفعها إليه وزاده مائة
بعير ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم في ذلك :

أَتَانِي الْبُرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ	لَهُمْ فِي حِمَالَتِهِ طَوِيلٌ
فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوَاً	فَإِنِّي اسْتُ أَرْضِي بِالْقَلِيلِ ^(٢)
عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي	عَلَى عِلَاتِهَا عِلَلُ الْبَخِيلِ
نَخَذَهَا إِنَّهَا مَائَتَا بَعِيرٍ	سِوَى النَّابِ الرِّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ ^(٣)
فَلَا مَنِّ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي	رَأَيْتُ الْمَنَّ يُزْرِى بِالْجَزِيلِ
فَأَبِ الْبُرْجِيِّ وَمَا عَلَيْهِ	مِنْ أَعْبَاءِ الْحِمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ
يَجُرُّ الذَّيْلَ يَنْفُضُ مَذْرُوءِيهِ	خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حِمْلٍ ثَقِيلِ ^(٤)

(ديل الأمل ٢٢ ، والأغانى ٧ : ١٤٥)



[١] المرباع : ربع الغنمية ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها . [٢] يقال : آتاك به رهوا أى
آتاك به عموا سهلا لا احتباس فيه . [٣] الناقة المسنة ، والرذية : مؤنث الردى ، وهو الضعيف من
كل شيء ومن أتله المرض . [٤] المذروان : أطراف الألية بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس
فاحتاه ، ويقال جاء ينفض مذرويه . أى باغيا متهددا .

الوصايا

٣٧ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجشتم ، والحارث ، وكعب فلما حضره الموت . قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضرك الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فعمل الذي استخرج العذق ^(١) من الجريمة ^(٢) ، والنار من الوثيمة ^(٣) ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بسلا ^(٤) ، يمالك ، المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبلد ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المشت ^(٥) ، وأقبح طاعم المقت ^(٦) ، وذهب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومن قل ذل ، ومن أمر ^(٧) فل ، وخير ما لى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سينحسر ^(٨) ، فإنما تعز ^(٩)

[١] العذق: النحلة يحملها والعنق (بكسر العين) القوم منها . [٢] النواة . [٣] الوثيمة : الحارة ، وثمة : كسره ودقه . ووثم العرس الأرض : رجما بمحوائره . (ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العنق من الجريمة . والنار من الوثيمة ، وقولهم : لا والذي شقهن خسا من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاذبة من قوب يعنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زمم بيته (بالتحريك) أى قصده وحده . [٤] شجما : جمع باسل . [٥] المشتقى : ما فى الإماء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفافة (بالضم) ، وهى البقية تبقى من الإماء . [٦] الأخذ بعجلة ، ومنه - حتى القفاب وهو من يسرق الدوام بين أصابعه . [٧] أمر كفرح أمرا وأمرة : كثر وتم فهو أمر (وأمره الله وأمره كنصره كثره : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . أى كثنا . [٨] ينكسر [٩] تلب . عزه يزمه كنصره عزًا ، وعز يمز كفرب عزًا وعزة صار عزيزاً .

من ترى ويعزك من لا ترى ، ولو كان الموت يُشترى ، اسلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستوون ، الشريف الأبلج ، واللئيم المقلهج^(١) ، والموت المفيت^(٢) ، خير من أن يقال لك هيت^(٣) ، وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، حيّاك إلهك .
(الأماي ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٣٨ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

لما احتضر^(٤) ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً ، فقال له : يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت ، فاحفظ عني . ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يُكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمع بمالك ، وأحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعز من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح^(٥) ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سوؤدك .
(الأماي ٣ : ٦)

٣٩ - وصية أكرم بن صيفي لبنيه ورهطه

وصى أكرم بن صيفي بنيه ورهطه ، فقال : « يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي^(٦) وصدري لكلاماً لا أجديله مواقع إلا أسمعكم ، ولا مقار إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ،

[١] المتسامي في الدناءة والؤم . [٢] الأحمق الضعيف . [٣] حضره الموت . [٤] أي في وقت الصريح وهو نداء المستغيث . [٥] الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

تَحْمَدُوا مَغْبَتَهُ ، الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطْلَقَةٌ ، والحزم معقول ^(١) والنفس مهملة ، والروية مُقَيَّدَةٌ ، ومن جهة التواني وترك الروية ، يتلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مُرْشِدًا ، والمُسْتَبَدُّ برأيه موقوف على مَدَاحِضٍ ^(٢) الزلل ، ومن سمع سُمع به ، ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ولو اعتُبرت مواقع المحن ما وُجِدَتْ إِلَّا فِي مَقَاتِلِ الْكِرَامِ ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَدَ ^(٣) أَمِنَ الْعَثَارَ ، ولن يعدم الحسود أن يُثْعِبَ قلبه ، وَيَشْغَلَ فِكْرَهُ ، وَيُورِّثَ ^(٤) غِيظَهُ ، ولا تجاوز مَضَرَّتُهُ نَفْسَهُ .

يا بني تميم : الصبر على جرّع الحلم أعذب من جَنَى ثمر الندامة ، ومن جعل عِرْضَهُ دُونَ مَالِهِ اسْتَهْدَفَ لِلذَّمِّ ، وَكَلَّمَ الْمَسَانَ أَنْكِيءَ مِنْ كَلَمِ السَّنَانِ ، والكلمة مرهونة ما لم تَنْجُمَ مِنَ الْفَمِّ ، فَإِذَا نَجَمَتْ فَهِيَ أَسَدٌ مُحَرَّبٌ ^(٥) ، أَوْ نَارٌ تَلْهَبُ ، وَرَأَى النَّاصِحَ اللَّيِّبَ دَلِيلَ لَا يَجُوزُ ، وَتَفَازُ الرَّأْيَ فِي الْحَرْبِ ، أَجْدَى مِنَ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ . (شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح البيهقي ١٥)

٤ . — نصيحة أكرم بن صيفى لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقِلُّوا الْخِلَافَ عَلَى أُمَرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَاحِ مِنَ الْفَشْلِ ، وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مُحَالَةَ ، يَأْقُومُ تَثْبِتُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنُ ^(٦) وَرَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا ^(٧) ، وَاتَّرَرُوا لِلْحَرْبِ ، وَادَّرِعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ . (الأغاني ١٥ : ٧٠)

[١] محبوس . [٢] جمع مدحمة ، وهى الزلة . [٣] الأرض المستوية . [٤] يوقد . [٥] التعريب : التحريش والتعذيب ، والمحرّب والتعرب الأسد . [٦] الرزين . [٧] بطنا .

٤١ - وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم الثَّغَلِيّ ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَمْرِ مُقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللّٰهُ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عُيِّرَ بِي مِثْلُهُ ، إِنْ حَقَّ لِي فُتْقَا ، وَإِنْ بَاطَلَ فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سَبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشَّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعَمَّرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأَلُّوا بِهِنَ الْإِكْفَاءَ ، وَأَبْعَدُوا بَيُوتَ النِّسَاءِ مِنْ بَيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصْرِ ، وَأَعْفَى لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فَفِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَفَارُ لغيرِهِ ، كَمَا يَفَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلْ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرَمَ لغيرِهِ إِلَّا أَنْتَهَيْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذِلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدِّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفٍ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعَمُّوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ ^(١) ، وَمَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِي آجِلٍ ، وَمَا بِكَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أُحْدُوْثَةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبَةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبَ ^(٢) ، وَمَنْ

الناس من لا يُرْجى خيره ، ولا يخاف شره ، فَبَنَكُوهُ ^(١) خير من دَرَّه ،
وعقوقه خير من برّه ، ولا تُبَرِّحُوا في حِكم ، فإنه من برّح في حب ، آل ذلك إلى
قيح بغض ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فانتقلب الدهر بنا فَبَرَّتْهُ ^(٢) ، واعلموا
أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هَرِمْتُ ، ودخلتني ذلة
فسكت ، وضعف قلبي فَأَهْتَرْتُ ^(٣) ، سلمكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥)

٤٢ - وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

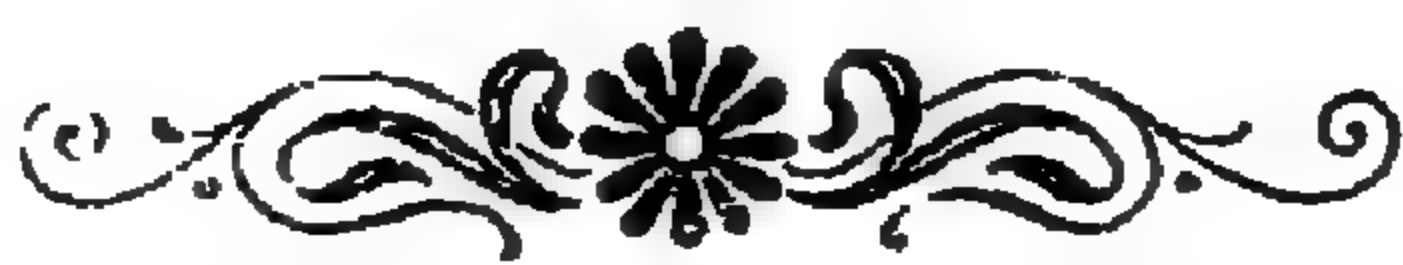
« يا بَنِيَّ قَدْ أَتَتْ عَلَيَّ مِائَةٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، مَا صَاحَتْ يَمِينِي غَادِرٌ ، وَلَا
قَنِعْتُ لِنَفْسِي بِمُخَلَّةٍ ^(٤) فَاجِرٌ ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةِ عَمٍّ وَلَا كِنَّةٍ ^(٥) ، وَلَا بُحْتُ
لصديقٍ بَسَرٌ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُوسِمَةِ قِنَاعَا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
- وروى : على دين شعيب - من العرب غیری وغير تميم بن مرة ، وأسد بن
خُزَيْمَةَ ، فموتوا على شریعتی ، واحفظوا وصیتی ، وإلهکم فاتقوا ، یُکَفِّمُ مَا أَهْمَّکُمْ ،
ویصلح لکم حالکم ، وإیّاکم ومعصیتہ ، فَيُحِلِّ بِکُم الدَّمَارَ ، وَیُوحِشُ مِنْکُم الدِّیَارَ ،
کونوا جمیعاً ولا تفرّقوا ، فتکونوا شیعاً ، وَبُرُّوا قَبْلَ ^(٦) أَنْ تُبَرِّثُوا ، فموت فی عزٍّ
خیر من حیاة فی ذلٍّ وعجزٍّ ، وكل ما هو کائن کائن ، وكل جمع إلى تباین ، والدهر

[١] بكأت الامة بكثا قل لبنا . [٢] باره : حرّبه . [٣] افتر بالفم ذهاب العقل من كبر أو
مرض أو حزن وقد اهتمهم مهتر بفتح التاء شاد وقيل اهتم بالبلاء للمجهول . [٤] الخلّة : الصداقة المختصة لا خلل
فيها تكون في غفاف وفي دطارة (والخلّة أيضا الصديق لذكر والأنثى والواحد والجمع) . [٥] الكنة :
امراة الابن أو الأخ جمعه كنائن . [٦] برّه : سلبه ، وفي النثل من عزّ برّ ، أي من غاب سلب .

صَرْفَانِ، صَرْفُ بَلَاءٍ، وَصَرْفُ رِخَاءٍ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانِ، يَوْمُ حَبْرَةٍ، وَيَوْمُ عَبْرَةٍ،
وَالنَّاسُ رَجُلَانِ، رَجُلٌ لَكَ، وَرَجُلٌ عَلَيْكَ، زَوَّجُوا النِّسَاءَ الْأَكْفَاءَ، وَإِلَّا
فَانْتَظَرُوا بَيْنَ الْقَضَاءِ، وَلِيَكُنْ أَطْيَبُ طَيِّبِ الْمَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْوَرْهَاءَ^(١)، فَإِنَّهَا
أَدْوَأُ الدَّاءِ، وَإِنْ وَلَدَهَا إِلَى أَفْنٍ^(٢) يَكُونُ، لَا رَاحَةَ لِقَاطِعِ الْقَرَابَةِ، وَإِذَا اخْتَلَفَ
الْقَوْمُ أَمَكَّنُوا عَدُوَّهُمْ، وَآفَةُ الْعَدُوِّ اخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ، وَالتَّفَضُّلُ بِالْحُسْنَةِ، يَقِي
السَّيْئَةَ، وَالْمَكَاافَةُ بِالسَّيْئَةِ دُخُولُ فِيهَا، وَعَمَلُ السُّوءِ يَزِيلُ النِّعْمَاءَ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ تَوْرِثُ
الْهَمَّ، وَاتِّهَافُ الْحَرَمَةِ، يَزِيلُ النِّعْمَةَ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ يُعَقِّبُ النِّكَدَ، وَيُخْرِبُ
الْبَلَدَ، وَيَنْحَقُّ الْعَدَدُ، وَالْإِسْرَافُ فِي النَّصِيحَةِ، هُوَ الْفَضِيحَةُ، وَالْحَقْدُ يَمْنَعُ الرَّفْدَ،
وَلِزُومُ الْخَطِيئَةِ، يَعْقِبُ الْبَلِيَّةَ، وَسُوءُ الدَّعَةِ، يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمُنْفَعَةِ، وَالضَّغَائِنُ
تَدْعُو إِلَى التَّبَايِنِ، يَا بَنِي، إِنِّي قَدْ أَكَلْتُ مَعَ أَقْوَامٍ وَشَرَبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرَتْ،
وَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ لَحِقْتُ، ثُمَّ قَالَ :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ	وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ دَهْوٍ دَهْوًا
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبَتِهِمْ	فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ، عَسِيرَ الْقِيَامِ	قَدْ تَرَكَ الدَّهْرَ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيَّتْ أَرَاغِي نَجُومِ السَّمَاءِ	أَقْلَبُ أَمْرِي بِطَوْنًا ظَهُورًا

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)



[١] المكاء : من وره كفرح : حق فهو أورده .

[٢] ضعف الرأي والعقل .

الباب الثاني

الخطبة الأولى

في

عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّأْيَ (١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبَتْكُمْ ،
وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَرْتُكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ لِرَسُولِ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ خَاصَّةٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةٌ ، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ سَيِّئًا نَامُونَ ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا
تُسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ
سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ، أَوْ لِنَارٍ أَبَدًا » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكامل لأن الأثير ٢ : ٢٧)

[١] طرسل في طلب الكلام .

٤٤ خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَق وَعْدَهُ ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ ^(١) أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فهو تحت قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةٌ ^(٢) الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةُ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فِيهِمَا الدِّينُ مُغْلَظَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً ^(٣) فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا ^(٤) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةُ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَبِرَا ، أَخَ كَرِيمٍ ، وَإِنْ أَخَ كَرِيمٍ ، قَالَ : اذْهَبُوا فَإِنَّكُمْ الطُّلُقَاءُ .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ،

وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣)

٤٥ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي أَنْشَيْعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ ، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبُوْنُهُمْ أَجْدَادُهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ ثَرَاهِمِهِمْ ، كَأَنَّا مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ ^(٥) ، طُوبَى ^(٦) لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا أَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ

[١] المكرمة . [٢] خدمه الكعبة . [٣] الحلقه : الحامل من البياض . [٤] تعظيم : تكبير .

[٥] الجوح : الإهلاك والاستئصال كالأجتياع . [٦] مؤث أطيح ، والحسن والحير وشجرة و

الجنة أو الجنة .

الذل والمنسكنة ، طوبى لمن زكّت وحسنت خليفته ، وطابت سريرته ،
وعزّل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من
قوله ، ووسّعته السنة ، ولم تستهوه البدعة . (صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

٤٦ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصَلُّوا الَّذِي يَدْنِيكُمْ وَيُبَيِّنُ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ
فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزَقُوا وَتُؤَجَّرُوا وَتُنْصَرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ
اقْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ ، فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، حَيَاتِي وَمَنْ بَعْدَ مَوْتِي ، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شِمْلَهُ ، وَلَا
بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا حِجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا
بِرَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ
سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ » . (إيجاز القرآن ص ١١٠)

٤٧ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ
أَحَادِيثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ
مِنْ كُلِّ قَلْبٍ ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ ، اعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ^(١) ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(إيجاز القرآن ص ١١٠)

٤٨ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضا أنه خطب بعد العصر فقال :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُوةٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرْتُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْنَعُ رَجُلًا خَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ . . . وَلَمْ يَزَلْ يُخَاطِبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ السَّعَفِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فَيَا مَضَى إِلَّا كَمَا تَقَى مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فَيَا مَضَى . » (إيجاز القرآن ص ١١٣)

٤٩ - خطبته بالخيف

وخطب بالخيف من منى فقال :

« نَصَّرَ ^(٢) اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيٍّ لَا فَقِيٍّ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيٍّ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يَنْفِلُ ^(٣) عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَوَّلَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

(إيجاز القرآن ص ١١٢)

[١] التقاة : التقوى . [٢] من النصرة والنصرة ، وهي الحسن .

[٣] غل صدره بغل كعرب غلا ، وهو الحقد والضغن .

٥٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس ، إن لكم معالِمَ ^(١) فانتهوا إلى معالِمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعِلٌ فيه ، وأجل باقي لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشببية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ ^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنةُ أو النار .

(تمذيب الكامل ١ : ٥ ، إيجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبيين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١)

٥١ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تعلّموا والله ليضعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا ، فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدّامة فلا يرى غير جهنم ، فن استطاع أن يقي وجهه من النار ، ولو بشق من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ^(٣) ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . » (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

[١] جمع معلم كذهب ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة المطهرة .

[٢] استعته أعطاه العتي (وهي الرضا والصفح) وطلب إليه العتي .

[٣] ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه ، أو الضعيف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه .

مؤثلاثه أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

٥٢ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره
وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترّة من الرسل ، وقلة من
العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من
الأجل ، من يضع الله ورسوله فقد رشّد^(١) ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ،
وصلّ ضلالاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن
يخضع على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ،
ولا أفضل من ذلك نصيحة . ولا أفضل من ذلك ذكر ، وإن تقوى الله لمن
عمل به على وجل ومخافة من ربه . عونٌ صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة ،
ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية ، لا ينوى بذلك إلا
وجه الله . يكن له ذكر في عاجل أمره . وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء
إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يؤدّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم
الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ، والذي صدّق قوله ، وأنجز وعده لا خلف
لذلك ، فإنه يقول عز وجل : « مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .
فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه
سيئاته ، ويُعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن تقوى الله
يوقى مقتته ، ويوقى عقوبته ، ويوقى سُخطه ، وإن تقوى الله يُدبّض الوجوه ،
ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تُفَرِّطُوا في جنب الله ، قد

علمكم الله كتابه ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ،
فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ
اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ، لِيُثْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ،
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَاتَّكِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، وَأَعْمَلُوا مَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ ،
وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ .

(تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٥٣ . خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّلْ فلا هادي
له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،
أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكام على طاعته ، وأُستفتح^(١) بالذي هو خير ،
أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أبن لكُم ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَقَامُ بَعْدَ عَامِي
هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا
رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟
اللَّهُمَّ أَشْهَد ! فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتِمِنَتْ عَلَيْهَا ، وَإِنْ رُبَا
الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ رَبًّا أَبَدًا بِهِ رَبَاعِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنْ
دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دَمٍ نَبْدَأُ بِهِ دَمَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَرْثِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٢) ، وَإِنْ مَأْثَرُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السِّدَّانَةِ وَالسَّقَايَةِ ، وَالْعَمْدُ

[١] الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . [٢] وكان مسترضاً في بني لُبَّثِ أَفْئَلْتَهُ بَنُو هَذِيلِ .

قَوَد^(١) ، وَشَبَّهَ الْعَمْدَ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٌ ، فَمَنْ زَادَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ^(٢) قَدْ رَضِيَ أَنْ يَطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّقُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا النَّسِيءُ^(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَإِنْ الزَّمَانُ قَدْ أُسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ^(٤) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوْطِئَنَّ فَرَشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،

[١] القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل . [٢] فى رواية الكامل لابن الأثير : «إن الشيطان قد يتس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تحمرون من أعمالكم» . [٣] أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام ، وهم حاربون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهراً آخر فيحلون المحرم ، ويحرمون صـ . فقرأ ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا ربيعاً الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يهتدون فى التحريم بمجرد العدد لاختصاصية الأشهر المعلومة ، وأول من أحدث ذلك حنادة بن عوف الكلابى كان يقوم على جبل فى الموسم فيناى : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم يادى فى القائل : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم . فحرموه - زيادة فى الكفر ، أى كفر آخر ضموا إلى كفرهم . ليواطئوا أى يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة ، وكانوا ربما زادوا فى عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً ، ولذا نسب على العدد المبين فى الكتاب والسنة ، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان فى السنة الثالثة التى حج فيها أبو بكر بالناس فى ذى القعدة ، وفى حجة الوداع فى ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام «إن الزمان قد استدار . . . الخ» - راجع تفسير الألوسى ج ٣ ص ٣٠٥ [٤] قالوا فى تلبية رجب وشعبان رجباً لتتليب .

وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ^(١) وَتَهْجُرُوهُنَّ
فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرَّحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ
وَكَسَوْتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ ^(٢) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْفُسْنَ شَيْئًا ،
أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ،
وَأَسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ
طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَد ! فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كِفَارًا يَضْرِبُ
بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ،
كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُذِّبَتْكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ
مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ،
أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَد ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ اللَّهُ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، وَلَا يَجُوزُ
لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ
الْحَجَرُ ^(٣) ، مَنْ أَدَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ^(٤) ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، العقد المرید ٢ : ١٣٠ ، إيجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١ ،
تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

[١] العسل : الحبس والنصيبي . [٢] جمع عازية من عنا ، أي خضع وذل ، والعاني : الأسير .

[٣] والعاهر : أي الرائي ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ،
أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاهما ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أي لائىء له .

[٤] الصرف : النوبة والعدل العدية ، وقيل الصرف العينة والعدل المثل ، وأصله في العدية يقال : لم
يقبلوا منهم صرمًا ولا عدلًا ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلًا واحدًا ، أي طلبوا منهم أكثر
من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .

٥٤ - خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال خذ يدي يا فضل ، فأخذت يده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وإنه قد دنا مني خُفُوقٌ ^(١) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جَلَدْتُ له ظَهْرًا ، فهذا ظَهْرِي فَلَيْسَتْ قِدْ ^(٢) منه ، ومن كنتُ شَتَمْتُ له عِرْضًا . فهذا عِرْضِي فَلَيْسَتْ قِدْ منه ، ومن أخذت له مالًا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يَخْشَ الشَّخْصَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فإنها ليست من شأني ، أَلَا وَإِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْحَلَّلَنِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أرى أن هذا غير مُعْنٍ عني حتى أقوم فيكم مرارًا . »

ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتته الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عِوضَهَا ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَقْلُ فُضُوحُ الدُّنْيَا ، أَلَا وَإِنْ فَضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ » ثم صلى على أصحاب أُحُدٍ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، ثم قال : « إِنْ عَبْدًا خِيَرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ، فَبِكِي أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : فَدِينَاكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَبَائِنَا . »

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤) .

[١] خفق النجم ينحني خفوقاً غاب والطائر طار والبل أكره . [٢] فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أماد القاتل بالقتيل قتله به ، واستفاد الماكم سأله أن يفيد القاتل بالقتيل .

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نؤتي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ، ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

٥٥ - خطبة سعد بن عبادة

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمداً عليه الصلاة والسلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً نُمئوا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً^(١) ، حتى أثنى^(٢) الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قريء عينٍ ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس »

[١] صاغراً ذليلاً : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

[٢] 'أثنى فلانا : أومنه ، والمراد أخضع .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبحت في القول ، وإن نعدو ما رأيت ، نؤتيك هذا الأمر ، وأتى عمر الخبير ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟ وأحسنهم مقالة من يقول : منّا أميرٌ ومن فريش أميرٌ » فمضيا مسرعين نحوهم ، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم ، فجاءوا وهم مجتمعون فقال عمر : أتدناهم وقد كنت زويت ^(١) كلاما أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ المنطق . فقال لى أبو بكر : رويدا حتى أتكلم ، ثم انطق بعد بما أحييت ، ونطق . فقال عمر : فما نى كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أوزاد عليه .

٥٦ - خطبة أبي بكر رضى الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هى من حجر منحوت ، وخشب منجور ^(٢) ، ثم قرأ : « وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » فمظّم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه ، على شدة أذى قومه لهم ، وتكذيبهم إياهم :

[١] زواه يزويه جمعه ، والمراد أعددت . ورواية العبد الفريد (٢ : ٢٠٤) زورت كلامي مسمى وزور المسمى ، حسه وقومه ، والمراد أيضا هيأت وأعددت . [٢] النحر : نحت الخشب .

وكلُّ الناس لهم مخالفٌ زارٍ^(١) عليهم ، فلم يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ ، وَشَنَفٍ^(٢) الناس لهم ، وَإِجْمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتُهُمُ الْعَظِيمَةُ فِي الْإِسْلَامِ ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ وَفِيكُمْ جَلَّةُ أَزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَيَسَّ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَتِكُمْ ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تُفْتَتُونَ بِمَشُورَةٍ وَلَا تُقْضَى دُونَكُمْ الْأُمُورُ »

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وهاكه »

٥٧ - نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رجما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسأمتنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في النية^(٣) . وأنصارنا على العدو ، أويتم وواسيتم ، جزاءكم الله خيرا ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحى من فريش ، فلا تنفسموا^(٤) على إخوانكم ما منحهم الله من فضله . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، حيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٣ ، البيان والنبين ٣ : ١٤٧)

[١] زرى عليه زراية طابه . [٢] شنف له كمرح أبعسه وتكره فهو شنف .

[٣] العيبة والحراج . [٤] نفس عليه بجير (كمرح) حسده ، ونفس عليه الشيء معاينة لم يره أهلا له .

٥٨ - خطبة الحباب بن المنذر

ثم قام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال :

« يا معشر الأنصار : املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيثكم وفي ظلكم ، وإن يجترئ مجترئ على خلافكم ، وإن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وينتقض عليكم أمركم ، فإن أبي هو لا ، إلا ما سمعتم ، فإنا أمير ومنهم أمير .

٥٩ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ^(١) ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وتولى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل يباطل ، أو متجانف ^(٢) لاثم ، أو متورط في هلكة ؟ »

٦٠ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتوه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ،

فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين مَنْ دان ، ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذَيْلُهَا
المُحَكَّكُ ، وَعُذَيْتُهَا المُرَجَّبُ ^(١) ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعَةً ^(٢) .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :
يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وَغَيَّرَ .

٦١ — خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد — أبو النعمان بن بشير — فقال :

« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كُنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ،
وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ،
فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضًا ، فإنَّ
الله وَلِيُّ المِنَّةِ علينا بذلك ، ألا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومُه
أحقُّ به وأولى ، وإيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا ، فاتقوا الله ولا
تخالقوهم ولا تنازعوهم » .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأَيُّهما شئتم فبايعوا ، فقالا
لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما
في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا
ينبغي له أن يتقدّمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك نبايعك ، وقام
الناس إليه فبايعوه . (تاريخ الطبري ٢٠٧ : ٣ ، والكامل لابن الأثير ١٥٨ : ٢)

[١] الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجري لئلا يثقل به وتترس ،
والمحك الذي تحك به ، والعذيق تصغير العذق (بالفتح) ، وهو النخلة ، والمرجب الذي جعل له رجة ، وهي
دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح
العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يسنشى برأيه وعقله
[٢] الجذعة : الشابة الفتية ، يريد الحروب والعارات .

خطب أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

٦٢ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي ! طِبْتَ حَيًّا ، وَطِبْتَ مَيِّتًا ، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقُطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبِيِّينَ ، فَمَظُمَتٌ عَنِ الصِّفَةِ ، وَجَلَلَتْ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَّصْتُ حَتَّى صَرْتُ مَسْأَلَةً^(٢) ، وَنَعَمْتُ حَتَّى صَرْنَا فِيكَ سَوَاءً^(٣) ، وَلَوْلَا أَنْ مَوْتِكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ^(٤) ، لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالْأَنْفُسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، لَأَنفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشَّيْثَانِ^(٥) ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ تَفْيَهُ عَنْهُ ، فَكَمَدُ وَإِدْنَانِ^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ . اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْنِي عَنَّا السَّلَامَ ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَانْكُنْ مِنْ بَالِكَ ، فَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نُقِمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللَّهُمَّ أَبْلَغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ! »

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها :
« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا

[١] تسجى البيت : تطيبه . [٢] خمس الشيء : من باب قد خصوراً فهو خاص : خلاف عم ، مثل اخص (وكلا الفعلين يستعمل متعديا ولازمًا) ، والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس ، فإنك مع ما اخصصت به من مناقب السوة قد نزل بك الموت ، فلعلباد فيك أسوة حسنة .

[٣] أي عمت مصيبتك جميع المسلمين صرنا نحن وقرباك سواء في الحزن عليك والافجع لفقدك .

[٤] يشير إلى قوله عليه السلام : « لَمْ يَقْبِضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مُقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخِيرُ » قَالَتْ طَائِفَةٌ : مَسْمُوعُهُ وَقَدْ شَخَّصَ بَصَرَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَخْتَارُنَا إِذَنْ ، وَقُلْتُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَحْدِثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ . [٥] جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين .

[٦] دنف المريض كعرج ، وأدنف : نعل ، والشمس : دنت لغروب واصفرت .

عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه . وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر . يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط^(١) ، ولا يشفلكم الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تُعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

٦٣ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس : إني قد وليت عليكم واست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

(العقد المرید ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣٠)

٦٤ - خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم لِيَتِمَّ بَعَثُ أُسَامَةَ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 « يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أُدْرِي لِعَالِمِكُمْ سَتَكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أُسْتَقِمْتَ فَتَابِعُونِي ، وَإِنْ زِغْتَ فَقَوِّمُونِي ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ ^(١) ضَرْبَةِ سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا ، أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَانًا ^(٢) يَعتَرِينِي ، فَإِذَا غَضِبْتَ فَاجْتَنِبُونِي ، لَا أُؤَثِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ^(٣) ، أَلَا وَإِنِّكُمْ تَعْدُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أُسْتَعْطِمَ الْأَيُّمِيُّ هَذَا الْأَجَلَ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلِ آجَالِكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لغيرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمْ ، الْجِدُّ الْجِدُّ ، وَالْوَحَا ^(٤) الْوَحَا ، وَالنَّجَاءُ ^(٥) النَّجَاءُ ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَيْثَ ^(٦) ، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعَةً ، أَحْذَرُوا الْمَوْتَ ، وَاعْتَبَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ ، وَلَا تَغْبِطُوا ^(٧) الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

[١] الظلامة . [٢] قال ابن الحديد : وأراد بالشیطان العصب ، ولم يرد أن له شیطاناً من مردة الجن يعتريه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن يعتاده وينوبه لكان في عداد المصروعين من الملائكة ، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لامن أوليائه ولا من أعدائه . [٣] أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة وهي ظاهر الجلد . [٤] العجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، ووحى : عجله . [٥] الإسراع أيضاً . [٦] سريعاً . [٧] غبطة : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه .

٦٥ - خطبة أخرى

قال الطبري : وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله
 بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحظ
 ظفرتم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين
 فقرم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين
 كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة
 في مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رمياً ، قد تركت عليهم
 القالات ^(١) الخيئات ، وإنما الخيئات للخيئين والخيئون للخيئات ، وأين الملوك
 الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كلاً ، ألا وإن
 الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ،
 والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجوتنا ، وإن
 أغترنا كنا مثلهم ، أين الوضاء ^(٢) الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا
 تراباً ، وصار مافرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ،
 وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلكت مساكنهم خاوية ، وهم
 في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً ^(٣) ؟ أين من
 تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ،
 فخلوا عليه ، وأقاموا للشقوة وللسعادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له

[١] القول : في الخير ، والقال والقليل والقالة : في الشر . [٢] الوضاء جمع وضى . وهو الحسن
 والنظيف ، وهو أيضاً وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجهه وضاء ، ون . [٣] الصوت الخفى .

ليس بينه وبين أحد من خلقه سببٌ يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءاً
إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يُدرك
إلا بطاعته ، أما وإنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ ، ولا شرٌّ بشرٍ بعده الجنةُ .
(تاريخ الطبري ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٦٧)

٦٦ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :
« إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرغ الناس رءوسهم ، فقال :
مالكُم يا مشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك من إذا ملك زهدهُ
الله فيما في يده ، ورغبةُ فيما في يَدَيْ غِبره ، وانتقصه شطرَ أجله ، وأشربَ قلبهُ
الإشفاق ، فهو يُحسِّدُ على القاييل ، ويتسخط^(١) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع
عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة . ولا يسكنُ إلى النقة ، فهو كالدرهم القسي^(٢) ،
والشراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت^(٣) نفسه ،
ونضب عمره ، وضحا ظله^(٤) ، حاسبه الله فأشدَّ حسابهُ ، وأفلَّ عفوهُ . ألا إن
الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسرورون
بمدي ملكا عضوضاً^(٥) ، وأمة شعاعاً^(٦) ، ودما مفاحاً^(٧) فإن كانت للباطل
تزوّة^(٨) ، ولأهل الحق جؤلة ، يعفوها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

[١] تسخط عطاءه : استقله ولم يقم منه موقفاً . [٢] الزائف . [٣] مات ووجبت الشمس
عبث ، والعين غارت . [٤] مات أيضاً . [٥] العضوض : ما يعص عليه ، وملك عضوض فيه
عسف وظلم . [٦] متعرة . [٧] أفاقه : أراقه . [٨] وثة .

واستشيرُوا القرآنَ ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد خَرَشَنَة ^(١) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٢٣ ، والبيان والذبيان ٢ : ٢١ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعشى ١ : ٢١٢ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٦٧ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله ، أحمدُه ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضل فإن تجد له وليا مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء بيده الخير ، وهو على كلِّ شئ قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، إلى الناس كافة ، رحمة لهم ، وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شرِّ حال فى ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعزَّ الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، فاطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كلِّ أمر ، وعلى كلِّ حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من

[١] خوشنة : بلد بلروم ، والمراد بلاد الروم .

الحديث خير، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ، وَمَاخِرُ
 مِنْ خَلْقٍ مِنَ التُّرَابِ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ؟ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ، وَغَدًا مَيِّتٌ، فَاعْمَلُوا
 وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرَدُّوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدِمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحْضَرًا، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
 مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
 بَعِيدًا، وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ». فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَرَاقِبُوهُ،
 وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ، وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ:
 صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ؛ فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَالْمُسْتَعَانَ
 اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، أَفْضَلَ
 مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَزَكَّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ، وَأَحْشُرْنَا فِي
 زُمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ.

(العقد الفريد ٢ : ١٣١)

٦٨ - خطبة له

وخطب أيضاً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:-
 «أوصيكم بتقوى الله، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرِّغْبَةَ
 بِالرَّهْبَةِ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالسَّأَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ:
 «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».
 ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ،
 وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْفَانِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ،

وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ ، فَتَقُوا بِقَوْلِهِ ، وَاتَّصِحُوا^(١) كِتَابَهُ ، وَاسْتَبْصِرُوا فِيهِ لِيَوْمِ
الْظُّلْمَةِ ، فَإِنَّهُ خَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَوَكَّلَ بِكُمْ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ^(٢) .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٢)

٦٩ — خطبة له في ندب الناس لفتح الشام

وَنُحِطُّ بِمَنْدَبِ النَّاسِ لِفَتْحِ الشَّامِ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، وَقَالَ :
« أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ اللَّهُ كِفَاهُ
اللَّهِ ، عَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ ، أَلَا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِإِيمَانٍ لَهُ ،
وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ
الثَّوَابِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحِبَّ أَنْ يُخَصَّ بِهِ ، هِيَ
التَّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْخِزْيِ ، وَأَلْحَقَ بِهَا الْكِرَامَةَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »
(تاريخ الطبري ٤ : ٣٠)

٧٠ — خطبة له في الأنصار

. وَوَصَلَ إِلَيْهِ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَاوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ ،
وَقَالُوا لَهُ فَضَّلْنَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَ لَكُمْ صَارَ مَا عَمِلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا ،
وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَانْصَرَفُوا ،
فَرَفَّقَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْزِلَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :
« يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلِّ آلِنَا ، وَشَاطَرْنَاكُمْ
فِي أَمْوَالِنَا ، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ، قُلْتُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ ،

[١] اتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : اتصحني فإني لك ناصح . [٢] وردت في ذلك « ثم
اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم طله . . . الخ » مما أورده ابن جرير
الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ٦٨

وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :
 جزى الله عنا جعفرًا حين أزيقت بنا نعلنا في الواطين فزلت
 أبوا أن يملؤنا ، ولو أن أمنا تلقى الذي يلقون منا ألمت
 هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت
 (زهير الآداب ١ : ٢٩)

وصاياہ

٧١ — وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبيه^(١) ، فقال :
 « يا أيها الناس : قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا^(٢)
 ولا تغدروا^(٣) ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ،
 ولا تقمروا^(٤) نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة
 ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كلة^(٥) ، وسوف ترمون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في
 الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية
 فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ،
 وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ،
 فاخفقوهم^(٦) بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله^(٧) . »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

[١] موضع بقرب مؤتة بمشارك الشام قتلوه والده زيد بن حارثة . [٢] غلّ يغلّ كنصر : خان كأغلّ ، وغلّ صدره يغلّ كنصر غليلاً وغلا حقد . [٣] غدروا وغدروا به كنصر وضرب وسمع .
 [٤] قمر النحلة : كنع فانتعرت قداهما من أصابها فسقطت . [٥] المأكلة ما أكل .
 [٦] خفقه ضربه بشيء عريض . [٧] وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من
 أبي بكر لزيد بن أبي سفيان — راجع القدرج ١ ص ٤٠

٧٢ — وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة مَبْعَثَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ خَيْرَ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا ذِهَانٌ^(١) وَالتَّفْرِيطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ فَوَامِ دِينَكُمْ ، وَعَصِمَةُ أَمْرِكُمْ فَلَاتَنْ ، وَلَا تَفْتُرْ . »
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٩)

٧٣ — وصيته لخالد بن الوليد

وقال لخالد بن الوليد : « سِرَّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ ، فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْحَمَلَةِ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ ، وَأَسْتَظْهَرُ بِالزَّادِ ، وَسِرَّ بِالْأَدِلَاءِ ، وَلَا تَقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ ، فَإِنْ بَعَضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرَسْ مِنَ الْبَيَّاتِ ، فَإِنْ فِي الْعَرَبِ غِرَّةٌ ، وَأَقْلَلْ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِنْ مَالَكَ مَا وَعَى عَنْكَ ، وَاقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَكَلِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِي سِرِّيَتِهِمْ ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ . »
(العقد العربي ١ : ٤٠)

٧٤ — وصيته ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان حين وَجَّهَهُ لِفَتْحِ الشَّامِ :
« إِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ لِأَبْلُوكَ وَأَجْرَبَكَ وَأُخْرَجَكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطْنِكَ

[١] الأذهان : للدهانة والنش .

مثل الذى يَرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم تَوَلّيا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرُّبا إليه بعمله ، وقد وَلَّيتك عمل خالد^(١) فَإِيَّاكَ وَعِيبَةُ^(٢) الجاهلية ، فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا ، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُحَبَّتَهُمْ ، وابدأهم بالخير ، وَعِدْهم إياه ، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ وَأَقْلِلْ لُبَّهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ ، وَلَا تُرِيْهِمْ^(٣) فَيَرَوْا خَلْلَكَ ، وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ ، وَامْنَعْ مِنْ قِبْلِكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلَّى لِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعِلَانِيَتِكَ ، فَيَخْتَلِطَ أَمْرُكَ ، وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْذُقِ الْحَدِيثَ تُصْذِقِ الْمَشُورَةَ ، وَلَا تَخْزُنْ عَنِ الْمُسِيرِ خَبَرَكَ ، فَتُؤْتِيَّ مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، وَاسْمُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَاتِيكَ الْأَخْبَارُ ، وَتَنْكَشِفُ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثِرْ مَفَاجَأَتِهِمْ فِي مُحَارَسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبَتَهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَعَقِّبْ^(٤) يَنْبَغِي بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا لِقَرَبِهَا مِنَ النَّهَارِ ، وَلَا تَخَفْ مِنَ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، وَلَا تَلِجَنَّ فِيهَا ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، وَلَا تَتَّخِذْ لَهَا مَذْقِعًا^(٥) ، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، وَلَا

[١] هو خالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيده إلى الشام أولاً ثم عرله . [٢] العيبة : الكبر والفخر ، وفي الحديث : (إن الله قد وضع عنكم عيبة الجاهلية) يعنى الكبر . [٣] من الريث وهو الإبطاء . [٤] عقبه تعقباً : جاء بعقبه . [٥] لا تتخذ : من خذا تتخذو كنصر وخذى يخذى كرضى إذ استرخى ، والمدقع : الهارب أو أشد الهزلى هزالا ، أى ولا تضعف ، ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

يكشِف الناس عن أسرارهم ، واكتفِ بعلايتهم ، ولا تجالس العيَّائين
وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدُقِ اللّقاء ، ولا تجبُنْ فيجبُنْ الناس ، واجتنب
القول^(١) ، فإنه يقربُ الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم
في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

٧٥ — وصيته لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل
لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تُقبلُ نافلةٌ حتى تُؤدَّى
الفريضة ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في
الدنيا و ثقله عليهم ، وحق ميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما
خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ،
وحق ميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله ذكر أهل الجنة
فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف
ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر
حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية
الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ،
ولا يلقى يده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائباً حباً إليك
من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائباً أبغضاً إليك من
الموت ولست بمعجز الله .

(البيان والبيان ٢ : ٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والعقد الفريد ١ : ٢٩٨)

٧٦ - كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ علىَّ من وجعي ، إني ولَّيتُ أموركم خيرَكم في نفسي ، فكلَّكم ورِّمَ أنْفُه أن يكون له الأمرُ من دونه ، والله اتَّخِذُنْ نَضَائِدَ^(١) الدِّيَاجِ وستور الحرير ، وتألَّمَنَّ النومَ على الصوف الأذْرَبِيِّ^(٢) ، كما يَأْلُمُ أَحَدُكُمْ النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانِ^(٣) ، والذي نفسي بيده ، لَأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضْرَبَ عُنْقُهُ فِي غَيْرِ حَدِّ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَخْوُضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا ، يَاهَادِي الطَّرِيقِ جُرُوتٌ إِنَّمَا هُوَ وَاللَّهُ الْفَجْرُ أَوْ الْبُجْرُ^(٤) » .

فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يَهْيِضُكَ^(٥) إلى ما بك ، فوالله ما زلتَ صالحاً مصلحاً ، لا تأسى على شيءٍ فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً .

(تهذيب السكامل ٦: ١ ، وإعجاز القرآن ١١٦ ، والعند الفريد ٢: ٢٠٨ ، وتاريخ الطبري ٤: ٥٢)

[١] جمع نضيدة ، وهي الوسادة وما ينضد من المتاع . [٢] نسبة إلى أدريجان .

[٣] نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسبب عليه ويمدوها غذاء لا يوجد في غيره ، وفي المثل : مره

ولا كلسدان . [٤] الأمر والأمر العظيم . يقول : إن انطرت حتى يحى لك الفجر والطريق أبصرت

نصرك ، وإن خبطت الظلما ، وركبت المشواء هجما بك على المكروه ، وضرب ذلك مثلاً لفترات الداء

وتجبرها أهالها . [٥] هاس العظم : كسره بعد الجبور .

خطب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

٧٧ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضي الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمّنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :
« إنما مثل العرب مثل جمل أنف^(١) اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٥٤ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٨ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : لما ولي عمر صعد المنبر فقال :
« ما كان الله ليبراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر ، ثم نزل عن مجلسه مرّقاه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تُعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، إنه لم يبلغ حقّ ذي حقّ أن يطاع في معصية الله ، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغنيت عفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرّم^(٢) البهمة^(٣) الأعراية ، القضم لا الخضم^(٤) » .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] أنف البعير : اشـ.تـكى أنه من البرة فهو أنف وآنف ، وى الحديث : « المؤمن كالجلل الأنف إن قيد انفاد ، وإن استنجح على صخرة استناخ » وذلك للوجع الذى به فهو دلول مفاد .
[٢] تقرّم الصبيّ أكل أكل ضعيفاً ، وذلك وى أول أكله . [٣] البهمة أولاد الصأن والعز والبقر .
[٤] الخضم : الأكل بأطراف الأسنان والخضم الأكل بآقى الأضراس .

٧٩ - خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي قَدْ وَلَيْتُ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْلَا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ خَيْرَكُمْ لَكُمْ ، وَأَقْوَامَكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَأَشَدُّكُمْ اسْتِضْلَاعًا ^(١) بِمَا يَنْوِبُ مِنْ مُهِمِّ أُمُورِكُمْ ، مَا تَوَلَيْتُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، وَلَكِنِّي عَمَرْتُ مَهْمًا مُخْزِنًا أَنْتَظَارُ مَوَاقِفَةِ الْحِسَابِ بِأَخْذِ حَقُوقِكُمْ كَيْفَ آخِذَهَا ، وَوَضْعِهَا أَيْنَ أَضْعُهَا ، وَبِالسَّيْرِ فِيكُمْ كَيْفَ أُسِيرُ ، فَرَبِّي الْمُسْتَعَانُ ، فَإِنْ عَمِرْتُ أَصْبَحَ لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا حِيلَةٍ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَعَوْنِهِ وَتَأْيِيدِهِ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ ص ١٢٤)

٨٠ - خطبة له

ثم خطب فقال :

« إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَلَّانِي أَمْرَكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا بِحَضْرَتِكُمْ لَكُمْ ، وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنِي عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَحْرُسَنِي عِنْدَهُ كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ فِي قَسْمِكُمْ كَالَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ، وَإِنِّي أَمْرٌ مُسْلِمٌ وَعَبْدٌ ضَعِيفٌ ، إِلَّا مَا أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنْ يَغَيِّرِ الَّذِي وَايَتْ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خَلْقٍ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّمَا الْعِظْمَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَلَا يَقُولُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنْ عَمِرْتُ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِيٍّ ، أَعْتَمَلَ الْحَقُّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَتَقَدَّمَ وَأَبِينُ لَكُمْ أَمْرِي ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ ، أَوْ ظَلَمَ مَظْلَمَةً . أَوْ عَتَبَ عَلَيْنَا فِي خَلْقٍ فَلْيُؤْذِنِي ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَحُرْمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ

[١] الذي في كتب اللغة « اضطلاع » يقال هو مضطلع بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلى ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هَوَادَةٌ ، وأنا حبيب إلى صلاحكم ، عزيز على عنتسكم ، وأنتم أناسٌ عامتكم حَضَر في بلاد الله ، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع ، إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مستول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومُطَّلِع على ما بمحضرتي بنفسى إن شاء الله ، لا أَكِلَهُ إلى أحد ، ولا أستطيع ما بَعْدَ منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للامة ، ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله . (تاريخ الطبرى ٢٦: ٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ : ١٢٤)

٨١ - خطبة أخرى

وقال ابن عبد ربه : وخطب إذ ولي الخلافة : صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَائِعٌ فَأُمْنُوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلْيَنِّ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، بِمَوَاقِفَةِ الْحَقِّ ، ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، وَارْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَأَهْلِ الدَّعَاةِ ^(١) وَالنِّفَاقِ ، مَنْ غَيْرَ ظَلَمَ مِنِّي لَهُمْ ، وَلَا اعْتَدَاءَ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَجِيحٌ ، فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ، قَصْداً مِنْ غَيْرِ مَرْفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَاجْعَلْنِي أُتْبَغَى بِذَلِكَ وَجْهِكَ وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ ، وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسيانِ ، فَالْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنِ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ ، فَارْزُقْنِي النِّشَاطَ فِيهَا ، وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا ، بِالْنيةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ

[١] الهجور .

وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياة منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على

(العقد الفريد ٢ : ١٢٣)

كل شىء قدير .

٨٢ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ :
« أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تذر كون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أمر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، فأظهرنا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يؤق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيعوا أمثواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطى^(١) فإنه إن لم يشف فيه يصف . أيها الناس : إني لو ددت أن أنجو كفافاً لالى ولا على ، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله

[١] القباطى (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القباطى بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل فى مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر) وشف الثوب يشف رقى أى ما تحته ، وقوله : فإنه يصف أى ما تحته من أجزاء البدن ويحدد لها لرقته وطرارته .

وإن لم يُعمل إليه نفسه ، ولم يُنصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف ، والقتل حتف من الخوف ، يصيب البر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعتمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاً ، فإن وجدته حديد الفؤاد فليشتره .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

٨٣ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا ، لنفسه وعبادته ، وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عامة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ، وحملكم في البر والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعا وبصرا ، ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بنى آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ ، خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها ، وفدحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مستخلفون في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان ، أمة مستعبدة للإسلام وأهله ، يتجرون لكم ، تستصفون^(١) معاشهم وكداثهم ورشح جباههم ، عليهم المئونة

[١] استصفى الشيء : أخذ منه صفوه .

ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله
فلوبهم رعباً ، فليس لهم معقِلٌ يلجئون إليه ، ولا مهزَّبٌ يتقون به ، قد دَهَمَتْهُمْ
جنود الله عز وجل ، ونزلت بساحتهم مع رَفَاغَةٍ ^(١) العيش ، واستفاضة المال ،
وتتابع البعوث ، وسَدَّ الشُّغُورُ بِإِذْنِ اللَّهِ في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه
الأمة على أحسن منها مَذَكَّانَ الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل
بلد ، فإِغْشَى أَنْ يَبْلُغَ مع هذا شُكْرُ الشَّاكِرِينَ ، وَدِكْرُ الذَّاكِرِينَ ، واجتهادُ
المجتهدين ، مع هذه النعم التي لَا يَحْصِي عِدْدَهَا ، وَلَا يَقْدِرُ قَدْرَهَا ، وَلَا يَسْتَطَاعُ
أَدَاءُ حَقِّهَا ، إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَلَطْفِهِ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي
بَلَّغَنَا هَذَا ، أَنْ يَرْزُقَنَا الْعَمَلَ بِتِلْكَ ، وَالْمَسَارَعَةَ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، فَذَكِّرُوا عِبَادَ اللَّهِ
بِإِلَاءِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَاسْتَتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَفِي مَجَالِسِكُمْ مِثْنِي وَفِرَادِي ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ قَالَ إِبْرَاهِيمَ : « أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ » وَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَادَّكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ
مُسْتَضْعَنُونَ فِي الْأَرْضِ » فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ مُحْرَمِينَ خَيْرَ الدُّنْيَا
عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ الْحَقِّ تَوَّاعُونَ بِهَا ، وَتَسْتَرِيحُونَ إِلَيْهَا ، مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَدِينِهِ ، وَتَرْجُونَ
بِهَا الْخَيْرَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، لَكَانَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ مَعِيشَةً ، وَأَعْظَمَ
النَّاسِ بِاللَّهِ جَهَالَةً ، فَلَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي ابْتَلَاكُمْ بِهِ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ حِظٌّ فِي دُنْيَاكُمْ ،
عَبْرَانِهِ ثَقَّةٌ لَكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ ، اتَّيَّ إِلَيْهَا الْمَعَادُ وَالْمُنْقَابُ ، وَأَنْتُمْ مِنْ جَهْدِ الْمَعِيشَةِ
عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ ، كُنْتُمْ أَحْرِيَاءَ أَنْ تَشِجُّوا عَلَى نَصِيبِكُمْ مِنْهُ ، وَأَنْ تُظْهِرُوهُ عَلَى

[١] رَفَغَ عَيْشَهُ كَكَرَمِ رَفَاعَةٍ : اتَّسَعَ ، وَالرَفَاغَةُ وَالرَفَاغِيَّةُ : سَعَةُ الْعَيْشِ وَالْحَصْبُ وَالسَّعَةُ .

غيره ، فَبَلَّهَ^(١) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أولم ن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله فَعَمِلْتُمْ له ، وَقَسَرْتُمْ أنفسكم على طاعته ، وجمعت مع السرور بالنعمة خوفاً لزوالها ولا تتقأها ، ووجلاً من تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة ، وهذا لله على من أمركم ونهيكم واجب . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ ص ١٢٥)

٨٤ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أبا بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذاً بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ، إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ، ثم المهاجرين الأولين ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا منأخ راحلته ، إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي ، فابتليت بكم ، وابتليت بي ، وإني لن يحضرنى من أموركم شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسن إليهم ، ولئن أساءوا لأنككن بهم . » (المعتمد العريد ٢ : ١٣٢)

[١] بله : اسم فعل بمعنى دع وأترك ، فما بعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فما بعدها مجرور بالإنشافة ، واسم مرادف لكيف فما بعدها مرفوع بالابتداء .

٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله الذي أعزَّنَا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ورَحِمَنَا بِنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وآلف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكَّن لنا في البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدَّقكم الوعد ، بالنصر على من خالفكم ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، وكُفِّرَ النعمة ، فقاما كفر قوم بنعمة ، ولم يَنْزِعُوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزَّهم ، وسُلِّطَ عليهم عدوُّهم ، أيها الناس : إن الله قد أعزَّ دعوة هذه الأمة ، وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها ^(١) ونصرها وشرفها فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين »
(المعتمد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٦ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أيها الناس : إنه أتى على حين ، وأنا أحسب أن مَنْ قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وإنه قد خُيِّلَ إلى أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل ، وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رُفِعَ الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما أعرفكم بما أقول لكم ، ألا فمن أظهر لنا خبراً ظنننا به خيراً ، وأثينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظنننا به شراً ، وأبغضناه

عليه ، أَقْدَعُوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ، فَإِنِهَا طُلَعَةٌ^(٢) وَإِنكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا
تَنْزَعُ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ ، إِنْ هَذَا الْحَقُّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ^(٣) ، وَإِنْ الْبَاطِلُ خَفِيفٌ
وَبِئْسَ^(٤) ، وَتَرَكُ الْخَطِيئَةَ خَيْرَ مَنْ مَعَالَجَةِ التَّوْبَةِ ، وَرَبُّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ،
وَشَهْوَةً سَاعَةً أَوْرَثَتْ حَزَنًا طَوِيلًا .

وفى رواية صاحب العقد : « أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أَبْعَثُ عَمَالِي لِيَعْلَمُوكُمْ دِينَكُمْ
وَسُنَّتَكُمْ ، وَلَا أَبْعَثُهُمْ لِيَضْرِبُوا ظُهُورَكُمْ ، وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ ، أَلَا مِنْ رَابِهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعَهُ إِلَى ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْصِنُكُمْ مِنْهُ ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتَ عَامِلًا مِنْ عَمَالِكَ ، فَأَدَّبَ رَجُلًا
مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضْرِبَهُ ، أَتَقْصِيهِ مِنْهُ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ عَمْرِئِ يَدِهِ لَا أَقْصِيهِ مِنْهُ ،
فَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُصُ مِنْ نَفْسِهِ^(٥) .

(البيان والبيان ٣ : ٧١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٧ - خطبته عام الرمادة

وخطب عام الرمادة^(٦) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَبَقِيَةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ :
(وَقَوْلُكَ الْحَقُّ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ

[١] قدعه كمنعه : كفه . [٢] نفس طامة : تكثر التطلع إلى الشيء . [٣] حميد العاقبة .

[٤] وخيم العاقبة . [٥] انظر خطبته صلى الله عليه وسلم رقم ٥٤ ص ٦٠ [٦] في السنة الثامنة
عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت كسي إذا ريمحت تراباً كالرماد ، فسمى ذلك العام
عام الرمادة (الطبري ٤ : ٢٢٣)

كَتَزْ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَحَفِظْتُهُمَا لِصَلَاحِ أُيُيْهِمَا ، فَاحْفَظْ اللَّهُمَّ
نَبِيكَ فِي عَمِّهِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي لَا تُهْمِلِ
الضَّالَّةَ ، وَلَا تَدَعِ الْكَسِيرَةَ بِمَضْيَعَةٍ ، اللَّهُمَّ قَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ وَرَقَّ الْكَبِيرُ ،
وَارْتَفَعَتِ الشُّكُورُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، اللَّهُمَّ أَغْنِهِمْ بِغِيَاثِكَ ، قَبْلَ أَنْ
يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ «
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى عَلَقُوا الْحِذَاءَ ، وَقَلَصُوا الْمَآزِرَ ، وَطَفِقَ النَّاسُ بِالْعَبَاسِ يَقُولُونَ :
« هَنِيئًا لَكَ يَا سَاقِي الْحَرَمِينَ » . (العقد الفريد : ١٣٢)

ندب الناس لقتال فارس

كَانَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِي أَمِيرَ جَيْشِ الْعِرَاقِ قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْمَدِينَةِ يَسْتَعِذُّهُ
فَأَلْفَاهُ مَرِيضًا ، وَوَصَّى أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى إِسْرَافِ الْجِيُوشِ مَعَهُ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا عَمِلَ بِهِ
عُمَرُ ، أَنْ نَدَبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى إِلَى أَهْلِ فَارَسَ ، قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، مِنْ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا
أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ وَجْهُ فَارَسَ مِنْ أَكْرَهِ الْوُجُوهِ إِلَيْهِمْ ، وَأَثْقَلَهَا عَلَيْهِمْ لَشِدَّةِ سُلْطَانِهِمْ ، وَشَوْكَتِهِمْ ،
وَعِزِّهِمْ ، وَقَهْرِهِمُ الْأَمَمَ - وَجَعَلَ يَنْدُبُهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَا يَنْتَدِبُ أَحَدٌ إِلَى فَارَسَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ
الرَّابِعَ عَادَ فَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْتَدِبٍ أَبُو عُبَيْدٍ بْنُ مَسْعُودٍ النَّقْفِيُّ -
وَالدَّ مُحْتَارٌ - وَتَتَابَعَ النَّاسَ ، وَتَكَلَّمَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ :

٨٨ - خطبة المثني بن حارثة الشيباني

« أَيُّهَا النَّاسُ : لَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكُمْ هَذَا الْوَجْهَ ، فَإِنَّا قَدْ تَبَجَّحْنَا ^(١) رِيفَ
فَارَسَ ، وَغَلَبْنَاكُمْ عَلَى خَيْرِ شَيْءٍ السَّوَادِ ، وَشَاطَرْنَاكُمْ وَنَلْنَا مِنْهُمْ ، وَاجْتَرَأْنَا مِنْ قِبَلِنَا
عَلَيْهِمْ ، وَلَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَعْدُهَا » .

[١] تبجح : تمكن في المقام والحلول كبحج ، والدار توسطها .

٨٩ - خطبة عمر رضى الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ^(١) ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطُّرَّاء ^(٢) المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِر دِينِهِ ، وَمُعِز نَاصِرِهِ ، ومُؤَلِّي أَهْلِهِ مواريت الأمم ، أين عباد الله الصالحون . . ؟ فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عليهم أولهم انتداباً ^(٣) وهو أبو عبيد وقال له : « اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث ^(٤) الذي يعرف الفرصة والكف » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصَرَفَ لكم الأقوال ، لِيُخَيِّبَ بها القلوب ، فَإِنَّ القلوب ميتة في صدورها حتى يُحْيِيهَا الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتبشيرٍ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهيئ ، واللين . وأما التبشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمراً باباً ، وَيَسِّرَ لكل باباً مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ،

[١] طلب السكّاء في موضعه . [٢] جمع طاري من طرأ عليهم كنع أقام من مكان أو خرج عليهم منه فجأة . [٣] نذب القوم إلى الأمر : دعاهم وحثهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . [٤] الرزين .

والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ،
وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصَانِع في ذلك أحداً ، واكتف بما
يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يُغْنِه شيء ، إني بينكم وبين
الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أَلْزَمَنِي دفع الداء عنه ، فَأَنْهَوْا شَكَاتِكُمْ
إِلَيْنَا ، فمن لم يستطع ، فإِلى من يُبَلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَعَتِّع .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر

وبلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغْضَباً حتى صَعِدَ
المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبيعها ، فأجمع رأينا كلنا
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان
يقاتل العرب بالوحي والملائكة ، يُمدُّه الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم
بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أوكلكم رأيي
على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أُجْرَ من السماء ، فتخطفنى الطير ، أحب
إليّ من أن يكون رأيي هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ، أيها الناس : أأن أكثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب
الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليُظْهِرَنَّ الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصَّدَقُ ، بَلْ تَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَذِمُّهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ : لَوْ مَنَّوْنِي عِقَالاً^(١) لَجَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ
عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ » ثُمَّ نَزَلَ . (تهذيب الكامل ١ : ٨)

وصاياہ

٩٢ - وصيته للجاهدين

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عِنْدَ عَقْدِ الْأُلُويَةِ :
« بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ ، امْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ، وَمَا النُّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ، وَلِزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْتَدُوا
إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تَجَبَّنُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا تَمْتَلُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا
عِنْدَ الظُّهُورِ^(٢) ، وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أُمْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا ، وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا اتَّقَى
الزُّحْفَانُ ، وَعِنْدَ شَنْ^(٣) الْغَارَاتِ » . (العقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٣ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

وَصَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ حِينَ أُمِّرَ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ فَقَالَ :
« يَا سَعْدُ سَعْدُ بَنِي وَهَيْبٍ ، لَا يَغُرُّكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ
وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ،

[١] العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، أو المراد به الحل مبالغة في الشدد . [٢] العلبة .

[٣] شَنْ الدارة عليهم : صلبها من كل وجه .

فالناس شَرِيفُهُمْ وَوَضِيْعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَأَلْزَمْتُهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عِظَتِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٤ - وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا

ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كرهه ، لَا يُخْلَصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّذُ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِحُ بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا ^(١) ، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ يَبْغِضُ الدُّنْيَا وَحُبَّ الْآخِرَةِ ، وَعِصَاهُ مِنْ عِصَاهِ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْ شَاءَ ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْعِلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعِلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَاهِبُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السِّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَرْهَدُ فِي التَّعَجُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مُحِبَّتَهُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا أَبْغَضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٥ - وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد :

« أما بعد : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضلُ العُدَّة على العدو ، وأقوى المسكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وأنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنصر عليهم بفضلنا لم تغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظَةً من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تَعْمَلُوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إنَّ عدونا شرٌّ منا ، فلن يُسلطَ علينا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عليهم شرٌّ منهم كما سُلِّطَ على بني إسرائيل (لما عملوا بِمَسَاحِطِ الله) كُفَّارُ المجوس ، فجاسوا خِلَالَ الديار وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العَوْنَ على أنفسكم ، كما تسألونه النصرَ على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم ، وترَفَّقْ بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشَّمهم مسيراً يُتعبهم ، ولا تُقَصِّرْ بهم عن مَنْزِل يَرْفُقُ بهم ، حتى يبلغوا عدوهم (وَالسَّفَرُ لم يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ) فإنهم سائرون إلى عدوِّ مُقيم ، حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ^(١) ، وأقم بمن معك في كلِّ جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم رَاحَةٌ يُحْيُونَ فيها

[١] الكراع من كلِّ شيء طرفه واسم يجمع الخيل .

أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ ^(١) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحِّ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصَّلْحِ
وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَشَقَّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٢) أَحَدًا مِنْ
أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ خُرْمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتَلَوْا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا
صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بِظُلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ،
وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأُذِكِ ^(٣) الْعِیُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْشَفُ عَلَيْكَ
أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ
وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالْغَاشِ عَيْنُ
عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ
الطَّلَاعُ ، وَتَبْتَ السَّرَايَا ^(٤) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ،
وَتَتَّبِعَ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ ^(٥) لِلطَّلَاعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَاسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ،
وَتُخَيِّرَ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلُ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ،
وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تَخْصُصْ بِهَا أَحَدًا
بِهَوًى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلُ خَاصَّتِكَ ، وَلَا
تَبْعَثَنَّ طَلِيعَةً ، وَلَا سَرِيَّةً ، فِي وَجْهِ تَخَوُّفٍ فِيهِ غَلَبَةٌ ، أَوْ ضِيعَةٌ وَنِكَايَةٌ ، فَإِذَا
عَايَنْتَ الْعَدُوَّ ، فَاضْمُمْ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَّلَاعَكَ وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ
وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعَاجِلْهُمْ الْمَنَاجِزَةَ ، مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ
عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَمَعْرِفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعْ بِعَدُوِّكَ ، كَصَنْعِهِ
بِكَ ، ثُمَّ أَذِكِ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ، وَتَيْقِظَ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ ، وَلَا تُؤْتِ

[١] رَمَهُ يَرْمُوهُ : أَصْلَحَهُ . [٢] رَزَأَهُ مَالُهُ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا . [٣] أَذَكَ عَلَيْهِ الْعِیُونَ : إِذَا
أَرْسَلَ عَلَيْهِ الطَّلَاعُ . [٤] جَمْعُ سَرِيَّةٍ ، وَهِيَ مِنْ حِمَّةٍ أُنْفُسَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ .
[٥] تَنْقَاهُ وَاتَّقَاهُ : اخْتَارَهُ .

بأسير ليس له عَقْدٌ^(١) إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، إِنْزَهَبَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكَ ، وَاللَّهُ
وَلِيَّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلِيَ النَّصْرَ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

(العقد المرید ١ : ٤٠)

٩٦ - وصيته للخليفة من بعده

وأوصى الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن
تَعْرِفَ لَهُمْ سَابِقَتَهُمْ ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن
مسيئتهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رِذَاءُ الْعَدُوِّ ، وَجُبَاةُ النَّفْسِ ،
لَا تَحْمِلُ فِيهِمْ ، إِلَّا عَنْ فَضْلٍ مِنْهُمْ ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل
العرب ، ومادة الإسلام ، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فتُرَدَّ عَلَى
فُقَرَاءِهِمْ ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن تقاتل من ورأهم ، وَلَا تَكْلِفُهُمْ فَوْقَ
طَاقَتِهِمْ ، إِذَا أَدَّوْا مَا عَلَيْهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ طَوْعًا ، أَوْ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وأوصيك
بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وَمَخَافَةِ مَقْتِهِ ، أَنْ يَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى رِيبةٍ ، وأوصيك
أَنْ تَخْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَأوصيك بالعدل في الرعية ،
والتفرغ لحوائجهم وشفورهم ، وَلَا تُؤَثِّرْ غِنِيَهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِنْ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
سَلَامَةً لِقَلْبِكَ ، وَحَظًّا لَوِزْرِكَ ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ ، حَتَّى تُفْضِيَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى
مَنْ يَعْرِفُ سِرِّكَ ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْتَدَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،
وَفِي حَدُودِهِ وَمَعَاصِيهِ ، عَلَى قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ ، ثُمَّ لَا تَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ رَافَةٌ
حَتَّى تَنْتَهِكَ مِنْهُ ، مِثْلَ مَا أَنْتَهَكَ مِنْ حَرَمَةِ اللَّهِ ، وَاجْعَلِ النَّاسَ عِنْدَكَ سَوَاءً ،

لا تبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة
والمحاباة فيما ولأك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك
من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ،
فإن اقترفت لذنباك عدلاً وعفة عما بسط الله لك ، اقترفت به إيماناً ورضواناً ،
وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا
لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك
وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى ،
فإن عملت بالذى وعظمتك ، وانتهيت إلى الذى أمرت ، أخذت به نصيباً وافراً ،
وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهكمك ، ولم تنزل معاضم الأمور عند الذى
يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء
مُشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل
القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظاً من موالاة
عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن راعظاً
لنفسك ، أنشدك الله لما ترخمت على جماعة المسلمين ، فأجللت كبيرهم ، ورحمت
صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالنفى فتبغضهم ،
ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقروهم ، ولا تجمرهم^(١) فى البعوث ، فتقطع
نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ،
فيا كل قويهم ضعيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢)

[١] جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقرهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله - وكان طلحة عائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

٩٧ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعلموا ، وأجيبوا تفقهوا ، فإن حايياً^(١) خير من زاهق^(٢) ، وإن جرعة من شروب^(٣) بارد ، أتقع من عذب موب^(٤) ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر^(٥) إليكم ، فلا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم ، ولا تتمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوتروا^(٦) ثأركم ، وتولتوا^(٧) أعمالكم ، لكل أجل كتاب ، ولاكل بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنيه يرعون^(٨) ، قلّدوا أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى ، وتلحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ، يقول أهلها ما يرون ، وتُحلّهم الحبوة كرى^(٩) ، ماعدت نياتكم معرفتكم ، ولا أعمالكم نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى الكلم ، علّقوا أمركم رَحْب الذراع فيما حلّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رِضاً منكم وكلكم رِضاً ، ومُقتَرماً^(١٠) »

[١] الحايى من السهام : ما يزحف إلى الهدف . [٢] السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .

[٣] الشراب والشرب والشروب : ما يشرب . [٤] أصله موبى مسهل عن موبى .

[٥] يرجع . [٦] قال فى اللسان : « دل الأزهرى : هو من الوتر (الثأر) يقال : وترت فلاناً إذا أصبه بوتر ، وأوترته أوجدته ذلك (أى أظفرت به ، أوجدت فلاناً مطلوبه أى أظفرت به) قال : والثأر ماها العدو لآله موضع الثأر ، والمعنى : لا توجدوا عمروكم الوترى أمسكم »

[٧] ألته : حقه يألته وآله قصه . [٨] ورع يروع : كورث من الورع ، وهو التقوى

[٩] رمل يضلّ فيه السالك ، والداهية . [١٠] مختاراً .

منكم وكلكم متعًى ، لا تطيعوا مُفسداً يتنصّح ^(١) ، ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ،
أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم .
ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

٩٨ - خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبياً ، وبعثه رسولا ، صدّقه وعدّه ، ووهب له
نصره ، على كلٍّ من بعدَ نَسَبَا ، أو قرب رَجَمَا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له
تابعين ، وبأمره مُهْتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره تقوم عند تفرُّق الأهواء ،
ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضله أئمةً ، وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منا ،
ولا يَدْخُلُ علينا غيرنا ، إلا من سَفِهَ الحقَّ ، ونكِلَ عن القصد ، وأخر بها يا بن
عوف أن تُترك ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وترك دماؤك ، فأنا
أولٌ محب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لى ولكم .
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

٩٩ - خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعى الله لا يُجْهَلُ ، ومحبيه لا يُخْذَل ، عند تفرُّق الأهواء ،
ولى الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوى ، ولن يترك مادعوتَ إليه إلا شقى ،
لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حَدَّتْ ، تُراح ^(٢) على أهلها ، وتحيا لآلئوت ،
لكان الموت من الإمارة نَجاةً ، والفرار من الولاية عِصْمَةً ، ولكن الله علينا
إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لئلا نغوت ميتة عُجْمِيَّة ^(٣) ، ولا نغمى فمى الجاهلية ،

[١] تنصح : تشبه بالنصحاء . [٢] أراح - راحه عليه : رده عليه .

[٣] العجمة : الكبر أو الضلال .

فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،
وأستغفر الله لي ولكم .

١٠٠ — خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديئاً ^(١) كان ، وآخرأ يعود ، أحمده لما نجاني من الضلالة ،
وبصرني من الغواية ، فبهدي الله فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كل
حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفر وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد
سلبت الأمانى قوما قبلكم ، ورثوا ماورثتم ، ونالوا ما نلتهم فاتخذهم الله عدوا ،
ولعنهم لعنا كبيراً ، قال الله عز وجل : « لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُذْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » إني نكبت ^(٢) قرني ،
فأخذت سهمي الفالج ^(٣) ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا
به كفيل ، وبما أعطيت عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف يجهد النفس ،
وقصد النصيح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لي ولكم ،
وأعوذ بالله من مخالفتكم .

١٠١ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن يات النبوة ،

[١] البديء الأول . [٢] الكب : الطرح والقرن المجبة . [٣] الفائز : الغافر .

ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نُعطه
 نأخذه، وإن نُمنّهُ نركب أعجاز الإبل، ولو طال الشرى، لو عهد إلينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت،
 لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق، وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلا بالله،
 اسمعوا كلامي، وعُوا منطقي، عسى أن ترَوْا هذا الأمر من بعد هذا المجمع،
 تُنتَضَى^(١) فيه السيوف، وتُخَان فيه اليهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون
 بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول :

فإن تك جاسم^(٢) هلكت فإني بما فعلت بنو عبد بن صنم

مُطِيع في الهواجر كل عي بصيرٌ بالنوى من كل نجم

(تاريخ الطبري ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٣٦)

خطب عثمان بن عفان

رضي الله عنه

١٠٢ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبري قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم
 كآبةً ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى
 عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« إنكم في دار قُلعة^(٣) ، وفي بقية أعمار ، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرُونَ

عليه ، فلقد أتيتُمْ ، صُبْحَتُمْ أو مُسَّيْتُمْ ، ألا وإن الدنيا طُوِيَتْ على الغرور ، فلا

[١] لعل . [٢] بنو جاسم حتى قديم . [٣] أي اغلّاع ، ومنزلاً منزل قلعة « بنسكين للام
 وضئها وفتحها » أي ليس يستوطن أو لا تملكه أو لا تدرى متى تتحول عنه .

تَفَرَّكُمْ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفَرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، اَعْتَبُوا بِمَنْ مَضَى ثُمَّ جِدُّوا وَلَا تَغْفُلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُغْفَلُ عَنْكُمْ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ آثَرُوهَا وَعَمَرُوهَا ، وَمُتَّعُوا بِهَا طَوِيلًا ، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ ؟ أَرَمُّوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا ، وَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا ، وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) . وَأَقْبَلِ النَّاسُ يَا يَعُونَهُ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٣)

١٠٣ - خطبته بعد البيعة

وَقَالَ أَيْضًا : خُطِبَ عُمَانُ النَّاسِ بَعْدَ مَا بُويعَ ، فَقَالَ :
« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ حُمِّلْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، أَلَا وَإِن لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : اتِّبَاعَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسُنَّتِي ، وَسُنَّةَ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسُنُّوا عَنْ مَلَأٍ ، وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا فِيمَا اسْتَوْجَبْتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِيتَتْ إِلَى النَّاسِ ، وَمَالُ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا تَتَّقُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٤٩)

١٠٤ - خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : لَمَّا وَلِيَ عُمَانُ صَعْدَ الْمَنْبَرِ ، فَجَلَسَ عَلَى ذُرْوَتِهِ ، فَرَمَاهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ :

« إِنْ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعِبَ ، وَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطْبَاءً ، وَإِذَا نَعِشَ لَكُمْ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والعمد الفريد ٢ : ١٣٣)

١٠٥ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب حين نقم الناس عليه ما نقموا ، فقال :

« إن أكل شيء آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، في هذا الدين عيابون ظأنون ، يظهرون لكم ما تحبون ، وبُسِرُورَ ما تكرهون ، يقولون لكم ونقولون ، طَنَامٌ^(١) . بل النعام ، يتبعون أول ناعق ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ إِلَيْهِمُ النَّارُحُ^(٢) ، لقد أفررتُم لابن الخطاب بأكثر مما نَقِمْتُم عليَّ ، ولكنه وَقَسَكُم^(٣) وَقَقَعَكُم^(٤) ، وزجركم زجر النعام المخزَّمة^(٥) ، والله إني لأقرب ناصراً ، وأعز نفراً . وَأَقْنُ - إن ولت هلم - أن تجاب دعوتي من عمر ، هل تفقدون من حقوقكم سبئاً ، فما لي لا أفعل في الحق ما أساء ؟ إذن فلم كنت إماماً ؟ »

(إنجيل المراتب ص ١١٨ ، صبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، البيان والبيان ١ : ٢٠٠)

١٠٦ - خطبته التي نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكنني منَّنتُ نفسي وكذَّبتُني ، وَضَلَّ عني رشدي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَنْ زَلَّ فَلْيَتَّبْ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَّبْ ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الْهَلَكَةِ ، إِنَّ مَنْ تَمَادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ) فَأَنَا أُولَ مَنْ اتْعَظُ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَتَلِي نَزْعُ

[١] أوعاد الناس الواحد والجمع فيه سواء ، أو واحد كسبابة . [٢] المورد النارج : الذي نزع ماؤه ، أي عاص وقلَّ أر بعد . [٣] وقم الدابة : يجذب عنها ، ووقه : قهره وأدله ، أوردته : أفتح الرد وحرته أسد الحزن . [٤] قعه : صرعه باللقعة وقهره وأدله . [٥] خرم البعير : حمل في حاب مدحرجه الخزامه والطير كلما محرومة ومحرومة لأن وترات أثرها منقوبة ، وكذا النعام .

وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فليُرُونِي رأيهم ، فوالله لئن رَدَّني الحق عبداً، لَأَسْتَتِنَنَّ بسنة العبد، وَلَأَذِلَّنَّ ذُلَّ العبد، وَلَأَكُونَنَّ كالمرقوق ، إن مُلِكَ صَبْرٌ ، وإن عُتِقَ شُكْرٌ ، وما عن الله مذهب إلا إليه ، فلا يَعْجِزَنَّ عنكم خيارُكم أن يدنوا إليَّ ، لئن أبَت يميني لتتابعنني شمالي .

(تاريخ الطبري ٥ : ١١١ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٨٠)

١٠٧ - خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمدُه ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، أما بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قواكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قميصاً قصصه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإنني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه » .

قالوا : إن هذا لو كان أول حَدَثٍ أحدثته ثم تبنت منه ، ولم تُقيم عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فإن تصلبوني أحبُّ إليَّ من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته ، وأما قواكم تقاتلون من دوني ، فإنني لا أمرُ أحداً بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبهشوا الرجال ، وألحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق ، فوالله الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا على » ،

فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً « فانصرفوا عنه ، وأذنوه بالحرب .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٨ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم ياهل المدينة ، أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ، ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتكم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ، ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون إن الله لم يستجب لكم ، وهُتَم عليه ، وأنتم أهل حقه ؟ أم تقولون هان على الله دينه ، فلم يبال مَنْ وَلَّى ، والدين لم يفرّق أهله يومئذ ؟ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة ، إنما كان مكابرة ، فوكل الله الأمة إذ عَصَتْهُ ، ولم يشاوروا في الإمامة ، أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى ؟ أنشدكم بالله أتعلمون لى من سابقة خير ، وَقَدَمَ خير ، قَدَمَهُ الله لى يَحِقُّ على كلِّ من جاء بعدى أن يعرفوا لى فضلها ؟ فهلا لا تقتلونى ، فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصائه ، أو كفر بعد إيمانه ، أو قتل نفساً بغير حق ، فإنكم إذا قتلتمونى وضعت السيف على رقابكم ، ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً » . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٩ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إن الله عزَّ وجلَّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يُعْطِكُمُوهَا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدِّينَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَّة ، وَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِ الْبَاقِيَّة ، فَأَتَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدِّينَا مَنقُطَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ ،

اتقوا الله جلَّ وعزَّ، فإن تقواه جُنَّةٌ من بأسِهِ، ووسيلةٌ عنده، واحذروا من الله
الغِيَرِ، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كتبتم
أعداء فآلف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً». (تاريخ الطبري ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

خطب الوفود

١١٠ - خطبة عطار د بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عَطَّارِدُ بْنُ حَاجِبٍ
ابن زرارة، في أشرف من بنى تميم، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله ﷺ
من وراء الحُجُرَاتِ : أن اخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله
ﷺ فخرج إليهم، فقالوا يا محمد، جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال
نعم، قد أذنت لخطيبكم فليقل، فقام إليه عطار د فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضلُ، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب
لنا أموالاً عظيماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره
عدداً، وأيسره عُدَّةً، فَمَنْ مِثْلُنَا فِي النَّاسِ، ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم؟
فَمَنْ يَفَاخِرُنَا فَلْيُعَدِّدْ مِثْلَ مَا عَدَّدْنَا، وَإِنَّا لَوْ نَشَاءُ لَأَكْثَرْنَا الْكَلَامَ، وَلَكِنَّا
نَحْيَا مِنَ الْإِكْثَارِ فِيمَا أَعْطَانَا، وَإِنَّا نَعْرِفُ بِذَلِكَ، أَقُولُ هَذَا الْآنَ لِتَأْتُونَا بِمِثْلِ
قَوْلِنَا، وَأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنَا، ثُمَّ جَلَسَ » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشَّامِ، قم فأجب
الرجل في خطبته، فقام ثابت فقال :

١١١ - خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

« الحمد لله الذي ، السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شئ قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وأتممه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم . »

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبرقان بن بدر ، فأنشد قصيدة في الفخر ، وبعث النبي ﷺ إلى حسان بن ثابت فرد عليه ، فقال الأقرع بن حابس التميمي : إن هذا الرجل لمؤتني له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٠ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)

١١٢ - عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر^(١) فقال عمرو :

« مطاع في أذنيه ^(١) ، شديد العارضة ^(٢) ، مانع لما وراء ظهره » فقال الزبرقان :
 « والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي »
 فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمر
 المروءة ^(٣) ، أحق الوالد ، لثيم الخال ، حديث الغنى » فلما رأى أنه خالف قوله
 الآخر قوله الأول ورأى الإنكار في عين رسول الله ﷺ ، قال يا رسول الله :
 رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت
 في الأولى ، واقد صدقت في الأخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
 ذلك : « إن من البيان لسيحرا » .

(البيان والدين ١ : ٣١ ، والعدد العريد ١ : ١١٧ ، وجمع الأسال المبداني ١ : ٥)

١١٣ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفة بن أبي زهير النهدي فقال :
 « يا رسول الله أتيناك من غوزى ^(٤) تهامة بأكوار الميس ، ترمى بنا العيس ^(٥)
 نستحلب الصبير ^(٦) ، ونستحلب الخبير ^(٧) ، ونستعضد ^(٨) البرير ، ونستحيل
 الرهام ^(٩) ، ونستحيل الجهام ^(١٠) ، من أرض غائلة النطاء ^(١١) ، غليظة الوطاء ،

[١] أى في الأدين . منه أى الأفريين ، وأصله أدين حدث نونه لإصافته إلى الصمير .

[٢] العارضة : قوة الكلام وتنقيحه والرأى الجيد . [٣] قليل الرودة . [٤] العور : كل ما انحدر معرباً عن تهامة ، والأكوار جمع : كور بالضم ، وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام ، أى بالأكوار المصنوعة منه . [٥] العيس جمع عيساء : الإبل البيض يخالط يابضها شقرة .

[٦] الصبير : السحاب الكثيف . [٧] العشب . [٨] استعضد الثمرة : اجتاعها ، والبرير ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلة الزاد . [٩] الرهام جمع رهمة بالكسر ، وهى المطر الضعيف الدائم ونستحيل نخال ونظان وسحابة نخيلة بضم فكسر أى تحسبها ماطرة . [١٠] الجهام : السحاب قد أراق مائه . [١١] النطاء : البعد ، أى بعيدة بعداً مهلكاً .

نَشِيفَ الْمَذْهُنِ ^(١) ، وَيَيْسَ الْجِعْنِ ^(٢) ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجُ ^(٣) ، ومات
الْعُسْلُوجُ ^(٤) ، وهلك الهَدْيُ ^(٥) ، ومات الْوَدِيُّ ^(٦) ، بَرِثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ
الْوَثْنِ وَالْعَنْ ^(٧) ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ،
مَا طَمَى ^(٨) الْبَحْرَ ، وَقَامَ تِعَارٌ ^(٩) ، وَلَنَا نَعَمٌ ، هَمَلٌ ^(١٠) ، أَغْفَالٌ ^(١١) ، مَا تَبِضُّ ^(١٢)
بِلَالٌ ، وَوَقِيرٌ ^(١٣) ، كَثِيرُ الرِّسْلِ ^(١٤) ، قَلِيلُ الرِّسْلِ ، أَصَابَتْهَا سُذْيَةٌ حَمْرَاءُ مُؤْزَلَةٌ ،
لَيْسَ بِهَا عَمَلٌ وَلَا نَهْلٌ .

١١٤ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهْمَ فِي مَحْضِهَا ^(١٥) وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَأَبْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدُّثْرِ ^(١٦)
يَبَانِعِ الشَّعْرِ ، وَافْجُرْ لَهُ التَّمْدُ ^(١٧) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ
كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ
مُخْلِصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ، وَدَائِعِ ^(١٨) الشَّرِكِ ، وَوَضَائِعِ الْمُلْكِ ، لَا تُلْطِطُ فِي الزَّكَاةِ ،
وَلَا تُلْجِدُ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تُثَاقِلُ عَنِ الصَّلَاةِ » . (العقد الفريد ١ : ١١٣)

[١] مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الحوض الماء : شربه . [٢] أصل النبات .
[٣] ورق كوردق السرو لشجر بالبادية . [٤] مالان واخصر من القيسان وعسلجت الشجرة :
أخرجته . [٥] ما يهدي إلى مكة لينجر . [٦] القليل (النخل الصغير) . [٧] الصم
الصنير . [٨] ابتلا وعلا . [٩] جبل يلاذ قيس . [١٠] مهلة والأعمال جمع غفل بالضم ، وهو
مالاسمة عليه من الدواب . [١١] بض الماء يبض : سال قليلا قليلا ، والبلال : الببل ، والمراد قلة
البن . [١٢] القطيع من الغنم . [١٣] الرسل : القطيع من كل شيء ، والرسل البن ، وسنية :
تصغير لعظيم لسة ، وهي القحط والمجاعة ، وحراء أي شديدة ، ومؤزلة ذات أزل بسكون الزاى ، وهو الضيق
والشد . [١٤] البن الحالص ، ومحض البن : أخذ زبد . والمذيق البن المزوج بالماء ، مذه فامتدق .
[١٥] الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء ، وأراد به هنا الحصب والنبات الكثير .
[١٦] الماء القليل لا مادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . [١٧] أى النائم التي تنم
من الشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقروا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضعة ، وهي ما يأخذها السلطان

١١٥ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظبيان بن حداد في سرّاة مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال
بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله :
« الحمد لله الذي صدّع^(١) الأرض بالنبات ، وفقق السماء بالرجع^(٢) ، ثم قال :
نحن قوم من سرّاة مذحج من يُحَايِر^(٣) بن مالك ، ثم قال : فتَوَقَّلتُ^(٤)
بنا القِلاصُ من أعالي الخوف ورءوس الهضاب ، يرفعها عُرُرُ^(٥) الرُّبا ،
ويخفيها بُطنان الرقاق ، وتلحقها دياجي الدُّجى ، ثم قال : وسرّوات الطائف
كانت ابني مهلائيل بن قينان ، غرسوا وذيانه ، وذللوا خيشانه^(٦) ورعوا قربانه ،
ثم ذكر نوحاً حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيه نباتاً ،
وأسرعهم نباتاً ، عاد وثمود ، فرماهم الله بالذُماليق^(٧) ، وأهلكهم بالصواعق ، ثم قال :

من الحراج والعشور. يريد أن يقول لهم : إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان الركبان ، العنائم ،
وإرث كاة ، فلا تعطلوا الركاة ، ولدا عقب ذلك القول بقوله : لا تلطط في الركاة أى لا تمنعها ، لططت حقه
جهدته كألططت ، ولا تلحد في الحياة : أى لا يمرى منكم ميل عن الحق ما دتم أحياء ، ولا تشاغل عن
عن الصلاة ، أى عن أدائها في وقتها ، ويروى : ولا ياطط في الركاة ، ولا يلحد في الحياة (بالباء للمجهول) ،
ولا تشاغل عن الصلاة . [١] شق . [٢] المطر بعد المطر . [٣] هو مراد بن مالك (وهو مذحج)
ان أد بن زيد بن يشع بن عريب بن زيد بن كهلان . [٤] تقول في الجبل : صعد ، والقلاص جمع
قلوص ، وهى النانة الشابه أو الباقية على الير ، والخوف : بلد بهمان . [٥] فى الأصل : «عوار»
ولامنى له هنا ، وأرى أن صوابه «عرد» جمع درة كقبة وعرة السنام : النخعة العليا ، أى دروته
وأعلاه ، أى أما تسير فى أعالي الرّبا وذراها ، وربما كان الأمل «عراهر» بفتح العين الأولى جمع عرعة
بضمهما ، وعرعة الجبل والسام وكلّ شيء رأسه ، وبطان جمع باطن ، وهو الدامض من الأرض ، أى
المطمئن منها ، والرقاق جمع رق بالفتح ، وهى كلّ أرض إلى جنب واد ينبسط الماء عليها أيام المد ثم ينضب
ودياجي الليل حنادسه كأنه جمع ديمجة ، والدجى جمع دجبة ، وهى الظلمة . [٦] الحشن والأخشن :
الأخرش من كلّ شيء جمعه خندان . [٧] الأملس : المستدير من الحجارة .

وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ ثَمُودَ تَسْكُنُ الطَّائِفَ ، وَهُمْ الَّذِينَ خَطُّوا مَشَارِبَهَا ،
وَأَتَوْا جَدَاوِلَهَا ^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَمِيرُ
مَلَكُوا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُهُولَ النَّاسِ وَأَغْمَارَهَا ^(٢) . وَرءُوسَ الْمُلُوكِ
وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَفَارِسُ الْحِمَاءِ ، وَالْجُزْيَةُ الصَّفْرَاءُ ^(٣) ،
فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النُّقْمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ
قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا
الْمَصَانِعَ ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِعَ ^(٦) ، ثُمَّ تَرَامَتِ مَذْحِجٌ بِأَسْنَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ ^(٧)
بِأَعْنَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَزِيزُ أَذْلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرِو بْنِ
خَالِدِ بْنِ جَذِيمَةَ يَخْبِطُونَ عَصِيدَهَا ^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرْشَحُونَ ^(٩)
خَصِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا أَقْلٌ وَأَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ
مِنْ خُرءٍ بُعِيضَةٍ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ ذَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ،
وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لِحَاقٌ » . (العهد العربي ١ : ١١٠)



[١] أُنِي الْمَاءُ تَأْتِيَةٌ سَهْلٌ وَأَصْلَحُ مَحْرَاهُ ، أَيْ سَهَّلُوا طَرُقَ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا . [٢] جَمْعُ غَرْمَنَتِ الْفَيْنِ ، وَهُوَ
الْحَدِثُ لَا تَجْرِبَةُ لَهُ ، وَالْعَرَارُ : الرَّفْعَةُ وَالسُّودُ . [٣] أَيْ الذَّهَبِيَّةُ . [٤] جَمْعُ شَرِيعَةٍ ، وَهِيَ مُورِدُ
الشَّارِبَةِ كَالْمَفْرَعَةِ . [٥] الْمَبَانِي مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . [٦] جَمْعُ دَسِيعَةٍ ، وَهِيَ الْجَفْنَةُ وَالْدَسَكْرَةُ .
[٧] تَنَزَّى : تَوَثَّبَ وَتَسَرَّعَ . [٨] الْعَصِيدُ : مَا قُطِعَ مِنَ الشَّجَرِ ، أَيْ يَضْرِبُونَهُ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ فَيَتَخَذُوهُ
عَلَقًا لِأَيْلِهِمْ . [٩] التَّرْشِيعُ : التَّرِيَّةُ وَحَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحَصِيدُ : مَا خُذَ مِنَ الشَّجَرِ وَنَحَى
عَنْهُ ، وَكُلَّ مَا قُطِعَ مِنْ عُودٍ رَطَبَ (فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ) أَيْ يَصْلَحُونَهُ وَيَقُومُونَ بِأَمْرِهِ .

خطب الوفود

بين يدى عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

١١٦ - خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غُرّةٌ مِّنْ خَلْقِنَا من قومنا ، وسادةٌ مِّنْ وِرَاءِنَا من أهلِ مصرنا ، وإِنَّكَ إِنْ تَصَرَّفْنَا بِالزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِنَا ، وَالْفَرَائِضِ لِعِيَالَتِنَا ، يَزِدُّ بِذَلِكَ الشَّرِيفُ تَأْمِيلًا ، وَتَكُنْ لَهُمْ أَبَا وَصُولًا ، وَإِنْ تَكُنْ مَعَ مَا نَمُتُّ^(٢) بِهِ مِنْ وَسَائِلِكَ ، وَنُذِلِي بِهِ مِنْ أَسْبَابِكَ كَالْحَدِيدِ^(٣) ، لَا يُحْمَلُ وَلَا يُرْتَحَلُ ، نَرْجِعُ بِأَنْوَفِ مَصْلُومَةٍ^(٤) ، وَجِدودِ عَائِرَةٍ ، فَمِحْنًا^(٥) وَأَهَالِيْنَا بِسَجَلٍ^(٦) مُتْرَعٍ مِنْ سِجَالِكَ الْمَتْرَعَةِ »

١١٧ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سَوِّدَ الشَّرِيفَ ، وَأَكْرَمَ الْحَسِيبَ ، وَازْرَعْ عِنْدَنَا مِنْ أَيْدِيكَ مَا تَسُدُّ بِهِ الْخِصَاصَةَ ، وَتَطْرُدُ بِهِ الْفَاقَةَ ، فَإِنَّا بِقُفِّ^(٧) مِنْ الْأَرْضِ يَا بَسْ »

[١] وفي البيان والتبيين : ابن وكيع . [٢] تتوسل به . [٣] في البيان والتبيين « كالجد » وفي نهاية الأرب « كالجدل » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالحدل » بحاء مفتوحة ودال مكسورة ، وصف من الحدل بفتحين وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خفة أو وجع لا يملك أن يقبضه ، وارتحل البعير ورحله : حطَّ عليه الرجل ، وإذا كان البعير حدلا فهو لا يرتحل لعدم توازن العدلين عليه ، وكذا لا يحمل من مبركه ليرتحل فهو إذن لا يستجدم ولا يفتنع به ، فالمعنى أنك إن لم تعطنا تكن كالبعير الحدل العديم الجدوى . [٤] المقطوعة من أصلها . [٥] الميع : الإعطاء . [٦] الدلو العظيمة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . [٧] ما ارتفع من الأرض كالتففة .

الأكناف ، مُقَشَّعِرِ الدُّرُوءَ ، لَا مُتَجَرِّ وَلَا زَرْعَ ، وَإِنَّا مِنَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ إِذْ أَتَيْنَاكَ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ .

١١٨ — خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِفَاتِيحَ الْخَيْرِ يَدُ اللَّهِ ، وَالْحَرَصُ قَائِدُ الْحِرْزِ مَنْ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَا يُغْنِي عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيْلًا وَلَا قَالًا ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ شَيْئًا يَكْفِيكَ وَفَادَةَ الْوُفُودِ ، وَاسْتِمَاحَةَ الْمُتَمَتَّاحِ ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ أَمْرٍ يُجْمَعُ فِي وَعَاثِهِ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْ عَسَى أَنْ تَقْتَحِمَهُ الْأَعْيُنُ فَلَا يُوفَدُ إِلَيْكَ »
(نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٣٩ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ ٢ : ٧١)

١١٩ — خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ مِفَاتِيحَ الْخَيْرِ يَدُ اللَّهِ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ وَفُودَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ نَزَلُوا مَنَازِلَ الْأُمِّ الْخَالِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمَنَازِلَ كَسْرَى وَقِصْرَ وَبَنَى الْأَصْفَرِ ، فَهَمُّ مِنَ الْمِيَاهِ الْمَذْبَةِ ، وَالْجَنَانِ الْمُخْصِبَةِ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى ^(٢) وَحَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ غَضَّةً قَبْلَ أَنْ

[١] استماعة : سأله العطاء والامتياح الإعطاء . [٢] الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حمراء وخضراء وتزول في مثل حولاء البقرة . يريدون الحصب وكثرة الماء والحصرة ، والسلي جلدة فيها الولد (من الناس والمواشي) .

تغير، وإنا نزلنا أرضاً نشأشة^(١) طَرَف في فلاة ، وطَرَف في ملح أجاج^(٢) ،
جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبَخة نشأشة لا يحف ترابها ، ولا ينبت
مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مَرِيء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا
يَسْتَعَذِب^(٣) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرْتَقُ^(٤) ولدها
ترقيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، فإِلَّا تَرَفَع خَسِيسَتَنَا^(٥) وَتُنْعِشَ رَكِيسَتَنَا^(٦)
وَتَجْبُرَ فَاقَتَنَا ، وتزید فی عیالنا عیالا ، وفي رجالنا رجالا ، وَتُصَفِّرَ^(٧) درهما ،
وتكبر قفيزنا^(٨) ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكننا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فإزات

أسمعها بعدها

(العقد اهرید ١ : ١١٦ ، وشرح العیون ٦٨)

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزدجرد ملك الفرس

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث
إلى يَزْدَجِرْدَ ملك الفرس رجالاً من أهل المنطرة^(٩) والرأى والجلد يدعونه، فاخترهم وأنفذهم
إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التَّزْجَانَ بينه وبينهم فقال : سلمهم ملجاء بكم وما دعاكم
إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمعناكم^(١٠) وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

[١] سبعة : نشأشة لا يجمت تراها ولا يبت مرعاها ، والسبعة بفتح الباء وسكونها أرض ذات تر و ملح .

[٢] ملح مر . [٣] استعذب : اسقى عذبا . [٤] التريق : إدامة النظر . [٥] رفعت من

خسيسته علت به فعلا فيه رفعه . [٦] الر كس : قلب أول الشيء على آخره ، وارتكس ارتكس ووقع .

[٧] صفره : صبه بصفرة ، أي تدلنا بالدرم الأبيض دينارا أصفر وتجعل فضتنا ذهباً .

[٨] مكيال . [٩] المنظر . [١٠] من أجم الماء إذا تركه يجتمع ، أي أرحناكم وانصرفنا عنكم .

فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آثرته ، قالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

١٢٠ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيَعْرِفُنَا الشَّرَّ ، وَيَنْهَانَا عَنْهُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةً إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ تُقَارِبُهُ ، وَفِرْقَةٌ تُبَاعِدُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، فَكَثُرَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْثُرَ ، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يَنْبِذَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَدَأَ بِهِمْ وَفَعَلَ ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهَيْنِ : مُكْرَهُ عَلَيْهِ فَاغْتَبَطَ ، وَطَائِعَ أَتَاهُ فَازْدَادَ ، فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضْلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضِّيقِ ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الْأُمَمِ ، فَندْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْصَافِ ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ دِينُ حَسَنِ الْحَسَنِ ، وَقَبِيحِ الْقَبِيحِ كُلِّهِ ، فَإِنْ أَيْتِمَ فَأَمْرُهُ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرِّ مِنْهُ ، الْجِزَاءُ ^(١) ، فَإِنْ أَيْتِمَ فَالْمُنَاجَزَةُ ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ قَبْلِنَا وَمَنْعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ . »



فقال يزدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشق ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذاتَ يمينٍ منكم ، قد نوكل بكم قُرى الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان غدر لحقكم ، فلا يغرنكم منا ، وإن

كَانَ الْجَهْدُ دَعَاكُمْ ، فَرَضْنَا لَكُمْ قُوَّةً إِلَى خِيَابِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ،
وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلَكَ يَرْفُقُ بِكُمْ ، فَقَامَ الْمَغِيرَةُ بْنُ زُرَّارَةَ فَقَالَ :

١٢١ - خطبة المغيرة بن زرارَةَ

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هُوَ لَا رِءُوسُ الْعَرَبِ وَوَجُوهَهُمْ ، وَهُمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ
مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَيَعْظُمُ حَقُوقَ الْأَشْرَافِ
الْأَشْرَافُ ، وَيَفْخَمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُوهَ لَكَ ،
وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يَحْسُنُ بِمَثَلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ،
فَجَاوِبُنِي لَا كُونَ الَّذِي أَبْلَغَكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ
تَكُنْ بِهَا عَالِمًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا
جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِسَ ، وَالْجِعْلَانَ ^(١) وَالْعِقَارِبَ
وَالْحَيَّاتِ فَتَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهْرُ الْأَرْضِ ، وَلَا نَبْلِسُ
إِلَّا مَا نَغْزِلُنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ ، دِينَنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُغَيِّرَ
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لِيَدْفِنَ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ
طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا
مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَاهُ ، فَأَرْضُهُ خَيْرُ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُهُ خَيْرُ
أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ أَكْثَرُ يَوْتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي
الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَمْنَا فِدْعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ أَوَّلَ مَنْ
تَرَبَّحَ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَبْنَا ، وَزَادَ وَتَقَصَّنَا

[١] جمع جعل بضم ففتح ، وهو الحرباء .

فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقفد الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى يصير كل شيء . وإن رحمتي أدرتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأجلكم داري دار السلام ، فتشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أذخته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أوتسلم فتنجي نفسك . فقال يزدجرد : أنستقباني بمثل هذا ؟ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ثم قال : اثنوني بوقر^(١) من تراب ، فقال احموه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

(تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٣)

١٢٢ - مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعت إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التزجآن (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا

بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى تُفْضَى إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١٢٣ --- خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبة ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن الله خالق كل شئ ورازقه ، فمن صنع شيئاً وإنما هو يصنعه والذي له ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، وعِظَم السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم ، ووضعهم فيكم ، وهوله دونكم ، وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه . ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرِّخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كَانَ شُكْرُكُمْ يَقْضَرُ عما أوتيتهم ، وأسألكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كننا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كَانَ عَظِيم ما تتابع علينا ، مستجلباً من الله رحمة يُرَفِّه بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١٢٤ — خطبة خالد بن الوليد فى وقعة اليرموك

وإلى خالد بن الوليد جيوش المسلمين ، وقد اجتمعوا باليرموك لحرب الروم .

وأراد قوادها الخروج إلى الروم متساندين ، ^(١) نخطبهم خالد ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية ، على تساند وانتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم ، حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به ، بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتة » .

قالوا فهات ، فما الرأي ؟ قال : « إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ^(٢) ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرِدَ كل رجل منكم يبلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دانَ لأحدٍ من أمراء الجنود ، ولا يزيد عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيئوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نرُدُّهم ، وإن هزمونا لم نُفْلِح بعدها ، فهلموا فلتعاور ^(٣) الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني أتأمر اليوم » فأمرؤه وهم يرون أنها كخَرَجاتهم ، فكان فيها النصر المبين للمسلمين .

(تاريخ الطبري ٤ : ٣٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

[١] أي تحت رايات شتى لاتجتمعهم راية أمير واحد . [٢] التياسر : النسايل .

[٣] تتعاقب عليها .

١٢٥ - خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبلّة (١)

حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 « أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء (٢) مذبرة ، وقد آذنت أهلها بصرم (٣) ،
 وإنما بقي منها صباة (٤) كصباة الإناء يضطربها صاحبها ، ألا وإنكم مفارقوها
 لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُلقى في النار من شفيرها (٥) ،
 فيتهوى فيها سبعين خريفاً (٦) ، ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة
 خمسمائة سنة ، ولثأتين عليها ساعة (٧) وهي كظيظ (٨) بالزحام ، ولقد كنت مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سابعة ، مالنا طعام إلا ورق البشام (٩) ، حتى
 قرحت أشداقنا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمر ، فشققتها بيني وبينه
 نصفين ، والتقطت برودة فشققتها بيني وبينه ، فأترزت بنصفها ، وأترز بنصفها ،
 وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط
 إلا تناسختها (١٠) جبرية ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيماً ، وفي
 أعين الناس صغيراً ، ومستجربون الأمراء من بعدى ، فتعرفون وتنكرون .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والبيان ٢ : ٢٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

[١] موضع قرب البصرة . [٢] السريعة الماصية التي لا يتعلق بها شيء . [٣] آذنت : أعلنت ،
 والصرم : القطع . [٤] الصباة : بقية الماء في الإناء . [٥] الشفير : حرف كل شيء .
 [٦] سنة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . [٧] من كراه الطمام ملاءة حتى لا يطبق
 النفس ، ورجل كظ وكظيظ ومكاد يوظ تبهظه الأمور حتى يعجز عنها . [٨] البشام : شعر عطر
 الرائحة يستاك به . [٩] في الحديث « لم تكن نبوة إلا تناسخت » أي تحوّل من حال إلى حال ،
 يعني أمر الأمة وتناير أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٢٦ - خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوايد بن عقبة بن أبى مُعَيْط من إمارة الكوفة ،
وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم
الكوفة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«والله لقد بُعِثت إليكم وإني لكاره ، ولكنى لم أجِدْ بداً إِذْ أُمرْتُ أَنْ أَتَمِرَ ،
ألا إن الفتنة قد أَطْلَمَتْ خُطْمَهَا ^(١) وعَيْنُهَا ، والله لَأُضْرِبَنَّ وَجْهَهَا حَتَّى أَقْمَهَا
أَوْ تُعَيِّنِي ^(٢) ، وإني لرائد ^(٣) نفسى اليوم » ثم نزل . (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

١٢٧ - الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حربَ القادسية ومعهما بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :
« يا بَنِيَّ ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره ،
إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخُذْتُ أباكم ، ولا فَضَحْتُ
خالكم ، ولا هَجَجْتُ ^(١) حَسَبَكُمْ ، ولا غَبَرْتُ ^(٢) نَسَبَكُمْ ، وقد تعلمون ما أَعَدَّ اللهُ
للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير
من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فإذا أصبحتم غداً ، فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ،

[١] الحطم . جمع خظام ، وهو ما وضع فى أنف البعير ليقناده به ، والمراد ظهورها ونشوبها .
[٢] أى تعجزنى . [٣] الرود : الطلب . [٤] النهجين : التقيج . [٥] غره : لطفه
بالنار ، أى دنست .

يُنْشِدُونَ الْأَرَاغِيزَ ، فقاتلوا حتى اسْتُشْهِدُوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » . فكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائة درهم ، حتى قبض وماتت الخنساء . (خزنة الأدب ١ : ٣٩٥)

١٢٨ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية^(١)

. قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إني أهيب لك منى لهم ، فقام عثمان فى الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذى ألف بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذى لا تُجْحَد نِعْمَاؤُهُ ، ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمداً صلى الله عليه وسلم ، فاختره بعلمه ، وَأُتِمَّتْهُ عَلَى وَحْيِهِ ، واختار له من الناس أعواناً ، قذف فى قلوبهم تصديقه ومحبه ، فأمنوا به وَعَزَّزُوهُ^(٢) وَوَقَّرُوهُ ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، فاستشهد^(٣) الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقى منهم من بقى ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم .

[١] فتحها عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمدّه عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .
[٢] التعزير : التفجيع والعظيم والإطاعة ، وهو أيضاً صرب دون الحد أو هو أشد الصرب ضد .
[٣] استشهد (مبنياً للمجهول) قتل فى سبيل الله .

أيها الناس : رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنا مع وال حافظ ،
حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ^(١) ، ويخفِضُ ^(٢) بنا في
الظهار ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعَجِّلُ الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيل اللبث
في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى انتهينا إلى
إفريقية ، فزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورُغَاء الإبل ، وقمعة
السلاح ، فأقمنا أياماً ، نُجِمُّ كُرَاعَنَا ^(٣) ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام
والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت
هذه أبعد ، فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نتائناهم ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما
يئس منهم قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه
إذا صَبَرَ واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقاتلناهم أشد القتال ، يوماً ذلك ،
وصَبَرَ فيه الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم
رجالاً من المسلمين ، فَبِتْنَا وَبَاتُوا ، وللمسلمين دَوِيٌّ بالقرآن كدوى النحل ، وبات
المشركون في خورهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها
بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ،
ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيثاً واسعاً ، بلغ فيه الخمس
خمسائة ألف ، فَصَفَقَ ^(٤) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمون قد قرَّت
أعينهم ، وأغنام النفل ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين ، أبشره وإياكم بما فتح الله

[١] الأبردان : الغداة والعشي . [٢] خفض بالمكان : أقام ، والظهار جمع ظهيرة .

[٣] الكراع : جماعة الخيل ، وأجم الفرس : ترك ركوبه . [٤] صفق الباب يصفقه وأصفقه

أغلقه أى أغلق عليها باب الحزان .

من البلاد ، وأذل من الشرك ، فاحمدوا الله عباد الله على آلائه ، وما أحل بأعدائه ، من بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فقبل بين عينيه وقال : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » يا بني ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت .
(العقد العريد ٢ : ١٤٩)

١٢٩ - خطبة السيدة عائشة في الانتصار لابيها

يُروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه فأرسلت إلى أزفلة^(١) من الناس ، فلما حضروا أسدلت^(٢) أستارها ، وعلمت ويسادها ، ثم قالت :

« أبى وما أبىه ، أبى والله لا تغطوه^(٣) الايدى ، ذاك طود^(٤) مُنيف^(٥) ، وفرع^(٥) مديد ، هيهات كذبت الظنون ، أنجح^(٦) إذا كدِتم^(٧) ، وسبق إذ ونِيتُم ، سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(٨) ، فتى قریش ناشئاً ، وكهفها^(٩) كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش^(١٠) مُمْلِقِها ، ويرأب^(١١) شَعْبَها ، وَيَلْمُ شَعَثَها ، حتى حلّيته^(١٢) قلوبها ، ثم استشرى^(١٣) فى دين الله ، فما برحت شكيمته^(١٤) فى ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ بفنائهُ مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبطلون ،

[١] جماعة . [٢] سده يسده : كنصر وصر وأسده أرخاه . [٣] تناولوه .

[٤] الطود : الجبل ، والمديف : المشرف . [٥] فرع كل شئ أعلاه ، ومن القوم شريهم .

[٦] أنجح : صار ذا نجح . [٧] الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفة العظيمة الشديدة

وحفر فأكدى إذا صادها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدى وجده مثلاً) ، وونيتم أى فترتم وضعتم .

[٨] العاية والنهى . [٩] الكهف : الوزر والملجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين

إلى إحدى وخمسين . [١٠] راش السهم يرشه ألرق عليه الریش كرشه ، والمراد بعينه ويساعده .

[١١] يصلح والذهب الصدع . [١٢] حلّى الشئ : استعلاه . [١٣] غضب ولج .

[١٤] الشكيمة الأنفة وفى اللجام الحديدية المعترضة فى فم العرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبى لايتقاد .

وكان رحمه الله غزير الدِّمعة ، وقيد^(١) الجوانح ، شجى^(٢) النشيج^(٣) ، فانقضت إليه
نسوان مكة وولدانها ، يسخرون منه ويستهنئون به « الله يستهنئ بهم » ،
ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون^(٤) ، فأكبرت ذلك رجالات من قريش ، فخت
قسيها ، وفوقت^(٥) سهامها ، وامثلوه^(٦) غرضاً ، فما قلوا له صفاة^(٧) ، ولا
قصفا له قناة ، ومرّ على سيّسائه^(٨) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه^(٩) ، ورست
أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسالاً^(١٠) وأشتاتاً ، اختار الله
لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤاقه^(١١) ،
ومدّ طنبه^(١٢) ، ونصب جباله ، وأجلب^(١٣) بخيله ورجله ، واضطرب حبل
الإسلام ، ومرج^(١٤) عهده ، وماج أهله ، وبغى الفوائل ، فظنت رجال أن قد
أكثبت^(١٥) أطماعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم ،
فقام حاسراً مشمراً ، فجمع حاشيته^(١٦) ، ورفع قطريه^(١٧) ، فردّ رسن^(١٨)
الإسلام على غربه^(١٩) ، ولم شعثه بطبه ، وانتاش^(٢٠) الدين فنعشه ، فلما

[١] الوقيد : الصريح والشديد المرض المشرف . [٢] الشجى : الحزين ، والنشيج : صوت البكاء
شجى الباكي ينشج بكلس عصّ بالبكاء في حلقه من غير اشتجاب . [٣] النشيج : صوت البكاء في الضلال .
[٤] فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . [٥] امثلوه : مثلوه .
[٦] الحجر الصلد : الضخم . [٧] شدته : حمله على سيّسائه الحق أى على حدّه ، والسيّساء : عظم
الظهر ، والعرب تصر به مثلاً لشدة الأمر . [٨] جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منخره .
[٩] جمع رسل بفتحين ، وهو القطيع من كل شيء . [١٠] نسطاطه . [١١] حبل طويل
يشدّ به مرادق البيت أو الوتد . [١٢] أجلب : صاح ، والحيل : الحيلة ، ومنه يا خيل الله اركبي ،
والرحل : اسم جمع راحل كالصعب والرك ، أى صاح بالركاب والمشاة وقرى ورجلك بكسر الجيم وضمها .
[١٣] المرج : بفتحين الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإعما يسكن مع الهرج) .
[١٤] أكثب : قرب ، والنهز جمع نهزة بضم النون وهى الفرصة . [١٥] حاشية كل شيء :
جانبه وطوره . [١٦] القطر : الناحية . [١٧] الحبل . [١٨] الغرب : حدّ الشيء .
[١٩] انتشل ونعشه الله كأنعشه ، ونعشه : رفعه .

أراح^(١) الحق على أهله ، وقرّر الرءوس على كواهلها^(٢) ، وحقن الدماء في
أهبا^(٣) ، أته منيته ، فسد ثلته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ،
ذاك ابن الخطاب ، فله درّ أم^(٤) حملت به ، ودّرت عليه ، لقد أوحدت^(٥) به ،
ففتح^(٦) الكفرة ، وديّنها^(٧) ، وشرّد الشرك شذر مذر^(٨) ، وبج^(٩) الأرض
وبجّعها^(١٠) ، فقامت أكلها^(١١) ولفظت خبأها ، ترأّمه^(١٢) ويصدف عنها ،
وتصدّى^(١٣) له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيثها ، وودّعها كما صحبها ، فأروني ، ماذا
ترثون ، وأيّ يومئ أبي تنقيمون ، أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظفنه إذ نظر
لكم^(١٤) ؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ،
فقلت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا .

(صح الأعمى ١ : ٢٤٨ ، والمقدّم ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠)

١٣٠ — رثاؤها لأبيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه ، وفقت عائشة على قبره فقالت :
« نصر^(١٥) الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت
للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث
بعد رسول الله صلى عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب

-
- [١] أراح على فلان حقه : ردّه عليه . [٢] الكاهل : معدم أعلى الظهر مما يلي العنق .
[٣] جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . [٤] الدرّ : الابن والنفس والعمل .
[٥] أوحدت المرأة : ولدت واحداً ، أى جاءت به منفرداً لا نظير له . [٦] أذلّ وقهر .
[٧] داخ البلاد : ودونها ، وديّنها : قهرها واستولى على أهلها . [٨] تفرّقوا شذر مذر :
ذهبوا في كلّ وجه . [٩] سفعها : كناية عن الصبح . [١٠] قهر أهلها واستخرج ما فيها من
الكنوز وأموال الملوك . [١١] الأكل : ما يؤكل ، أى أخرجت خيراتها . [١٢] تعطف
عليه ويصدف أى يعرض . [١٣] تمرض . [١٤] أى فيها يصلحكم فولى عليكم عمر .
[١٥] من النظرة والضارة بفتح النون وهى الحسن .

الله لِيَعِدُ بِحَسَنِ الصَّبْرِ فَيَكُ حُسْنُ الْعَوَظِ مِنْكَ ، وَأَنَا أَسْتَنْجِزُ . وَعُودَ اللهُ تَعَالَى
بِالصَّبْرِ فَيَكُ ، وَأَسْتَقْضِيهِ ^(١) بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ ، أَمَا لَنْ قَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، لَقَدْ قُتِ
بِأَمْرِ الدِّينِ ، لَمَّا وَهَى شَعْبُهُ ^(٢) ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ^(٣) ، وَرَجَفَتْ ^(٤) جَوَانِبُهُ ،
فَعَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ تَوَدِّعَ غَيْرِ قَالِيَةٍ ^(٥) لِحَيَاتِكَ ، وَلَا زَارِيَةٍ ^(٦) عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ .
(زَهْرُ الْأَدَابِ ١ : ٤٠ ، الْعُدَّةُ الْعَرِيدُ ٢ : ٧ ، نَبَايَةُ الْأَرْبِ ٥ : ١٦٧ ، الْبَيَانُ وَالتَّيْسُ ٢ : ١٦٠)

١٣١ - خُطْبَتُهَا حِينَ أَنْبِثَتْ بِقَتْلِ عُثْمَانَ

كَانَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَعُثْمَانُ مُحْصُورٌ ، ثُمَّ خَرَجَتْ
مِنْ مَكَّةَ تَرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا كَانَتْ بِسَرِفٍ أَنْبِثَتْ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ ، فَانْصَرَفَتْ إِلَى
مَكَّةَ ، فَقَصَّدَتْ الْحِجْرَ ، فَسَتَرَتْ فِيهِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهَا النَّاسُ ، فَقَالَتْ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْغَوْغَاءُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَأَهْلِ الْمِيَاهِ وَعَبِيدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا بِالْأَمْسِ ، وَتَقَمَّوْا عَلَيْهِ اسْتِعْمَالًا مِنْ حَدَثَتْ
مِنْهُ ، وَوَدَّ اسْتُعْمَلَ أَمْثَالُهُمْ قَبْلَهُ ، وَمَوَاضِعَ مِنَ الْحِمَى ^(٧) حَمَاهَا لَهُمْ فَتَابِعَهُمْ ،
وَنَزَعَ لَهُمْ عَنْهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا حُجَّةً ، وَلَا عَذْرًا ، بَادَرُوا بِالْعُدْوَانِ ، فَسَفَكُوا الدَّمَ
الْحَرَامَ ، وَاسْتَحْلَوْا الْبَلَدَ الْحَرَامَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَاللَّهُ لَا صَبْعَ
مِنْ عُثْمَانَ خَيْرَ مَنْ طَبَأَ الْأَرْضَ أَمْثَالَهُمْ ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الَّذِي اعْتَدَوْا بِهِ عَلَيْهِ ، كَانَ

[١] أَطْلَبَ قَضَاءَهُ . [٢] وَهَى ضَعْفٌ ، وَالشَّعْبُ الْجَمْعُ . [٣] الصَّدْعُ : الشَّقُّ .

[٤] اضْطَرَبَتْ . [٥] مَبْغُضَةٌ . [٦] عَائِيَةٌ وَلَائِمَةٌ . [٧] مِنَ الْمَطَاعِنِ الَّتِي وَجَّهَتْ إِلَى
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَمَى الْحِمَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَهُمْ سِوَاهُ فِي الْمَاءِ
وَالْكَلَاءِ ، وَلَمَّا سُئِلَ فِي ذَلِكَ قَالَ إِنَّمَا مَلِكْتُ ذَلِكَ لِأَجْلِ الصَّدَقَةِ ، وَقَدْ أَصْلَقْتُهُ الْآنَ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَرَوَى
الْوَائِدِيُّ أَنَّ عُثْمَانَ كَانَ يَحْمِي الرِّبْدَةَ وَالشَّرَفَ وَالْبَقِيعَ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْحِمَى بِعِيرِهِ وَلَا فَرَسٍ وَلَا لَبْنَى أُمِيَّةٍ ،
حَتَّى كَانَ آخِرَ الزَّمَانِ ، فَكَانَ يَحْمِي الدَّرَفَ لَا إِلَهَ ، وَكَانَتْ أَلْفُ بَعِيرٍ وَلَا يَلُحُّ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، وَيَحْمِي
الرِّبْدَةَ لَا يَلُحُّ الصَّدَقَةُ ، وَيَحْمِي الْبَقِيعَ لِحَيْلِ الْمُسْلِمِينَ وَخَبْلِهِ وَخَيْلِ بَنِي أُمِيَّةٍ - شَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ١ ص ٢٣٥

ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، أو الثوب من دَرَنه ، إذ ماصوه ^(١)
كما يُمَاص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٢)

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضى الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يشربون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٣٢ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله ، والبلد وما أُسْتُحِلَّ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إعزازَ دين الله عز وجل وسلطانَه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حَدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام . »

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جهورية الصوت

١٣٣ خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عز وجل ، وأثنت عليه وقالت :

« كَانَ الناس يتجنَّبون ^(٢) على عثمان رضى الله عنه ، وَيُزْرُونَ ^(٣) على عماله ،

ويأتوننا بالمدينة ، فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فننظر في ذلك فنجده بريئاً ،

[١] الموص : غسل لين والدك باليد . [٢] تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . [٣] زرى عليه :

طابه لأزرى لكنه قليل .

تقيًا وفيًا ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قووا على المكاثرة كآثروه ، فاقتحموا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة^(١) ولا عذر ، ألا إن مما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه ، وإقامة كتاب الله عز وجل : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم) الآية .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٢٥ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٣٤ - خطبة عدى بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام عليّ

لما شَخَصَ الإمام عليّ كرم الله وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدى بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي أخبرهم بمسيرك ، وأستنفرهم ، فإن لك من طيئ منل الذي معك ، فقال عليّ نعم فافعل ، فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيئ ، فقال لهم :

« يا معشر طيئ : إنكم أمسكتُم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشُّرك ، ونصرتُم الله ورسوله في الإسلام على الرَّذَّة ، وعلى قادمٍ عليكم ، وقد ضمنتُ له مثلَ عِدَّةٍ مِّنْ مَّعَةٍ مِنْكُمْ ، خَفَّفُوا^(٢) معه ، وقد كُنتُم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا في الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغامٌ كثيرةٌ ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنتُ عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولي ، فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضلٌ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل

المعاش لِلْعِيَالِ^(١) ، وفضول الخيل للجهاد ، وقد أظلمكم على^(٢) والناس معه من المهاجرين والبدرين^(٣) وَالْأَنْصَار ، فكونوا أكثرهم عددا ، فإن هذا سَبِيلٌ للحي فيه الغنى والسرور ، وللقَتِيل فيه الحياة والرزق .

فصاحت طي^(٤) نعم نعم ! حتى كَادَ أَنْ يُصَمَّ من صياحهم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٣٥ - خطبة زفر بن زيد

يستنفر قومه لنصرة علي^(٥) أيضاً

وقام إلى علي^(٦) زفر بن زيد الأسدي - وكان من سادة بني أسد - فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن طيئاً إخواننا وجيراننا قد أجابوا عدياً ، ولي في قومي طاعة ، فأذن لي فآتيهم ، قال : نعم ، فأتاهم فجمعهم ، وقال :

« يا بني أسد : إن عدي بن حاتم ضمَّ لِمَلي قومه ، فأجابوه ، وقضوا عنه

دِمَامَهُ^(٧) ، فلم يَعْتَلِ الْغَنَى بِالْغَنَى ، وَلَا الْفَقِيرُ بِالْفَقْرِ ، وواسى بعضهم بعضاً ، حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأثرة^(٨) ، وهم جيرانكم

في الديار ، واخلطواكم^(٩) في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقول الناس غداً :

نصرت طي^(١٠) ، وخذلت بنو أسد ، وإن الجار يُقاس بالجار ، كأنل بالنل ،

فإن خِفتم فتوسّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جبابهم ، وهذه دعوة لها ثَوَابٌ من

الله في الدنيا والآخرة . (الإمامة والسياسة ١ : ٤٦)

[١] جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإتيان عليه . [٢] أي الذين حفرُوا وفتحة بدر .

[٣] العهد والحرمة . [٤] أي يؤثر كل منهم أخاه على نفسه وبفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » [٥] الخلط . جمع خليط وهو الشربك

١٣٦ - خطبة سعيد بن عبيد الطائي

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بالرّبذة^(١) ، أتته جماعة من طي^٢ ،
فقبل لعلّ : « هذه جماعة من طي^٢ قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ،
ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ
المُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً » ثم دخلوا عليه ، فقال عليّ : ما شهدتمونا
به ؟ قالوا شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ،
وقاتلتهم المرتدين ، ووافيتم بِصِدْقَاتِكُمُ الْمُسْلِمِينَ » فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال :
« يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لسانه عما في قلبه ، وإني والله
ما كلّ ما أجِدُ في قلبي يُعَبِّرُ عنه لساني ، وسأُجْهِدُ (وبالله التوفيق) أما أنا
ف سأُنصَح لك في السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ، وأقاتل عدوك في كلِّ موطن ، وأرى لك من
الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك » .

قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُخِنُّ^(٢) ضميرك ، فقتل معه بصفين

(تاريخ الطبري ٥ : ١٨٤)

رحمه الله !

١٣٧ - خطبة أبي موسى الأشعري المتوفى سنة ٥٢ هـ

وكاتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري - وكان عاملاً على الكوفة -

ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فبَطَّطهم وخطبهم ، فقال :

[١] قرب المدينة ، وكان الامام حين بلعه خبر خروج عائشة وطلحة والزبير ، وأنهم قد توجهوا نحو العراق ،
[خرج من المدينة يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الرّبذة أتاه أنهم قد أمعنوا فأقام
بالرّبذة أياماً . [٢] يخين : أي يستر ويخفي .

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله جلَّ وعزَّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مؤدّيه إليكم ، كأن الرأي ألا تستخفوا بساطان الله عز وجل ، ولا تجترؤا على الله عز وجل ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ، فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة ^(١) من جراثيم العرب ، فأغمدوا ^(٢) السيوف ، وأنصلوا ^(٣) الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١١٣)

١٣٨ - خطبة أخرى له

وخطب أيضاً في هذا الصدد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، ياوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا . إن الفتنة إذا أقبلت شُبّهت ، وإذا أدبرت يُذت ، وإن هذه الفتنة باقرة ^(٤) كداء البطن ، تجري بها الشمال والجنوب ، والصبا ^(٥) والدبور ، فتسكن أحياناً ، فلا يُدرى من أين تأتي ، تذر الحليم كائن أمس ، شيهوا ^(٦) سيوفكم ، وقصدوا ^(٧)

[١] جرثومة الشيء : أصله . [٢] غمد السيف بضمه كنعز وصر ب وأغمد : جعله في العمد .

[٣] أنصل السهم ونصله بالتشديد : جعل فيه نصلاً وأزاله عنه - ضد - . [٤] فتنة باقرة صادعة للآفة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بالفاء ، وهي الداهية تكسر فقار الطهر .

[٥] الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابها .

[٦] شام سيفه بشيه : غمده واستله ضد . [٧] التقصيد والقصد : الكسر بأي وجه كان أو

رماحكم ، وأرسلوا مهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خلوا قريشاً إذا
أَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ ، وفراق أهل العلم بالإمرة ، تَرْتُقُ ^(١) فَتْقَهَا ،
وَتَشْعَبُ ^(٢) صَدْعَهَا ، فإن فعلت فلا تنفسها سَعَت ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ،
سمنها تَهْرِيقَ فِي أَدِيمِهَا ، استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يَسْلَمْ لَكُمْ دِينُكُمْ
ودنياكم ، ويشقى بِحَرٍّ هَذِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ جَنَاهَا .

١٣٩ - خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فشال ^(٣) يده المقطوعة ، فقال :

« يَا عَبْدَ اللَّهِ ^(٤) بَنَ قَيْسٍ ، رُدُّ الْفُرَاتِ عَنْ أَدْرَاجِهِ ^(٥) ، أَرُدُّهُ مِنْ حَيْثُ
يُحْيَى ، حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ ، فَسَتَقْدِرُ عَلَى مَا تَرِيدُ ، فَدَعْ عَنْكَ
مَا لَسْتَ مُدْرِكَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ : (أَلَمْ أَحْصِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
الْكَاذِبِينَ) سِيرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْفِرُوا ^(٦) إِلَيْهِ أَجْمَعِينَ ،
تَصِيبُوا الْحَقَّ .

١٤٠ - خطبة القعقاع بن عمرو

فقام القعقاع بن عمرو فقال :

« إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ ، وَعَلَيْكُمْ شَفِيقٌ ، أَحَبُّ أَنْ تَرْشُدُوا ^(٧) ، وَلَأَقُولَنَّ لَكُمْ

بالصف ورمح قصد كفرح وقصيد وأقصاد متكرر . [١] رتق الفتق : سده . [٢] الشعب :

الإصلاح والإفساد والجمع والتفريق ، ضد . [٣] رفع ، قطعت يده يوم جلوسه ، وقيل بالقادسية . في

قتال الفرس ، وقتل يوم الجمل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . [٤] هو اسم أبي موسى .

[٥] جمع درج بفتحين وهو الطريق . [٦] اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتاباً

تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرته ، قال أمرت أن تهر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ،

فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به . [٧] رشد : كنصر وفرح .

قولاً هو الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الأمر ، فلا تستنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول الذى هو الحق أنه لا بد من إمارة تنظم الناس ، وتترع^(١) الظالم ، وتُعز المظلوم ، وهذا على يلى بما ولى ، وقد أنصف فى الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

١٤١ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بد لهذا الأمر ، وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ، ويُعز المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٢) ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه فى الدين ، فمن نهض إليه ، فإننا سائررون معه . »

١٤٢ — خطبة الحسن بن على

وقام الحسن بن على رضى الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل فى العاجلة ، وخير فى العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعِينُونَا على ما ابتلينا به وابتليتُم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفرَ ، فإن كنت مظلوماً أعاننى ، وإن كنت ظالماً أخذ منى ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بمال ، أو بدلت حكماً ؟ فانفروا ، فمروا بالمعروف ، وانهبوا عن المنكر . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١١٤)

١٤٣ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بذي قار، دعا القعقاع بن عمرو، فأرسله إلى أهل البصرة، وقال له: إئت هذين الرجلين - طلحة والزبير - يا بن الحنظلية، « وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » فاذعُهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الفرقة، وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما، مما ليس عندك فيه وصاة^(١) مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر لبس عندنا منك فيه رأى، اجتهدنا الرأي، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي، قال: أنت لها.

فخرج القعقاع حتى قديم البصرة. فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فسلم عليها، وقال: أي أمه: ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني: إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير، حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني، ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرّفناه لنُصلِحَنَّ، ولئن أنكرناه لأُصلِح، قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه، فإن هذا إن ترك، كان تركاً للقرآن، وإن عمل به، كان إحياء للقرآن، فقال: قد قتلنا قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف، واعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلتت - يعني حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف

وهم على رجل ، فإن تركتموه كتمت تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتموهم والذين
اعتزلوكم فأديلو^(١)ا عليكم ، فالذى حذرتهم وقربتم^(٢) به هذا الأمر أعظم مما
أراكم تكرهون ، وأنتم أحيتهم مضر^(٣) وريعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم
وخذلواكم نصر^(٤)ة هؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم ،
والذنب الكبير .

فقلت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول ، هذا الأمر دواءه
التسكين ، وإذا سكن اختلجوا^(٥) ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير
رحمة ، ودرك^(٦) بئار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أيتم^(٧) إلا
مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر^(٨) وذهاب هذا النار ، وبشة الله في
هذه الأمة هزاهزها^(٩) ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما
كتمت تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ، ولا تعرضونا له ، فيضرعنا وإياكم ، وإني
الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف^(١٠) الأيتم حتى يأخذ الله عز وجل
حاجته من هذه الأمة ، التي قل^(١١) متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي
حدث ليس يُقدَّر ، وليس كالأمر ، ولا كقتل الرجل^(١٢) الرجل ، ولا النفر الرجل ،
ولا القبيلة الرجل .

فقالوا : نعم ، إذن قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع ، فإن قدم^(١٣) على ، وهو
على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر ، فرجع إلى علي^(١٤) فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف
القوم على الصلح^(١٥) . (تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

[١] أي علبوكم وانتصروا عليكم . [٢] قربه (كسم) قرب منه (ككرم) .
[٣] اضربوا وتفككوا . [٤] الهزيمة والهزائم : تحريك البلايا والحروب الناس .
[٥] ولكن السبطين أحبطوا مساعي الصلح ، إذ خرجوا في الغلس دون أن يشعر بهم أحد قصد مفرم
مضر البصرة ، وريعتهم ربيعة البصرة ، ويعنهم يمن البصرة ، ووضعوا فيهم السلاح . فتارك كل قوم في وجوه
أصحابهم ، ودارت رحى القتال بينهم ، وكلا الفريقين لا يعلم بكنه تلك المكيدة ، وكان بينهما ما كان .

١٤٤ - خطبة علي بن أبي طالب

فلما رجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير ، جمع الإمام عليّ الناس ، ثم قام على الغرائر ، فحمد الله عز وجل ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجاهلية وشقاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة ، بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم حدث هذا الحدث ، الذي جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد ، ألا إني راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء ، في شيء من أمور الناس ، وليُغْنِ السفهاء عن أنفسهم . (تاريخ الطبري ٥ : ١٩٤)

١٤٥ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة رضي الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :
« أيها الناس : صه صه ، إن لي عليكم حقّ الأمومة ، وحرمة الموعظة ، لا يَتَّهِمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَخْرِي^(١) وَنَحْرِي ، فأنا إحدى نسائه في الجنة ، له ادّخرني ربّي ، وخلصني من كل بضاعة ، وبني مَيِّزَ منافقكم من مؤمنكم ، وبني أرخص الله لكم في صَعِيدِ الأَبْوَاء^(٢) ، ثم أبي

[١] السر : الرّة . [٢] الصعيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جلّ وعلا) للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به ، وفي الحديث : « عن عائشة رضي الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بدأت الجيش انقطع عهدي ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأقن الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت

ثاني اثنين الله ثالثهما ، وأول من مئى صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب جبل الدين بعده ، ففسك أبى بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الرّدة ، وأطفأ ما حش^(١) يهود ، وأنتم يومئذ جُحْظُ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فرأب^(٢) الثأى^(٣) ، وأود^(٤) من الغلظة ، وانتاش من الهوة ، وأجتنحى^(٥) دفين الداء ، حتى أعطن^(٦) الوارد ، وأورد الصّادر ، وعل^(٧) الناهل ، فقبضه الله إليه ، واطناً على هامات^(٨) النفاق ، مذكياً^(٩) نار الحرب للمشرّكين ، فانتظمت طاعتكم بحبله ، فولى أمركم رجلاً مرعياً إذا ركن إليه ، بعيد ما بين اللابتين^(١٠) ، عرّكة للأداة يحنّبه^(١١) ، صفوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل فى نصرة الإسلام ، فسلك مسلك السابقة ، ففرّق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نضب المسألة عن مسيرى هذا ، لم أتمس إثمًا ، ولم أونس فتنة أوطئكموها ، أقول قولى هذا صدقاً وعدلاً ، وإعذاراً وإنذاراً ، وأسأل الله أن يصلى على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين . (العقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

طائشة ، أدامت رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله قد دام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت طائشة معاذى أبو بكر ، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعننى بيده فى خصرتى ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، وأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيفة التصغير) ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر ، قالت فحشا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحه . (راجع الحديث كاملاً فى باب التيمم من صحيح البخارى ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . [١] حش النار : أوقدها . [٢] الثأى والثأى بسكون الهزة وفتحها : الإفساد . [٣] أودّه فتأود : عطفه فاسطف . [٤] اجتناه : استأصله . [٥] أعطى الإبل : حبسها عند الماء . [٦] العلّ والعلل : (بفتحين) الشرب بعد الشرب تبعاً على يعمل بكسر العين وضهما ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفتح . [٧] جمع هامة وهى الرأس . [٨] مشعلا . [٩] اللابة : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارة نخرة سود) ولابتاً المدينة حرتان تكتنفانها ، أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له اللابة كما يقال رحب الماء واسع الجباب . [١٠] أى يترك الأذى بجنبه أى يحتمله . وفى هذه الخطبة تحريف شديد فى الأصل وقد اصلحته كما يتبين بالمراجعة .

١٤٦ - خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ - وكان على ثغر همدان استعمله عليه عثمان - كتاباً يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب الجمل ، وما أُوتى من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على جرير بكتاب علىّ وقرأه جرير ، قام زفر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن عليّاً كتب إليكم بكتاب ، لا نقول بعده إلا رَجِيماً ^(١) من القول ، إن الناس بايعوا عليّاً بالمدينة غير محابةٍ ببيعتهم ، لعلمه بكتاب الله ، وَيُرَى الحق فيه ، وإن طلحة والزبير نقضاً بَيْعَةَ عَلِيٍّ على غير حَدَث ، ثم لم يرضيا حتى نَصَبَا له الحرب ، وألبَا ^(٢) عليه الناس ، وأخرجوا أم المؤمنين عائشة من حِجَابِ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، فاقبيها فأعذر في الدعاء ، وَخَشِيَ البغي ، وَحَمَلَ الناس على ما يعرفون ، فهذا عِيَان ^(٣) ما غاب عنكم ، وإن سألتهم الزيادة زدناكم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٧ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجليّ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وهو المأمون على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمرِ عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أَقْضِيَّتِهِ ، وقد بايعه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو

[١] الرجيع : كل مردّد . [٢] حرّضنا . [٣] مصدر طين الشيء إذا رآه بعينه .

جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحقّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة ، وعليّ حاملكم ما استقمتم له ، فإن ملتم أقام ميثلكم .
قال الناس سمعاً وطاعة ، ورضانا رضا من بعدنا .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٨ - خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام عليّ كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس - وكان عاملاً بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان - بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبد الله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب عليّ ، قام زياد بن كعب خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عاينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضا بيعه عليّ على غير حدث ، وأخرجوا أم المؤمنين علي غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة ، فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٤٩ - خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولأني أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس علياً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » . (الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

فتنة معاوية

استطلاع الامام على كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد السير إلى الشام

لما أراد الامام على كرم الله وجهه السير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

١٥٠ - خطبة الامام على

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَّاجِيحُ الْحِلْمِ ، مُبَارِكُوا الْأَمْرَ ، مَقَاوِيلُ الْحَقِّ ، وقد عزمنا على السير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٥١ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جدُّ خَيْرٍ ، هم لك ولأشيائك أعداء ، وهم لمن يطلب حرَّث^(١) الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لَا يُقُونُ جُهْدًا ، مُشَاحَّةً^(٢) على الدنيا ، وَضِنًا^(٣) بما في أيديهم منها ، ليس لهم إِرْبَةٌ^(٤) غيرها ، إِلَّا مَا يَتَّخِذَعُونَ بِهِ الْجُمَّالَ ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ، كَذَبُوا ! ليسوا لدمه يَنْفِرُونَ^(٥) ، ولكن الدنيا يطلبون ، انهض بنا إليهم ، فإن أجابوا إلى الحق ،

[١] أى متاعها . [٢] بخلا عليها وحرصا . [٣] ضن ضنا : بالكسر وضنائة بالفتح بخل .

[٤] الإربة : الأرب . [٥] نفر للأمر : ذهب له .

فليس بعد الحق إلا الضلال ، وإن أبوا إلا الشقاق ، فذاك ظنى بهم ، والله ما أراهم يبايعون ، وقد بقى فيهم أحد ممن يُطاع إذا نهى ، ولا يسمع إذا أمر .

١٥٢ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن استطعت أن لا تُقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعمار^(١) نار الفجرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظهم ورؤسدهم ، فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلا حربنا ، فوالله إن سفك دماهم ، والجِدَّ في جهادهم ، لقربةٌ عند الله ، وكرامة منه . »

١٥٣ - خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين : انكش^(٢) بنا إلى عدونا ولا تُعرج ، فوالله لجهادهم أحبُّ إلى من جهاد الترك والروم ، لإدهانهم^(٣) في دين الله ، واستدلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل حبسوه وضربوه وحرّموه وسيرّوه^(٤) ، وفيتنّا لهم في أنفسهم حلالاً ، ونحن لهم فيما يزعمون قطين^(٥) . »

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزّيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لم تقدّمت أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أمّا إني عارف

[١] أى اشتعال . [٢] انكش وتكش : أسرع . [٣] الادمان : المداينة والمش .

[٤] المراد أبعده . [٥] القطين : الرقيق والخدم .

بفضلكم ، مُعظم لشأنكم ، ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى فى صدوركم ، جاش حين ذكرت الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجيب أمير المؤمنين عليه السلام عن جماعتكم .

١٥٤ - خطبة سهل بن حنيف

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين : نحن سلمٌ لمن سالمت ، وحربٌ لمن حاربت ، ورأينا رأيك ، ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم فى أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخص ، وتُخبرهم بما صنع لهم فى ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد ، وهم الناس ، فإن استقاموا لك ، استقام لك الذى تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خلافٌ منا ، متى دعوتنا أجبتك ، ومتى أمرتنا أطعناك . »

١٥٥ - خطبة الامام على

وقام الإمام على خطيباً على منبره ، يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ، لقتال أهل الشام ، فقال :

« سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والسُنن ، سيروا إلى بقية الأحزاب ^(١) ، وقتلِ المهاجرين والأنصار . »

فقام رجل من بنى فزارة فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام تقتلهم كلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلتهم كلاً ؟ ها الله ^(٢)

[١] يشير إلى الأحزاب التى تألبت وظهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وخطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى أسد فى غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التى كانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدّة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقادهم العام أبو سفيان .

[٢] هى ها التنبية ، وهى تدخل على اسم الله فى القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألف ها وحذفها .

إذن لا تفعل ذلك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فَهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس على أثره ، فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تباع فيه البراذين ^(١) ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونِعال سيوفهم ، حتى قُتِلَ ، فَأَتَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقيل له : يا أمير المؤمنين قُتِلَ الرَّجُلُ ، قال : ومن قتله ، قالوا قتله همدان ومعهم شَوْبٌ ^(٢) من الناس ، فقال : قَتَلَ عَمِيَّةٌ ^(٣) لَا يُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ ، دِيَّتُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فقام الأشر فقال :

١٥٦ - خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين : لَا يَهْدِيَنَّكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّينَكَ مِنْ نَصْرِنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ مَقَالَةِ هَذَا الشَّقِيِّ الْخَائِنِ ، إِنْ جَمِيعُ مَنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ شِيعَتُكَ ، لَا يَرْغَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يَحِبُّونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَمِِرْ بِنَا إِلَى عَدُوِّكَ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءُ مَنْ أَحْبَبَهُ ، وَإِنَّا لَعَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسُنَا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا تَقَاتِلُ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خَلَاقَهُمْ ^(٤) بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٌ . »

فقال عليٌّ : « الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ

فِي نَصِيحَةِ الْعَامَةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ » ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ .

[١] البراذين : الدواب جمع برذون . [٢] خايط . [٣] قتل حيا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد الياء ثم يدر من قتله . [٤] الخلاق : النصيب الوافر من الخير .

١٥٧ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المعتّم العَبَسِي ، وَحَنَظَلَةُ بْنُ الرَّيِّعِ التَّمِيمِي ، فِي رِجَالٍ كَثِيرٍ مِنْ غَطَفَانٍ وَبَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُ حَنَظَلَةُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّا قَدْ مَشِينَا إِلَيْكَ فِي نَصِيحَةٍ فَأَقْبِلْهَا ، وَرَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فَلَا تَرُدُّهُ عَلَيْنَا ، فَإِنَّا نَنْظُرُ نَا لَكَ وَلَمْ نَمَعَكَ ، أَقِمْ وَكَاتِبُ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَذَرِي وَلَا نَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْغَلَبَةُ إِذَا انْتَقَيْتُمْ ، وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ^(١) »

وقال ابن المعتّم مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معهما بمثل كلامهما .

١٥٨ - رد الإمام عليهم

فحمد عليّ عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ وَارِثُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يُوْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءَ ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءَ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَا الدَّبْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ، ظَفِرُوا أَوْ ظَفِرَ بِهِمْ ، وَائْتِمُ اللَّهُ إِلَيْنِي لِأَسْمَعَ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا » .

فقام إليه مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيُّ فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ هُوَ لَاءَ وَاللَّهِ مَا آثَرُوكَ بِنَصْحِ ، وَلَا دَخَلُوا عَلَيْكَ إِلَّا

بِنَشْءٍ ، فَاحْذَرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الْعَدُوِّ » .

[١] الدبرة بسكون الباء وفتحها الهويمة في القتال

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتب معاوية ، فادفعه إلينا نجسه ، حتى تنقضي غزاتك وتتصرف » .
 وقام من بنى عبس قائد بن بكير ، وعيَّاش بن ربيعة ، فقالا :
 « يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المغمص قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاحبسه أو مكَّنَّا مِنْ حَبْسِهِ ، حتى تنقضي غزاتك ثم تتصرف » .
 فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »
 فقال لهما عليُّ عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلكم ، وبه أستظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم » ^(١) .

١٥٩ - خطبة عدى بن حاتم الطائي

وقام عدى بن حاتم الطائي ، بين يدي عليٍّ عليه السلام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :
 « يا أمير المؤمنين ، ما قلت إلا بعلم ، ولا دعوت إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا برشد ، ولكن إذا رأيت أن تستأني ^(٢) هؤلاء القوم وتستديعهم ، حتى تأتيهم كتبك ، وتقدم عليهم رؤسك ، فعملت ، فإن يقبلوا يصيبوا رؤسهم ، والعافية أوسع لنا ولهم ، وإن يتأذوا في الشقاق ، ولا ينزعوا عن الفئ ، نسر إليهم ، وقد قدَّمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعد ، وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم أمسٍ بناحية البصرة ، لما دعوناهم

[١] هذا وقد خرجا إلى معاوية في رجال من قومهما ، ولكنهما لم يقاتلا معه واعتدلا الفريقين جيباً

[٢] تنتظر .

إلى الحق فتركوه ، ناوخنهم بَرَاكَاءَ القتال ^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

١٦٠ - خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْن الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال :
« الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحْ لنا النِّيَّةُ في قتالهم حتى نستدينهم ونستأنئهم ، فما الأعمال إلا تَبَاب ^(٢) ، ولا السعى إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » إنا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عين فيمن يتبعونه ، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم ، القليل من الإسلام حَظُّهم ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجور والعدوان ، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .
فقام رجل من طي فقال : « يا زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ ، أكلامُ سيدنا عدي بن حاتم يُهَجِّن ^(٣) ؟ » فقال زيد : « ما أنتم بأعرفَ بحق عديّ مني ، ولكني لا أدع القول بالحق وإن سَخِطَ الناس . »

١٦١ - خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :
« يا أمير المؤمنين ، لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا ، وأعظمتنا في الخير نصيباً ، ولئن كنا على ضلال إنك لأثقلتنا ظهراً ^(٤) ، وأعظمتنا وزراً ، قد

[١] براكاء القتال وبروكاء : موضع اصطدام القوم ، وناوخنهم مفاعلة من أناخ الإبل إذا أبركها ، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال . [٢] خسران . [٣] يهيج . [٤] لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذوباً .

أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم
العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذي نحن عليه هو
الحق المبين ، والذي عليه عدونا هو الحوب ^(١) الكبير ؟ »

فقال عليه السلام : « بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا ،
صحيح النية في نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما
زعمت ، فإنك ولي الله تسبح في رضوانه ، وتركض في طاعته ، فأبشر أبا زينب »
وقال له عمار بن ياسر : « أثبت أبا زينب ، ولا تشك في الأحزاب أعداء الله
ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة ، شهدا
لي عما سألت من هذا الأمر الذي أهمني مكانكما . »

١٦٢ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي ^(٢) على علي عليه السلام فقال :
« يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز ^(٣) وعدة ، وأكثر الناس أهل قوة ،
ومن ليس به ضعف ولا علة ، فر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم
بالنخيلة ، فإن أخا الحرب ليس بالسئوم ولا النئوم ، ولا من إذا أمكنته الفرص
أجلها ، واستشار فيها ، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد ، وبعد غد . »

١٦٣ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :

« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال ما يعرف ، فتوكل

[١] الحوب بالفتح والضم : الإثم . [٢] نسبة إلى أرحب : وهي قبيلة من همدان .

[٣] جهاز المسافر والعروس والبيت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشتخص بنا إلى هذا العدو راشداً مماناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثلُ سابقتك وقدمك ، وإلا يُنبوا وَيَقْبَلُوا ، وأبوا إلا حرباً بنا نجد حربهم علينا هُناً ، ونرجو أن يضرعهم الله مصارع إخوانهم ثم^(١) بالأمس . »

١٦٤ — خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة^(٢) ، وحُباً للأثرة^(٣) ، وضناً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن^(٤) في نفوسهم ، وعداوة يجدونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبايع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حَنْظَلَةَ ، وخاله الوليد ، وجدّه عُتْبَةَ ، في موقف واحد^(٥) ؟ والله ما أظنهم يفعلون ، وإن يستقيموا لكم دون أن تُقْصَفَ فيهم قنأ المران^(٦) ، وتُقَطَّعَ على هامهم^(٧) السيوف ، وتنتثر حواجرهم بعُمد الحديد ، وتكون أمور رجّة بين الفريقين . »

[١] هاك يريد البصرة . [٢] الأسوة بالضم والكسر القدوة : أي فراداً من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . [٣] استأثر على أصحابه اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . [٤] جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . [٥] هو جدّه لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الامام إلى معاوية يقول : « أنا أبو حسن قاتل جدك وخلاك وأخيك شذخا يوم بدر وذلك السيف معي » . [٦] القنأ : الرماح جمع قنأة ، والمران : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضاءة على المعنى الأول على حدّ قوله تعالى « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » — إن فسر العرم بالمطر الشديد — (وفسر أيضاً بالأحباس والسدود تدفئ الأودية ، وبالجرذ ، وبراد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنأ المتخذة من الشجر . [٧] الهام جمع هامة : وهي الرأس .

١٦٥ - أدب الامام علي ، وكرم خلقه

وخرج حُجْر بن عَدِيّ ، وعمر بن الحَمِق ، يُظْهِرَان البراءة من أهل الشام ، فأرسل عليّ عليه السلام إليهما أَنْ كُفّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : ألسنا مُحَقِّقَيْن ؟ » قال : بلى ، قالا : « أليسوا مُبْطِلَيْن ؟ » قال : بلى ، قالا : « قَلِمَ مَنَعْتَنَا مِنْ شَتْمِهِمْ ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَّامِينَ ، تَشْتُمُونَ وَتَبْرءُونَ ، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتكم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن أعمالهم كذا وكذا ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وقلتكم مكان لعنكم إياهم ، وبراءتكم منهم : اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ يَدَيْهِمْ وَبَيْنَنَا ، واهدِم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم مَنْ جَمَلَهُ ، ويرعوى عن الغي والعدوان منهم مَنْ لَهَجَ بِهِ ، لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ . »

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظمتك ، وتؤدب بأدبك .

١٦٦ - مقال عمرو بن الحمق

وقال له عمرو بن الحمق يومئذ :

« وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي مَا أَحْبَبْتُكَ وَلَا بَايَعْتُكَ عَلَى قَرَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، وَلَا إِرَادَةِ مَالٍ تُؤْتِينِيهِ ، وَلَا التَّمَّاسِ سُلْطَانِ تَرْفَعُ ذِكْرِي بِهِ ، وَالْكُتْبِ أَحْبَبْتُكَ بِخِصَالِ خَمْسٍ ، إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَصِيهِ ، وَأَبُو الذَّرِيَّةِ ، الَّتِي بَقِيَتْ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمَ الْمُهَاجِرِينَ سَهْمًا فِي الْجِهَادِ ، فَلَوْ أَنِّي كُفَّلْتُ نَقْلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي ، وَنَزَحَ

البحور الطوامي^(١) ، حتى يَأْتِيَ عَلَى يَوْمٍ فِي أَمْرِ أَقْوَى بِهِ وَلِيكَ ، وَأَهِنْ
عَدُوَّكَ ، مَا رَأَيْتَ أَنِّي قَدْ أَدَيْتَ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحِقُّ عَلَى مَنْ حَقَّكَ .
فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اللَّهُمَّ نَوِّرْ قَلْبَهُ بِالتَّقَى ، وَاهْدِهِ إِلَى صِرَاطِكَ
الْمُسْتَقِيمِ ، لَيْتَ أَنْ فِي جَنْدِي مِائَةٌ مِثْلَكَ » . فَقَالَ حَجْرٌ : إِذْنِ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صَحَّ جَنْدُكَ ، وَقَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَفُشِّكَ .

١٦٧ - مقال حجر بن عدي

وقام حجر بن عدي فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ ، وَأَهْمَا الَّذِينَ نُلْقِيْهَا^(٢) وَنُنْتِجُهَا ، قَدْ
ضَارَسْنَا^(٣) وَضَارَسْنَاهَا ، وَلَنَا أَعْوَانٌ وَعَشِيرَةٌ ذَاتُ عَدِيٍّ ، وَرَأْيٌ مَجْرَبٌ ، وَبَأْسٌ
مَحْمُودٌ ، وَأَزِمَّتِنَا مِنْ قَادَةِ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ شَرَقَتْ شَرَقْنَا ، وَإِنْ غَرَبَتْ
غَرَبْنَا ، وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا » .

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَكُلَّ قَوْمِكَ يَرَى مِثْلَ رَأْيِكَ » ، قَالَ مَا رَأَيْتُ
مِنْهُمْ إِلَّا حَسَنًا ، وَهَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِجَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا .

١٦٨ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُدَيْلِ الْخَزَاعِي :

« إِنْ يَوْمَنَا لِيَوْمٍ عَصَبَتْ^(٤) ، مَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ مُشْبَعِ الْقَلْبِ ،
صَادِقُ النِّيَّةِ ، رَابِطُ الْجَأَشِ ، وَإِيْمُ اللَّهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يُبْقِي مِنْهُمْ وَلَا مَنَا

[١] جمع طامى البحر إذا امتلأ . [٢] أصله من ألقح الفعل الناقة . [٣] ضرسته
[٤] عصبته ، وضارسته الأمور : جربها وعرفها . [٤] أى شديد .

إلا الرُّذَالُ^(١) » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تُظهراه ، ولا يسمعه منك سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية منبئة كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عتبة ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى^(٢) بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصد بهم قصد الردى ، وحبّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ، كرغبتنا في الآخرة ، وانتجاز موعده ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقة وقداً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين ، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولّى الأمر دونك ، جذلةً ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أقلّت^(٣) ، ولا ماتحت السماء فما أظلّت ، وأنتى واليت عدواً لك ، وعاديت ولياً لك . »

فقال عليّ عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيك »

[١] الذّون : الخسيس أو الردى من كل شىء . [٢] استهوا : استماله والفعل متعدّ ومفعوله هنا محذوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم - فالباء لسببية - . [٣] أى حمت .

١٦٩ - خطبة الامام علي

ثم إن عليا عليه السلام صعد المنبر، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصّبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أمرا^(١) الإسلام متينة، وعُراه وثيقة، ثم جعل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الرب، وغنيمة الأكياس^(٢) عند تفريط العجزة، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله، ونحن سائررون إن شاء الله إلى من سقى^(٣) نفسه وتناول ما ليس له، وما لا يدركه، معاوية وجنده، الفئة الطاغية الباغية، يقودهم إبليس، وَيَبْرُق لهم يبارق تسويفه، ويدلّهم^(٤) بغروره، وأنتم أعلم الناس بالحلّال والحرام، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(٥) عني، وقال في غيري كفاية، فإن الذود إلى الذود إبل^(٦) : (وَمَنْ لَا يَذُذْ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدَّم)

ثم إنني أمركم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وأن لا تغتأبوا مسلماً، وانتظروا النصر العاجل من الله، إن شاء الله .

[١] جمع مرس بفتحين، ومرس جمع مرسة بفتحين أيضاً : وهو الجبل . [٢] جمع كيس : وهو ضدّ الأحق . [٣] أصله سفهت نفسه، فلما حوّل الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . [٤] أي يحطهم عن منزلتهم . قال تعالى : « فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ » [٥] تأخر وتقاعد . [٦] الذود : ثلاثة أبرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أي إذا جعت القليل مع القليل صار كثيراً فإلى بمعنى مع .

١٧٠ - خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدى شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدهم ، فاحتشدوا فى قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تتخاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط ^(١) القلوب ، وإن الإقدام على الاسنة نخوة وعصمة ، لم يتنّع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ، وهداهم إلى معالم الملّة ، ثم أنشد :

والصالح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرّع

١٧١ - خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة : أنتم الأحبة الكرماء ، والشّعار ^(٢) دون الدثار ، جِدُّوا فى إطفاء ما وتر ^(٣) بينكم ، وتسهيل ما توعر عليكم ، ألا إن الحرب شرها ورّيع ^(٤) ، وطعمها فظيع ، فمن أخذ لها أهبتها ، واستعد لها عدتها ، ولم يَأْلَمْ كُلُّومَهَا ^(٥) قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قَيْن ^(٦) أن لا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوة أن يُدْخِلَكُمْ بِالْفَيْئَةِ ^(٧) » ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨)

[١] عرق غليظ يبط به القلب إلى الوتين ، جمعه أنوطه . « والوتين عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه

جمعه أوتنة » . [٢] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

[٣] الوتر والذرة : الثأر ، وتره يتره ، ووتره حقه : قصه إياه ، ووتره : أدركه بتركه .

[٤] الوريع : الكاف . أى أن شرها عظيم يدعو الناس إلى أن يكدوا عن خوض غمارها .

[٥] كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . [٦] جدير وحقيق . [٧] الفئته : بفتح الفاء وكسرهما ،

والى : العينة ، أى نسأل الله أن يقوىكم بما تفتنون من عدوكم .

وفد على علي معاوية

بعد أن نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مَحْصَن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التيمي ، فقال : ائتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تُطِيعه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثرٌ عندك ، إن هو بايعك ؟ فقال عليّ : ائتوه فالتقوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه ؟ - وهذا في أول ذي الحجة سنة ٣٦ هـ - فأتوه ، ودخلوا عليه .

١٧٢ - خطبة بشير بن عمرو

فحمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه ، وقال :
« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عز وجل محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدمت يداك ، وإنني أنشدك الله عز وجل أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها » .
فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرة :
« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقُّ البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقربة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرك بتقوى الله عز وجل » ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك » .
قال معاوية : « وَنُظِلَ دم عثمان رضى الله عنه ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن ربعي ، فتكلم :

١٧٣ - خطبة شبت بن ربعي

فحمد الله، وأثنى عليه، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت على ابنِ مُحَصَّن ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلا قولك : « قُتِلَ إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه » ، فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحييت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبَّ متمنى أمرٍ وطالبه ، الله عزَّ وجل يحول دونه بقدرته ، وربما أُوتى المتمنى أمنيته ، وفوق أمنيته ، والله ما لك في واحدة منهما خير ، لئن أخطأت ما ترجو ، إنك لشر العرب حالاً في ذلك ، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صِلي^(١) النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

١٧٤ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عرَفْتُ فيه سفَهك ، وخِفةَ جلدك ، قَطْعك على هذا الحبيب الشريف سيِّدِ قومه منطقَه ، ثم عُيِّتَ بَعْدُ فيما لا علم لك به ، فقد كذبت ولَّوْمُت^(٢) ، أيها الأعرابي الجِلْف^(٣) الجافي ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف »
وغضب وخرج القوم وشبت يقول : أفعلينا شهْوَل بالسيف ؟ أقسم بالله

[١] صلى النار : كرمى ، وصلى بها صلياً بكسر الصاد وصفها ، قاسى - رما .

[٢] لومه لوماً : عذله ، وألامه ولومه للبالغة . [٣] الجلف : الرجل الجاني .

لِيُعْجَلَنَّ بِهَا إِلَيْكَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَأْمُرِ
الرَّجُلِ ذَا الشَّرَفِ فَيُخْرِجُ مَعَهُ جَمَاعَةً ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ آخَرَ مَعَهُ
جَمَاعَةً ، فَيَقْتُلَانِ فِي خَيْلِهِمَا وَرَجَالِهِمَا ، ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقَوْا
بِجَمْعِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّامِ ، لَمَّا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِثْصَالِ
وَالْهَلَاكُ . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٥ : ٢٤٢)

وفد عليّ الى معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا عليّ ترك الحرب في المحرم إلى انقضائه ، طمعا في الصلح
واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث عليّ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ، وَيَزِيدَ بْنَ
قَيْسٍ ، وَشَبَّثَ بْنَ رَبِيعٍ ، وَزِيَادَ بْنَ خَصْفَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ .

١٧٥ - خطبة عدى بن حاتم

فلما دخلوا حمد الله عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَا أَتَيْنَاكَ نَدْعُوكَ إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا بِهِ كَلَّمْنَا وَأُمْتَنَا ،
وَيَحْقِنُ بِهِ الدَّمَاءَ ، وَيُؤْمِنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُصْلِحُ بِهِ ذَاتَ الْبَيْنِ ، إِنْ ابْنُ عَمِّكَ
سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، أَفْضَلُهَا سَابِقَةً ، وَأَحْسَنُهَا فِي الْإِسْلَامِ أَثَرًا ، وَقَدْ اسْتَجْمَعَ لَهُ
النَّاسُ ، وَقَدْ أَرْشَدَهُمُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا بِالَّذِي رَأَوْا ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ غَيْرُكَ وَغَيْرُ مَنْ مَعَكَ ،
فَانْتَهَ يَا مُعَاوِيَةَ ، لَا يَصْبِيحُكَ اللَّهُ وَأَصْحَابُكَ يَوْمَ مِثْلِ يَوْمِ الْجَمَلِ » .

١٧٦ - جواب معاوية

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : « كَأَنَّكَ إِنَّمَا جِئْتَ مُتَهَدِّدًا ، لَمْ تَأْتِ مُصْلِحًا ! هَيْهَاتَ

ياعدى ، كلاً والله ، إني لأبئن حرب^(١) ما يُقَمِّعُ^(٢) لى بالشَّنانِ ، أما والله إنك لمن
المُجْلِبِينَ على ابن عفان رضى الله عنه ، وإنك لمن قَتَلْتَهُ ، وإني لأرجو أن تكون
ممن يَقْتُلُ^(٣) الله عز وجل به ، هَيْهَاتَ يَاعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، قد حَلَبْتُ بالسَّاعدِ
الأشدَّ^(٤) .

فقال له شبت بن ربيع وزيد بن خَصَفَة - وتنازعا جواباً واحداً -
« أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا يُنتفع
به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يعمُنَّا وإياك نَفْعُهُ » .

١٧٧ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بُعِثْنَا به إليك ، وَلِنُؤَدِّيَ عنك ما سمعنا منك ،
ونحن - على ذلك - لن ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننَّا أن لنا عليك به
حُجَّةٌ ، وأنت راجع به إلى الألفة والجماعة ، إنَّ صاحِبَنَا من قد عَرَفْتَ وعَرَفَ
المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلی ،
ولن يُمِيلُوا^(٥) بينك وبينه ، فاتق الله يامعاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا
رجلاً قطُّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لخِصالِ الخير كلها منه » .

١٧٨ - خطبة معاوية

حمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] هو جدّه . [٢] القمعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، والشنان جمع شئ بالفتح ،
وهو القرية البالية ، وإذا قمع بالشنان للإبل قهرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا يفيقه له .
[٣] أى يقتله . [٤] يعنى بذلك قوة استعدادة للقتال وتأهبه له .
[٥] التميل بين الشيئين ، كالترجيح بينهما .

« أما بعد : فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمَنَّا هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها ، إن صاحبكم قَتَلَ خليفتنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوَى ثَأْرَنَا ^(١) وَقَتَلْتَنَا ، وَصَاحِبُكُمْ يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، أرايتم قَتَلَةَ صاحبنا ، أَلَسْتُمْ تعلمون أنهم أَصْحَابُ صاحبكم ؟ فَلْيَذْفَعُهُمْ إِلَيْنَا فلنقتلهم به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة » .

فقال له شُبَيْث : أيسرك يا معاوية أنك أُمَكِنْتَ من عُمَار ^(٢) تقتله ؟ فقال

[١] الثأر : قاتل جميعك .

[٢] هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر » وصراد شُبَيْث بهذا القول إخراج معاوية . أقوله عليه الصلاة والسلام لعمار : « تفلك الفئة الباغية » : أى إلك يا معاوية إن قتلت عمارا - وكان من أصحاب علي - كنت من الفئة الباغية ، وتفصيل الخبر في ذلك ما روتهُ أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر بالذين اضرب وما يحتاج اليه ، ثم قام موضع رداءه ولما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون .

لئن قعدنا واليى يعمل ذاك إذن أعدل مضال

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظما منتظما ، وكان يحمل اللبنة ويحافى بها عن ثوبه ، فإذا وضعها بفض كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نقضه فمطر إليه على رضى الله عنه فأشبه :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعا وساجدا

وقائما طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعا عمار بن ياسر جعل يرتجرها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا بن سمية (وسمية أمه) ما أعرفنى عن تعرض ، ومعك جريدة ، فقال لتكفى أو لأعرض بها وجهك ، فسمعه النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنى » فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مى ، وأشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب عليك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أما أرضيه كما عصب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالى ولأصحابك ؟ قال : مالاك ولهم ؟ قال يريدون قتلى ، يحملون لبنة ويحملون على لبنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول « يا بن سمية لا يقتلك أصحابى ، ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل بصفين ، وروى هذا الحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضا حمزة لأننا أخرجناه (العقد الفريد ٢ : ٢٣٧)

معاوية : وما يعنى من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بعثمان
رضي الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان ، فقال شُبَيْث :

« وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَإِلَهُ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مَعْتَدِلًا ^(١) ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدُرَ ^(٢) الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ
الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبَاهَا ^(٣) » فقال له معاوية : « إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ
عَلَيْكَ أَضْيَقَ » وتفرَّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد
ابن خَصْفَةَ التَّمِيمِيِّ نَحْلًا بِهِ .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أَمَا بَعْدَ يَا أَخَا رَيْبَعَةَ ، فَإِنْ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامُنَا ، وَأَوَى قَتْلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِّي
أَسْأَلُكَ النَّصْرَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أُولِيكَ
إِذَا ظَهَرْتُ ^(٤) أَيْ الْمَصْرِيِّينَ أَحْبَبْتُ ، قَالَ زِيَادُ : فَلَمَّا قَضَى مُعَاوِيَةُ كَلَامَهُ حَمِدَتْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ : « أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي عَلَى يَدِّهِ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا
أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلْنِ أَكُونَ ظَهِيرًا ^(٥) لِلْمَجْرُمِينَ » ثُمَّ قَمْتُ . (تاريخ الطبري ٦ : ٢)



[١] أَيْ إِيَّاكَ إِذَا عَدَلْتُ عَمَّارًا بِنَاتِلِ مَوْلَى عُثْمَانَ أَيْ سَوِّتَ بَيْنَهُمَا لَمْ تَكُنْ مَعْتَدِلًا فِي حُكْمِكَ .

[٢] نَدَرَ النَّيْءُ كَنَصَرَ نَدُورًا : - قَطَعَ مِنْ حَوْفِ شَيْءٍ أَوْ مِنْ بَيْنِ أَشْيَاءٍ فَظَهَرَ ، وَالْهَامُ الرَّيْءُ :

جَمْعُ هَامَةٍ . [٣] اِرْحَبْ بِالْفَمِ : الْإِنْسَاعُ . [٤] أَيْ عَابَتْ وَانْتَصَرَتْ . [٥] مَعِينًا وَنَاصِرًا .

وفد معاوية الى علي

وبعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

١٧٩ - خطبة حبيب بن مسلمة

حمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عز وجل ، وَيُنِيب إلى أمر الله تعالى ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدّوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - تقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤَلَّى الناس أمرهم من أجمع عليهم رأيهم » .

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعزل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هنّاك ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لترينى بحيث تكره » فقال عليّ : « وما أنت ولو أجلبت بخيالك ورجلك ؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ ، أحقرّة^(١) وسوءاً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك » وقال شرحبيل بن السمط : « إني إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذى أجبت به ؟ فقال عليّ : نعم . لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبت به .

[١] فى كتب اللغة : حقره حقراً بفتح الحاء وحقرية بضمها وتشديد الياء ولم أجد كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزأة وضحكة ، يقال رجل هزأة بضم الهاء وسكون الزاى أى يمزأ به وضحكة كذلك أى بضحك منه ، فالعنى أنكون حقرة أى حقيراً وتسوءنى سوءاً .

١٨٠ - خطبة علي بن أبي طالب

فحميد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، فأنقذ به من الضلالة ، وانتاش^(١) به من الهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، وقد أدى ما عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا^(٢) عليهما أن توليا علينا ، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففقرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفرق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني^(٣) ، وخلاف معاوية ، الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين ، ولا سلف صديق في الإسلام ، طليق^(٤) بن طليق ، حزب^(٥) من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين عدواً ، هو وأبوه ، حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو^(٦) إلا خلافتكم معه ، وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيكم

[١] انتشل وأخرج . [٢] وجد عليه غضب . [٣] يعنى طلحه والزبير وما كان منهما من الخلاف عليه ، وانضمهما إلى السيدة عائشة . [٤] الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم والصلوة والسلام بعد فتح مكة . [٥] حزب بدل من طليق الثاني : أى ابن حزب من هذه الأحزاب التى تألبت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، ومي مرة ، ومي أشجع ، ومي سليم ، ومي أسد (فى غزوة الأحزاب ، وهى غزوة الحندق سنة ٥ هـ) وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل ، ومائدم العام أبوسفينان . [٦] فلا غرو : أى لا عجب ، وقوله إلا خلافتكم معه : أى خلافتكم على^١ معه ، أو هو « خلافتكم معه » بالخاء أى مخالفتكم له ، وما صرتمكم إياه .

صلى الله عليه وسلم، الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإمارة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة» .

فقالا : « اشهد أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوماً » فقال لهما : « لا أقول إنه قتل مظلوماً، ولا إنه قتل ظالماً » . قالا : « فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً، فنحن منه برآء » ثم قاما فانصرفا، فقال عليّ : « إنك لا تسمع الموتى، ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مذبرين، وما أنت بهادى العنى عن ضلالتهم، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا، فهم مسلمون » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٤)

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٨١ - خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله، دعا عمرو بن العاص، فاستشاره، فقال : « أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك، ولا تغيب عنه برأيك ومكيدتك » . قال : « أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس » . فجاء عمرو فخصّض الناس، وضعف علياً وأصحابه، وقال :

« إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدم، ثم إن أهل البصرة يخالفون علىّ، قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صنابيرهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شردمة قليلة، منهم من قد قتل خليفكم، فالله الله في حكم أن تضيموه، وفي دمكم أن تطلوه » .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٦)

١٨٢ - خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقعة المظمية بصفين ، يحرض أهل الشام
« وقد كان منحنيًا على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في ساططانه ، العلي في مكانه ، الواضح
في برهانه ، أئمنه على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رزية من بلاء^(١) ،
أوشدة أورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده
ورسوله ، ثم إنا نحسب عند الله رب العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ، من اشتعال نيرانها ، واضطراب خيلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإننا لله وإنا
إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين .

أو لا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجنا وحجهم ،
وقبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحد ؟ ولكن لأهواء مختلفة . اللهم أصالح هذه
الأمّة بما أصلحت به أولها ، واحفظ فيما بيننا ، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ،
وبغوا عليكم ، فجذبوا في قتال عدوكم ، واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على
حرّماتكم^(٢) » ثم جلس . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

١٨٣ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيبًا ، فقال :

« أيها الناس : أعيرونا جماعكم وأنفسكم^(٣) لا تقتلوا^(٤) ، ولا تتخاذلوا^(٥) ،

[١] البلاء : يكون عنة ، ويكون محنة . [٢] جمع حرمة ، وهي مالا يحل انتهاكه .
[٣] أي جودوا براءتكم ، ولا تبخلوا بفسوسكم على القتل . [٤] في الأصل « لا تقتلوا » على
أن الفعل مجزوم بلا النامية ، وأراه محرفاً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن
تسغوا يذل رءوسكم ونفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنحوا من القتل . [٥] في الأصل « ولا تتعادلوا »
وأراه مصحفاً عن « ولا تتعادلوا » أي لتعاونوا ، ولا يخذل بعضكم بعضاً .

فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أخطار، وَيَوْمُ حَقِيقَةِ وَحِفَاطٍ^(١)، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَكْثِ الْبَيْعَةِ، وَسَفَاكَ الدَّمِ الْحَرَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السِّلَاحِ الْمُسْتَنْثَمَةَ^(٢)، وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ^(٣)، وَاجْمَلُوا بِأَجْمَعِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمَظْلُومٌ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١)

١٨٤ - خطبة ذى الكلاع الحميرى^(٤)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس، ويخبرهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق، فعقد فرسه « وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً^(٥) » وخطب الناس فقال :
« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً مُنيراً ، بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، أُنْحَدَهُ وَأُسْتَعِينَهُ ، وَأُوْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَكُنْفَى بِاللَّهِ وَكَيْلاً ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْعُرْفَانِ إِمَامًا ، وَبِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، حِينَ ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي ، وَدَرَسَتْ^(٦) الطَّاعَةُ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ جَوْرًا وَضَلَالَةً ، وَاضْطَرَمَّتِ الدُّنْيَا نِيرَانًا وَفِتْنَةً ، وَوَرِكَ^(٧) عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَدْ عُيِدَ فِي أَكْنَافِهَا ، وَاسْتَوَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِهَا ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الَّذِي أَطْفَأَ اللَّهُ بِهِ نِيرَانَهَا ، وَتَرَعَّ بِهِ أَوْتَادَهَا ، وَأَوْهَنَ بِهِ قَوَى إِبْلِيسَ ، وَآيَسَهُ مِمَّا كَانَ قَدْ طَمِعَ فِيهِ مِنْ ظَفَرِهِ بِهِمْ ، وَأَظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

[١] أى يوم يحاط على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . [٢] استلام : لبس اللأمة ، وهى الدرع . [٣] الحاسر من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لاجنة له . [٤] هو ذى الكلاع الأصغر سمع بن مأكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أذواء اليمن . [٥] أى شأناً ، وقدرًا . [٦] انمحت . [٧] ورك على الأمر وروكا : قدر .

ثم كَانَ من قضاء الله أَن ضَمَّ بيننا وبين أهل ديننا بِصِفَتَيْنِ ، وإِنَّا لنعلم أَن فيهم قوماً ، قد كَانَتْ لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سَابِقَةٌ ذَاتُ شَأْنٍ وَخَطَرٍ عَظِيمٍ ، وَلَكِنِّي ضَرَبْتُ الأَمْرَ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، فلم أَرِيسَعْنِي أَن يُهْدَرَ دَمُ عُثْمَانَ ، صِهْرِ نَبِينَا صلى الله عليه وآله ، الَّذِي جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ ^(١) ، وَأَلْحَقَ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَتًا ، وَبَنَى سِقَايَةَ ^(٢) ، وَبَايَعَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ يَدَهُ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى ^(٣) ، وَاخْتَصَمَهُ بِكَرِيمَتِيهِ أُمِّ كَثُومٍ وَرُقِيَّةَ ^(٤) ، فَإِنْ كَانَ

[١] وذلك أَنَّهُ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ - وَكَانَتْ سَنَةً نَسَحَ لِهَاجِرَةِ - أَهْنَقَ فِي تَحْطِيرِ الْمَعَانِلَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارًا ، وَأَعْطَى ثَلَاثِينَ بَعِيرًا بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْبَابِهَا (وَالْأَحْلَاسُ جَمْعُ حَلَسٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ كَسَاءٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْبُرْدَةِ ، وَالْأَقْبَابُ جَمْعُ قَبْطٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ مَا يُوَضَّعُ عَلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ) وَحَسِبَ فَرَسًا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي رَاضٍ عَنْهُ » وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ عَسْرَةِ النَّاسِ وَجَدَّ الْبَلَادُ ، وَسَدَّةُ الْحَرِّ ، قَالَ تَعَالَى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » أَيْ وَقْتُهَا ، وَهِيَ حَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْعَزْوَةِ ، ذَكَرُوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً ، وَأَنَّ الْعُسْرَةَ كَانُوا يَعْنِيُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ . [٢] وذلك أَنَّهُ اشْتَرَى بِثَرْوَةِ الرُّومَةِ (نَصْمُ الرَّاءِ : بِثَرْوَةِ الْمَدِينَةِ) ثَمَّ أَصْدَقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ رِشَاؤُهُ فِيهَا كَرِشَاءِ أَحَدِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ حَفَرَ بِثَرْوَةِ اللَّهِ الْجَنَّةَ » وَأَشْرَفَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النَّوَّارِ حِينَ حَضَرُوهُ وَمَسَعُوا الْمَاءَ عَنْهُ ، فَقَالَ : « أَتَشْكُمُ اللَّهُ ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اسْتَرْتِ رُومَةَ مِنْ مَالِي بِسَعْدِهَا ، فَخَلَّتْ رِشَاؤِي مِنْهَا كَرِشَاءُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا يَعْنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَتَشْكُمُ اللَّهُ هَلْ عَلِمْتُمْ أَنِّي اشْتَرَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَرْضِ فَرَدَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مَعَ أَنْ يَصِلَ بِهِ قَتْلِي ؟ ثُمَّ قَالَ : أَتَشْكُمُ اللَّهُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ بَيِّنَاتٍ أَنَّ اللَّهَ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ كَذَا وَكَذَا - أَشْيَاءَ فِي شَأْنِهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَهْلَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

[٣] وذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا قَصَدَ إِلَى مَكَّةَ فِي عَزْوَةِ الْحَدِيدِيَّةِ (سَنَةِ سِتِّ هَاجِرَةِ) بَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لَا يَتِ وَمَعَهُمَا لِحْرَمَتُهُ ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَاحْتَسَبَتْهُ قُرَيْشٌ عِزْدَهَا ، فَشَاعَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَأْجِزَ الْقَوْمَ ، وَدَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْبَيْعَةِ عَلَى الْمَوْتِ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّصَوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَبَايَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعُثْمَانَ ، فَضَرَبَ يَدَهُ الْيَمْنَى عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى وَقَالَ : هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ .

[٤] تزَوَّجَ عُثْمَانَ السَّيِّدَةَ رُقِيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا مَاتَتْ جَزَعَ عُثْمَانُ عَلَيْهَا وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ انْقُطِعْ صَهْرِي مِنْكَ ، قَالَ : إِنْ صَهْرُكَ مَعِيَ لَا يَنْقُطِعُ ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ أُنْتِهَا بِأَمْرِ اللَّهِ : السَّيِّدَةُ أُمُّ كَثُومٍ .

قد أذنب ذنباً ، فقد أذنب من هو خير منه ، قد قال الله سبحانه لنبيه: (لِيَغْفِرَ
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وقتل موسى نفسه^(١) ، ثم استغفر الله
فغفر له ، وقد أذنب نوح^(٢) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم^(٣) ،

[١] وحدث أنه و إبان شأنه بمصر دخل مدينة منف ذات مرة ، فوجد فيها رجلين يقتلان قطياً يسخر
إسرائيلياً ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ، فاستمأه الإسرائيل ، فقال موسى لقطي خل سبيله ، فقال له
لقد هممت أن أحله عليك ، فوكره موسى (أى ضربه بجميع كفه) وكان شديد القوة والبطش فقتله ، ولم
يكن يقصد قتله (وذكروا أنه كان إذ ذاك ابن اثني عشرة سنة) وقد اغتم لذلك خوفاً من عقاب الله ،
ومن اتصاف فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ
غَنَمَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ،
فَأَسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه).

[٢] يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى :
« وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ مَعَ الْكَافِرِينَ ،
فَالسَّارِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ،
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ
إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . « سورة هود »

[٣] وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن
يقرب شجرة عينها له ، فوسوس له إبليس أن يأكل منها فأطاعه ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
« وَبَادَمُ أَسْكَنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يَمُرُّ أحدكم من الذنوب ، وإنا انعم : قد كانت لابن أبي طالب سابقةٌ حسنةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا^(١) على قتل عثمان فقد خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابنُ عمِّه^(٢) ، وسلفه^(٣) ، وابنُ عمته^(٤) ، ثم قد أقبلوا من عراقهم ، حتى نزلوا شامكم وبلادكم وَيَبْضَتَكُمْ^(٥) ، وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيتها الأمة ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لَكُنَّا وَأَهْلَ الْعِرَاقِ أُعْتَوِرْنَا^(٦) مُصْحَفًا نضربه بسيفنا ، ونحن في ذلك جميعاً ننادي : وَيَحْكُمُ اللَّهُ ! ومع أنا والله لا نفارق العرصة^(٧) حتى نموت ، فعليكم بتقوى الله ، وليكن الثبات لله ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزِّ لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لي ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

١٨٥ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قباء

سوء انهماء وقال ما نهما كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . «سورة الأعراف» [١] ناصر وشايع . [٢] عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . [٣] السلف بفتح فكسر وبكسر فسكون من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة رنية أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . [٤] أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، وأما البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم . [٥] البيضة : ساحة القوم . [٦] اعتوروا الشيء : تداولوه . [٧] العرصة : كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء .

من خَزِيٍّ وعمامة سوداء ، آخذاً بقاءم سيفه ، واضعاً نَصْلَ السَّيْفِ في الأرضِ متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذى الطَّوْلِ ^(١) والجَلَالِ ، العزيز الجَبَّار ، الحكيم الغَفَّار ، الكبير الْمُتَعَالِ ، ذى العَطَاءِ والْفَعَالِ ^(٢) ، وَالسَّخَاءِ وَالنَّوَالِ ، والبهاء والجَمَالِ ، وَالْمَنِّ والإِفْضَالِ ، مَالِكِ اليوم الذى لَا يَبِيعُ فيه ^(٣) . وَلَا خِلَالَ ^(٤) ، أُثَمِّدُهُ على حسن البلاء ، وتَظَاهُرِ النِّعَمَاءِ ، وفي كل حال من شدة أو رخاء ، أُثَمِّدُهُ على نِعَمِهِ التَّوَامِ ، وآلَاءِهِ العِظَامِ ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة النِّجَاةِ في الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم القِصَاصِ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرِّحمة والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كَانَ من قضاء الله أن جَمَعَنَا وأهلَ ديننا في هذه الرُّقْمَةِ من الأرض ، والله يعلم أنى كنت كَارِهاً لذلك ، ولكنهم لم يُبْلَعُونَا رِيقَنَا ، ولم يَتْرَكُونَا نَرْتَادُ لأنفسنا ، ونَنْظُرَ لِمَعَادِنَا ، حتى تزلوا بين أظهرنا ، وفي حريمنا وَبَيْضَتِنَا ^(٥) ، وقد علمنا أن في القوم أحلاماً ^(٦) وطغاما ، ولسنا نأمن طغامهم على ذَرَارِينَا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عِدَا حِمِيَّةٍ ^(٧) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين .

[١] الطول : الفصل والقدرة والفى . [٢] الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

[٣] لا يبيع فيه فيبتاع المهر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . [٤] الحلالة والمحالة مصدر

خال : المصادقة ، أى ولا محالة فيه فيندفع لك خليك . [٥] البيعة : ساحة القوم .

[٦] الحلم بالكسر : الأنفة والعقل وهو حلیم ، والجمع حلماء وأحلام ، والطغام : أوءد الناس .

[٧] الحمية : الأنفة (وى الأصل عداء ، وأرى صوابه عداء أى أعداء) .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ مِنْذُ سَنَةٍ ، ولكن الله إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ رَدَّهُ ، فَنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٥)

التحريض على القتال

من قبل الإمام علي أيضاً

١٨٦ - خطبة الامام علي

وخطب الإمام علي كرم الله وجهه أصحابه ، متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلُونَهُ ، كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ ^(١) مِنَ التَّجَبُّرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ ^(٢) مِنَ التَّكَبُّرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَعِدُّكُمْ بِالْبَاطِلِ ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَنَابَذُوا ، وَلَا تَتَّخِذُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَمُسْبُلُهُ قَاصِدَةٌ ^(٣) ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ ^(٤) ، وَمَنْ فَارَقَهَا مُحِقٌ ^(٥) ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقٌ ^(٦) ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أُؤْتِمِنَ ، وَلَا بِالْمُخْلِفِ إِذَا وَعِدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصِّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَانِمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالشَّدَّةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ النَّفْسِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَلَا وَإِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ أَنْ مُعَاوِيَةَ بْنُ

[١] الخيلاء : الكبر . [٢] النخوة : الافتخار والتعظم . [٣] اقصد : استقامة الطرق .

[٤] أي أدرك رضا الله وثوابه . [٥] محقه : محام ، ومحق الله الشيء ذهب ببركته .

[٦] أي خرج عن الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروقاً إذا خرج من الجانب الآخر .

أبي سفيان الأموي، وعمر بن العاص السهمي، أصبحا يُحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمتم أنني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط، ولم أعصيه في أمر، أقيه بنفسى في المواطن التي يَنكُصُ^(١) فيها الأبطال، وترُعد فيها الفرائصُ^(٢)، بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها وله الحمد، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رأسته لفي حجرى، ولقد ولّيت غُسله يدي وحدي، تُقلِّبُهُ الملائكة المقربون معى، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيا، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١)

١٨٧ — خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لائنا هض القوم بأجمعنا ؟ فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الذى لا يُبْرَمُ ما نقضَ ، ولا يُنْقَضُ ما أبرم ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر فى شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذى الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار ، حتى لفت بيننا فى هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء أعجل النقمة ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم المحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألا إنكم لاقوا العدو غداً إن شاء الله ،

[١] نكص عن الأمر : أحجم عنه .

[٢] جمع فريضة ، وهى لجة بين الجنب والكف لاتزال ترعد .

فأطيلوا الليلة القِيَامَ ، وأكثرُوا تلاوةَ القرآن ، واسألوا الله الصبر والنصر ،
والتَّوَهُّمَ بِالْجِدِّ والحزم ، وكونوا صادقين . (شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٨١)

١٨٨ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كن يقوله لأصحابه في بعض أيام صنين

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَشْعِرُوا ^(١) الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا
عَلَى الْفَوَاجِدِ ^(٢) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ^(٣) ، وَأَكْمَلُوا الْأُمَّةَ ^(٤) ، وَقَلِّقُوا
السَّيُوفَ فِي أَنْعَادِهَا ، قَبْلَ سَلِّهَا ^(٥) ، وَالْحَظُّوا الْخَزَرَ ^(٦) ، وَاطْعَنُوا الشَّرَرَ ^(٧) ،
وَنَافِحُوا بِالطُّبَا ^(٨) ، وَصَلُّوا السَّيُوفَ بِالْخُطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ^(٩) اللَّهِ ، وَمَعَ
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا الْكُرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ،
فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامْشُوا إِلَى
الْمَوْتِ مَشْيًا سَنَجًا ^(١٠) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١١) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(١٢) ،
فَاضْرِبُوا تَبَجَّهُ ^(١٣) . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِبَرِهِ ^(١٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا ،

[١] استشعر : لس الشعر وهو ما يلي البدن من الثياب ، وتحلب : لبس الجلباب ، والمراد : لارموا
الخشية والسكينة . [٢] الواحد جمع ناجد : أقصى الأصراس ، وبعض المرء نواخذة حين يشتد
عيطه ، والمراد : استتحمموا كل قوتكم . [٣] فإنه الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل
السابق أي فإن العوض على الواحد أني للسيوف ، أي أدعي إلى نوتها عن رءوسكم ، نال السيف عن
الضربية : كل ، والهام : الرءوس جمع هامة . [٤] الأمة : الدرع ، وبحوز أن يعبر بالأمة عن
جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . [٥] مخافة أن تستعصى عن الخروج وقت سلاها .
[٦] الخزر : النظير في أحد الثقلين ، وتلك أمانة المضرب . [٧] الطعن في الجوانب يمينا وشمالا .
[٨] ناخوا : كالخوا وضاربوا ، والطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف . [٩] أي ما حو ظرن بها .
[١٠] الابن السهل . [١١] العدد الكثير . يعنى جمهور أهل الشام . [١٢] الرواق : تكسر
الراء وضمة الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطب ، أي المشدود بالأطاب (جمع طناب بضمين ، وهو
الحبل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام .
[١٣] أي وسطه . [١٤] جانبه .

وَأُخِّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا^(١) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ
الْأَغْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكَكُمْ^(٢) أَعْمَالُكُمْ . (نهج البلاغة ١ : ٥٧)

١٨٩ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ،
وَتُشْفِي^(٣) بَكُمْ عَلَى الْخَيْرِ ، إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ
مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ،
وَأَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي يُحِبُّ فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ،
كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ) فَسَوْثُوا صُفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ،
وَأُخِّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأُضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السِّيفِ عَنْ الْهَامِ ، وَأَرْوَطُ
لِلجَاشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْقَتْلِ ، وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ ،
وَالْتَوُّوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمْنُورٌ^(٤) لِلْأَسِنَّةِ ، وَرَايَتُكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا ، وَلَا
تُزِيلُوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، الْمَانِعِي الذَّمَّارُ^(٥) ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ نَزُولِ
الْحَقَائِقِ ، أَهْلُ الْحِفَاطِ الَّذِينَ يَخْفِرُونَ^(٦) بِرَايَتِكُمْ وَيَكْشِفُونَهَا ، يَضْرِبُونَ خَلْفَهَا
وَأَمَامَهَا ، وَلَا يُضَيِّعُونَهَا ، أَجْزَأُ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قِرْنُهُ^(٧) ، وَوَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ،
وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فَيَجْمَعُ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ ، فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ اللَّائِمَةَ ،
وَيَأْتِي بِهِ دَنَاءَةً ، أَنَّى هَذَا ، وَكَيْفَ يَكُونُ هَكَذَا ؟ هَذَا يَقَابِلُ اثْنَيْنِ ، وَهَذَا مُمْسِكٌ

[١] الصمد : المقصد ، صمد من باب نصر قصد . [٢] لن ينقصكم منها شيئاً .

[٣] أشفى عليه : أشرف . [٤] اسم تفضيل من مار ، سهم مائر : أي حفيظ نافذ داخل في

الأجسام . [٥] ما يلزمك حفظه وحمايته . [٦] خفروه وبه وعليه يخفرون بكسر الفاء ، وضربها أجاره

ومنع وآمنه . [٧] القرن : كفؤك في الشجاعة (أو طام) وأجراه : أعناه وكماه .

يَدَهُ ، قد خَلَّى قرنه إلى أخيه هارباً منه ، أوقائماً ينظر إليه ؟ من يَفْعَلْ هذا مقتته الله ، فلا تَعَرَّضُوا لمقت الله ، فإنما مَرَدُّكم إلى الله ، قال الله تعالى ، لقوم عابهم : (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تُنْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا) وايم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة ، لا تسلمون من سيف الآخرة ، استعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنْزِلُ النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣)

١٩٠ - خطبة للامام علي

ومرَّ الإمام على كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن عُتْبَةَ وهم يشتمونه ، فَخَبَّرَ بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال : « انْهَدُوا ^(١) إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقارُ الإسلام وسيمى الصالحين ، فوالله لأقرب قوم من الجهل قاندهم ومؤذنيهم ^(٢) معاوية وابن الزبنة ^(٣) وأبو الأعور السلمي ، وابن أبي مُعَيْط ، شارب الخمر ، المجلود حداً في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فيَنَقُصُونِي وَيَجْدُبُونِي ^(٤) ، وقبل اليوم ما قاتلوني ، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً عاداني الفاسقون ، فَعَبَّدَهُم ^(٥) الله ، أَلَمْ يَفْتَحُوا ^(٦) ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ، إِنَّ فُسَّاقًا كَانُوا غَيْرَ مَرْضِيَّينَ ، وعلى الإسلام وأهله مُتَخَوِّفِينَ ، خدعوا شَطْرَ هذه الأمة ، وَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، واستمالوا أهواءهم بالآفك والبُهتان ،

[١] نهّد الرجل : نهضه ، ونهّد لعدوه : صمده . [٢] الأذنين والأودن : الرّعيم .

[٣] هو عمرو بن العاص ، والباية : لقب أمه سلمى بنت حرملة . [٤] الحذب : القسكين : العيب .

[٥] ذلهم ، المعد : المذال من الطريق وغيره . [٦] الفتح بالسكون : الفهر ، والعلبة والتذليل

كالتفنج (وى الأصل : « أَلَمْ يَفْتَحُوا » وهو تصحيف) .

قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضض خدمتهم^(١) ،
وشتت كلمتهم ، وأبسلهم^(٢) بخطاياهم ، فإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز
من عاديت . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

١٩١ - خطبة أخرى له

ومرّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرّض عليهم الناس ،
- وذكر أنهم غسان - فقال :

« إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك ، يُخرج منهم
النّسم^(٣) ، وضرب يُفلق منه الهام^(٤) ، ويطيح^(٥) العظام ، وتسقط منه
المعاصم^(٦) والأكف ، وحتى يُصدع جباههم بعمد الحديد ، وتنتشر
حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر ، وطلاب الأجر ؟ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

١٩٢ - خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :
« الحمد لله ربّ العالمين ، الذي دحا^(٧) تحتنا سبعا ، وسمك^(٨) فوقنا سبعا ،
وخلق فيما بينهن خلقا ، وأنزل لنا منهن رزقا ، ثم جعل كل شيء قدرا يبتلى

[١] يقال فضّ الله خدمتهم أي فرق جماعتهم ، الخدمة بالتحريك سير عليّ مضافور مثل الحلقة يشدّ في
رسغ البعير ، ثم يشدّ إليه سراح للنعل (أي سيورها : جمع سريحة) فإذا انفضت الخدمة انحلت السراح
وسقطت النعل نصرب ذلك مثلا لذهاب ما كانوا عليه وتفرقه وشبه اجتماع أمرهم والنساقه بالحقة المستديرة .
[٢] أبسله : أسلمه لهلكة ، أي أهلكهم . [٣] جمع نسمة ، وهي نفس الروح (بفتح الفاء)
ثم سميت بها النفس (بالسكون) . [٤] جمع هامة ، وهي الرأس . [٥] يصحّ أن يكون مضارع
طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به في مصيعة ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
شعره أسقطه ، والشيء أناء وأذبه ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك أو أشرف على
الهلاك وذهب وسقط وقاه في الأرض . [٦] جمع مصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .
[٧] دحا الله الأرض يدحوها ويدحاهما : بسطها . [٨] أي رفع .

وَيَفْتَنِي ، غَيْرَ وَجْهِهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الَّذِي يَحْيَا وَيُمِيتُ .

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا ، فَجَعَلَهُمْ حُجَجًا عَلَى عِبَادِهِ عُدْثَرًا وَنُذْرًا^(١) ، لَا يُطَاعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَإِذْنِهِ ، يَمُنُّ بِالطَّاعَةِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهَا ، وَيُعْصِي بِعِلْمٍ مِنْهُ ، فَيَعْفُو وَيَغْفِرُ بِحِلْمِهِ ، لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ، وَلَا يَبْلُغُ شَيْءٌ مَكَانَهُ ، أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، إِمَامُ الْهُدَى وَالنَّبِيِّ الْمُسْطَفَى .

وَقَدْ سَاقْنَا قَدْرُ اللَّهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ ، حَتَّى كَانَ مِمَّا اضْطَرَبَ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَانْتَشَرَ مِنْ أَمْرِهَا ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَجَدَ مِنْ طَغَامِ النَّاسِ أَعْوَانًا عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصِهره ، وَأَوَّلَ ذَكَرٍ صَلَّى مَعَهُ ، بِذَرِيٍّ^(٢) قَدْ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ مَشَاهِدِهِ الَّتِي فِيهَا الْفَضْلُ ، وَمُعَاوِيَةَ مُشْرِكًا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَالَّذِي مَلَكَ الْمَلِكُ وَحْدَهُ ، وَبَانَ بِهِ وَكَانَ أَهْلَهُ ، لَقَدْ قَاتَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمُعَاوِيَةُ يَقُولُ : كَذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصَّبْرِ ، وَاللَّهِ إِنْ لَمْ نَعْلَمْ إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ ، وَإِنْ الْقَوْمُ لَعَلَى بَاطِلٍ ، فَلَا يَكُونُنَّ أَوْلَى بِالْجِدِّ عَلَى بَاطِلِهِمْ مِنْكُمْ فِي حَقِّكُمْ ، وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ أَوْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَلَا تَخْذُلْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَلَا تَحُلْ عَنَّا ، وَافْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

[١] هُمَا مَصْدَرَانِ : عُدْثَرُهُ يَعْنِي عُدْثَرًا بِضَمِّ فَكُونِ وَبِضْمَتَيْنِ وَأَنْدَرُهُ لَنْدَرًا وَنَدْرًا بِضَمِّ فَكُونِ وَبِضْمَتَيْنِ ، أَوْ جَعَانِ : الْعَنْدَرُ بِضْمَتَيْنِ جَمْعُ عَذِيرٍ وَهُوَ الْعَافِرُ ، وَالنَدْرُ بِضْمَتَيْنِ جَمْعُ نَذِيرٍ وَهُوَ النَّذِيرُ .
[٢] أَيِ حَضْرَةِ عُرْوَةَ بِنْتِ الْكَبْرِى الثَّقَلَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَيْنَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ .

١٩٣ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بُدَيْل الخزاعي في أصحابه فخطبهم ، فقال :
 « إن معاوية ادّعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ،
 وجادل بالباطل ، لِيُدْحِضَ ^(١) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ،
 وزَيْنَ لهم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حُبَّ الفتنة ، وأَبَسَ ^(٢) عليهم الأمور ،
 وزَادَهم رِجْسًا ^(٣) إلى رِجْسِهِمْ ، وأنتم والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطغاة الجفافة ،
 قاتلوهم ولا تخشوهم ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهر مبين ،
 قوله سبحانه : (اَتَخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،
 قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
 قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله ما هم في هذه بأزكى
 ولا أبقى ولا أبرّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٤ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوّى صفوف أهل العراق ، ويقول :
 « يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجَنَّةِ
 في الآجل ، إلا ساعةٌ من النهار ، فأرْسُوا أقدامكم ، وسوُّوا صفوفكم ، أعيروا
 ربكم جماجمكم ، واستعينوا بالله إلهكم ، واجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم
 الله وأبادهم ، واضبرُّوا ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

[١] دحست الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . [٢] التلبس : التحليط .

[٣] الرجس : الفذر والمأثم وكل ما استقدر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .

١٩٥ - خطبة للامام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُجّجه البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يرحم فبفضله ومنّه ، وإن عذب فبما كسبت أيديهم ، وإن الله ليس بظلام للعبيد ، أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلًا ، ثم إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمةً منه على خلقه ، فكان علمه فيه رءوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسباً ، وأجلهم منظرًا ، وأسخاهم نفساً ، وأبرّهم لوالد ، وأوصلهم لرحم ، وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حِلماً ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط ، بل كان يُظلم فيغفر ، ويقدر فيصَفح ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في حقّ جهاده ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحمده ، وقد

حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم

وِين أَظْهَرُكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَالْعَمَلِ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَلَا سِوَاهُ^(١) مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذِكْرٍ، لَا يَسْبِقُنِي بِصَلَاةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٌ، وَاللَّهُ إِنَّا عَلَى الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَلَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَتَفَرَّقُوا عَنْ حَقِّكُمْ، حَتَّى يَغْلِبَ بَاطِلُهُمْ حَقِّكُمْ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُعَذِّبَهُمْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ.

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٣)

١٩٦ - خطبة سعيد بن قيس

وَقَامَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَخْطُبُ أَصْحَابَهُ بِقُنَاصِرِينَ^(٢)، فَقَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِهِ، وَأَوْثَرَنَا كِتَابَهُ، وَامْتَنَّ عَلَيْنَا بِنَبِيِّهِ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَتَامًا لِلنَّبِيِّينَ، وَحُجَّةَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، عَلَى الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ، ثُمَّ كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَقْدَرَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْيَيْنَا وَكَرِهْنَا - أَنْ ضَمَّنَا وَعَدُّوْنَا بِقُنَاصِرِينَ، فَلَا يَحْمِلُ بِنَا الْيَوْمَ الْحِيَاصُ^(٣)، وَلَيْسَ هَذَا بِأَوَّانٍ أَنْصَرَفَ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ^(٤)، وَقَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِمَنْزِلِهِ بِرَحْمَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ أَدَاءَ شُكْرِهَا، وَلَا تَقْدِيرَ^(٥) قَدَرِهَا، إِنْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[١] أى ولا مثل من صلى . [٢] قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

[٣] حاص عنه يحبس حبساً ومحجماً وشامساً عدل وحاد ، والحياص والحايصة : مفاعلة من الحبس أى العدول والهرب . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطاعون فليل له في ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصه ولا بد منه » « قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه » وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل في فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه ويمالبه ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المبالاة والمبالسة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحرم على الفرار منه اه .

[٤] النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : درّ وراغ ، أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . [٥] قدر الشيء قدره من التقدير وبابه صرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدَرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

وآله المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا ، فوالله الذي هو بالعباد بصير ، أن لو كان قائدنا رجلاً مخدوعاً ، إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً ، لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا ، فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا ، بذري صدق ، صلى صغيراً ، وجاهد مع نبيكم ﷺ كثيراً ، ومعاوية طليق من وثاق^(١) الأسارى ، إلا أنه أخو جفأة ، فأوردتهم النار ، وأورثهم العار ، والله محلل بهم الذل والصغار^(٢) ، ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً ، فعليكم بتقوى الله من الجِدِّ والحزم والصدق والصبر ، فإن الله مع الصابرين ، ألا إنكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن ، وأدخل المقتول ناراً تلظى ، لا تفتر عنهم وهم فيها مبلسون^(٣) ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه ، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم والمؤمنين .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٧ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وحرص يزيد بن قيس الأرحبي أهل العراق بصفين ، فقال :
« إن المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه ، ولا على إحياء حق رأونا أمتناه ، ولا يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ، ليكونوا فيها جبابرة وملوكا ، ولو ظهرُوا عليكم - لا أراهم الله

[١] الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه في الوثاق شدة « فشُدُّوا الوثاق »

[٢] الذل والضم . [٣] من أبلس إذا بلس وتغير .

ظهوراً ولا سروراً - إذن لوليكم مثل سعيد^(١) والوليد^(٢) وعبد الله بن عامر^(٣) السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت^(٤) ، يأخذ مال الله ، ويقول : لا إثم على فيه ، كأنما أُعطي ثرائه من أبيه ، كيف ؟ إنما هو مال الله ، أفاءه علينا بأسياقنا ورماحنا ، قاتلوا : عباد الله : القوم الظالمين ، الحاكين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم فيهم لومة لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم ، يفسدوا دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرّبتم ، والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا بشراً ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم «

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٥)

١٩٨ - خطبة هاشم بن عقبة المرقال

وشدّ هاشم بن عتبة المرقال^(٥) في عصاة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فليس من وجه يحمل عليه ، إلا صبر له ، وقاتل فيه قتالاً شديداً ، فقال لأصحابه :

[١] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب ، وقد استعمل عثمان بن عفان سعيداً على الكوفة بعد الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافة المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ، ويولي مروان إذا عزله . [٢] هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ابن بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أدوى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . [٣] هو عبد الله بن عامر بن كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضاً بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاء معاوية البصرة ثلاث سنين . [٤] ذيت وذيت مثناة الآخر ، أي كيت وكيت .

[٥] هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، ولقب بالمرقال لأنّ علياً رضي الله عنه أعطاه الراية بصفين ، وكان يركل بها أي يسرع ، وهو الذي انتحج جلولا من بلاد الفرس ، وكانت جلولا تسمى فتح الفتوح ، ونفقت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

« لَا يَهْوُلَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ صَبْرِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ فِيهِمْ إِلَّا حِمِيَّةَ الْعَرَبِ ،
وَصَبْرَهَا تَحْتَ رَايَاتِهَا ، وَعِنْدَ مَرَاكِزِهَا ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى الضَّلَالِ ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ ،
يَا قَوْمِ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَاجْتَمِعُوا ، وَامْشُوا بِنَا إِلَى عَدُونَا ، عَلَى ثَوَدَةٍ رُوَيْدًا ،
ثُمَّ اثْبُتُوا وَتَنَاصَرُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ ، وَلَا تُكْثِرُوا
الْاَلْتِفَاتَ ، وَاصْمُدُّوا ^(١) صَمْدَكُمْ ، وَجَاهِدُوا مُحْتَسِينَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ . » (تاريخ الطبري ٦ : ٢٣)

١٩٩ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انهضوا معي : عبادَ الله : إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدمٍ ظالمٍ ، إنما
قتله الصالحون المنكرون للعُدوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين
لا يبالون إذا سَلِمَتْ لهم دنياهم ، ولو دَرَسَ ^(٢) هذا الدين ، لِمَ قَتَلْتُمُوهُ ؟ فَقُلْنَا :
لِأَحْدَاثِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكْنُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ
يَأْكُلُونَهَا وَيَرْعَوْنَهَا ، وَلَا يَبَالُونَ لَوْ انْهَدَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاللَّهِ مَا أَظْنَهُمْ يَطْلُبُونَ بَدْمَ ،
وَلَكِنِ الْقَوْمُ ذَاقُوا الدُّنْيَا ، فَاسْتَحْلَوْهَا وَاسْتَمَرَّ ^(٣) وَهِيَ ، وَعَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ
لَوْ وَابَتْهُمْ لِحَالِ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَ مَا يَأْكُلُونَ وَيَرْعَوْنَ مِنْهَا ، إِنْ الْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ ، نَحْدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ بِأَن قَالُوا :
قُتِلَ إِمَامُنَا مَظْلُومًا : لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً وَمُلُوكًا ، تِلْكَ مَكِيدَةٌ قَدْ بَلَّغُوا بِهَا مَا
تَرَوْنَ ، وَلَوْلَاهَا مَا تَابَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلٌ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا ، فَطَالَمَا نَصَرْتَ ،

[١] أي انصدوا جهنم [٢] اعشى . [٣] استمرا الطعام : وجده مريثاً أي هنيئاً حميد العبة .

وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الاليم .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣)

٢٠٠ - خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر يخطب الناس بِقُنَاصِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس أدهم مثل

حَلَك^(١) الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذي خلق السموات العلّٰى ، الرحمن على العرشِ استوى ، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثّرى ، أحمدُه على حسنِ البلاء ، وتظاهر النّعماء ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ، ومن يضلّ فقد غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، أن ساقتنا المقاديرُ إلى أهل هذه البلدة من الأرض ، فَلَفَّتْ يَنتنا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه ومَنه وفضله ، فريرةٌ أعيننا ، طيبةٌ أنفسنا ، نرجو بقتالهم حُسْنَ الثواب ، والأمن من العقاب ، معنا ابن عم نبينا ، وسيف من سيوف الله على بن أبي طالب ، صلى مع رسول الله ﷺ ، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً لم يكن له صبوة^(٢) ، ولا نبوة^(٣) ، ولا هفوة^(٤) ، ولا سقطّة ، فقيه في دين الله تعالى ، عالم بحدود الله ، ذور أي أصيل ، وصبر جميل ، وعفاف قديم ، فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن القوم على الباطل ، إنما تقاتلون

[١] الحَلَك : شدة السواد ، وفي الأصل : «حثل» وهو تحريف . [٢] الصبوة : جهلة الفتوة .

[٣] نبا السهم عن الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير في الدين ولا وهى .

معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدرى ، سوى من حولكم من أصحاب محمد ، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ﷺ ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ ، فمن يشك في قتال هؤلاء ؟ إلا ميّت القلب ، أنتم على إحدى الحسنيين ، إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه ، وأستغفر الله لي ولكم . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

٢٠١ - خطبة الأشر في المنهزمين من الميمنة

ولما أنهزمت ميمنة العراق ، قال له عليّ : يا مالك ، قال : لبيك ، قال : أنت هؤلاء القوم فقل لهم : « أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه ، إلى الحياة التي لن تبقى لكم » فمضى فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلى أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عضضتم بهن^(١) آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس : اخلصوا إلى مذججا^(٢) ، فأقبلت إليه مذحج فقال :

« عضضتم بصنم^(٣) الجندل ، ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتم له في عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصباح^(٤) ،

[١] الهن : اسم يكنى به عن الفرج . [٢] كان الأشتر من النخع (بالتحريك) ، وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن . [٣] الصنم : جمع صنعة (كفرصة) ، وهي الصخرة الصلبة كالصنمية . [٤] الغارة .

وَفُرْسَانِ الطَّرَادِ ، وَخُتُوفِ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْجِ الطُّعْمَانِ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّقُونَ
بِأَرْهَمَ ، وَلَا تُطَالُ دِمَاؤُهُمْ ، وَلَا يُعْرَفُونَ فِي مَوْطِنٍ بِخَسَفٍ^(١) ، وَأَنْتُمْ حَدُّ أَهْلِ
مِصْرَكم ، وَأَعَزُّ حَيٍّ فِي قَوْمِكُمْ ، وَمَاتَفَعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقُوا
مَأْثُورَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ، وَأَصْدُقُوا عَدُوَّكُمْ الْلِقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي
نَفْسَ مَالِكٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ هَوْلَاءِ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ
جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمْ الْقِرَاعَ^(٢) ، اجْلُؤُوا
سَوَادَ وَجْهِي ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِي دَمِي ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بَجَانِبِيهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّيْلِ مُقَدَّمَهُ » .
قَالُوا خُذْ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٢ - خطبة أخرى له فيهم

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ عُظَمَاءُ مَنْ كَانَ انْهَزَمَ عَنِ الْمَيْمَنَةِ حَرَضَهُمْ ،
ثُمَّ قَالَ :

« عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشَدُّوا
عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ^(٣) ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِينَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ
وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بِوَتْرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَآيِمُ
اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ شَيْءَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ
لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا السُّنَّةَ ، وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَعِيدُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ
قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ

[١] الحسف : الدل . [٢] المفارقة والمناضلة . [٣] وتره : إذا أصابه وتر ، وهو الثار .

دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنات النعيم ، وإن الفرار من الزحف فيه السلب للعز ، والغلبة على النقيض ، وذل المحيا والممات ، وعار الدنيا والآخرة ، وسخط الله وأليم عقابه .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٣ - خطبة على فيهم وقد عادوا إلى موافقهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمنته قد عادت إلى موافقها ومصافها ، وكشفت من يازاتها من عدوها ، حتى ضاربهم في موافقهم ومراكمهم ، أقبل حتى أتى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جوائزكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يحوزكم الطغاة الجفأة ، وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم ^(١) العرب ، والسنام الأعظم ، وعمار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون ، فلولاً إقبالكم بعد إدباركم وكرهكم بعد انحيازكم ، وجب عليكم ماوجب على المولى يوم الزحف دبره ، وكنتم من الهالكين ، ولكن هوّن وجددي ، وشقّ بعض أحاح ^(٢) نفسي ، أني رأيتم بأخرة ^(٣) حزنتموه كما حازوكم ، وأزتموه عن مصافكم كما أزالوكم ، تحسّنهم ^(٤) بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم ^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتتكم الله عز وجل باليقين ، وليعلم المنهزم أنه

[١] اللهم ، واللهيم (بكسر اللام والميم فيهما) : السائق الجواد من الحبل والناس .

[٢] الأحاح : البيط وحرارة الغم . [٣] يقال جاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولهما

أي آخرأ . [٤] من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . [٥] العطاش : جمع أهيم وهيماء (والهيام بالضم : أشد العطش) .

مُسَخِّطٌ رَبِّهِ ، وَمُؤَبِّقٌ^(١) نفسه ، إن في الفرار مَوْجِدَةً^(٢) الله عز وجل عليه ،
وَالَّذِلَّ اللّٰزِمَ لَهُ ، وَالْعَارَ الْبَاقِي ، وَاعْتَصَارَ الْفَيْءِ مِنْ يَدِهِ ، وَفَسَادَ الْعَيْشِ عَلَيْهِ ،
وَإِنْ الْفَارُّ لَا يَزِيدُ الْفِرَارَ فِي عَمَرِهِ ، وَلَا يُرْضِي رَبَّهُ ، فَمَوْتُ الْمَرْءِ مُحِقًّا قَبْلَ إِيْتَانِ
هَذِهِ الْخِصَالِ ، خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالتَّلَبُّسِ بِهَا وَالْإِضْرَارِ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٨)

٢٠٤ - خطبة خالد بن معمر

وَلَمَّا وَلَّى الْإِمَامُ خَالِدُ بْنُ مَعْمَرٍ رَايَةَ رَيْبَةَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهَا أَهْلُ الشَّامِ حَمْلَةً
شَدِيدَةً ، وَانْهَزَمَ نَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ ، صَاحَ بِمَنْ انْهَزَمَ ، وَقَالَ يَوْمَئِذٍ :
« يَا مَعْشَرَ رَيْبَةَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ آتَى بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ مَنبِئِهِ ،
وَمَسْقُطِ رَأْسِهِ ، فَجَمْعَكُمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ جَعَلَهُ يَجْمَعُكُمْ مِثْلَهُ مِنْذُ نَشَرَكُمُ فِي الْأَرْضِ ،
فَإِنْ تُمْسِكُوا أَيْدِيَكُمْ وَتَنْكُلُوا^(٣) عَنْ عَدُوِّكُمْ ، وَتَزُولُوا عَنْ مَصَافِكُمْ ، لَا يَرْضَى
اللَّهُ فَعْلَكُمْ ، وَلَا تَعْدَمُوا مِنَ النَّاسِ مَعِيرًا يَقُولُ : فَضَحْتَ رَيْبَةُ الدِّمَارِ^(٤) ،
وَحَاصَّتْ^(٥) عَنِ الْقِتَالِ ، وَأُتِيتْ مِنْ قِبَلِهَا الْعَرَبُ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَشَاءَ بِكُمْ الْعَرَبُ
وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ ، وَإِنْكُمْ إِنْ تَمْضُوا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصْبِرُوا مُحْتَسِبِينَ ، فَإِنْ
الْإِقْدَامَ لَكُمْ عَادَةً ، وَالصَّبْرَ مِنْكُمْ سَجِيَّةً ، وَاصْبِرُوا وَنَيْتُكُمْ أَنْ تُؤْجَرُوا ، فَإِنْ
ثَوَابَ مَنْ نَوَى مَا عِنْدَ اللَّهِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَكَرَامَةُ الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٩٦)

[١] مَهَكَ . [٢] أَيْ غَضِبَهُ . [٣] أَيْ تَنَكَّرُوا وَتَجَنَّبُوا .

[٤] مَا تَجِبَ حَاجَتُهُ وَحَفْظُهُ . [٥] هَرَبَتْ وَفَرَّتْ .

٢٠٥ — خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عُقْبَةُ بْنُ حَدِيدٍ النَّمَرِيُّ يَوْمَ صَفِينٍ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ :
 « أَلَا إِنَّ مَرْعَى الدُّنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيئًا ^(١) ، وَأَصْبَحَ شَجَرُهَا خَضِيدًا ^(٢) ،
 وَجَدِيدُهَا سَمَلًا ^(٣) ، وَخُلُوهَا مَرْءُ الْمَذَاقِ ، أَلَا وَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ بِنَأْمَرٍ صَادِقٍ : إِنْ قَدْ
 سَمِيتَ الدُّنْيَا ، وَعَزَفْتَ ^(٤) نَفْسِي عَنْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ ، وَأَتَعَرَّضُ
 لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، أَلَا وَإِنِّي
 مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، قَدْ طَمِعْتُ إِلَّا أُحْرِمَهَا ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ ، عِبَادَ اللَّهِ
 بِجِهَادٍ مِّنْ عَادَى اللَّهِ ، أَخَوْفَا مِنَ الْمَوْتِ الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ ، الذَّاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لِمَحَالَةٍ ؟
 أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ كَفَّ بِالسَّيْفِ ؟ أَنْتَبِدِلُونَ الدُّنْيَا بِالنَّظَرِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
 وَمُرَافَقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ الْقَرَارِ ؟ مَا هَذَا
 بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يَا إِخْوَتِي إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ هَذِهِ الدَّارَ بِالنِّسَاءِ أُمَمًا ، وَهَذَا
 وَجْهِي إِلَيْهَا . لَا تُبْرِحْ وَجُوهُكُمْ ، وَلَا يَقْطَعْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِجَاءَكُمْ » فَتَبِعَهُ
 إِخْوَتُهُ وَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ ، فَقَبِّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ : اللَّهُمَّ
 إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ » . فَاسْتَقْدَمُوا فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٩٠)

٢٠٦ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وكان من « مُحَارِبٍ » . رجل يقال له خَنْثَرُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ مِنْ

[١] المشيم من النبات : اليابس المنكسر . [٢] مقطوعاً ، خصده : كفريه ، فهو خضيد ومخضود .

[٣] السمل : الخلق من الثياب . [٤] انصرفت .

أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ،
فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطانِ آثرُ ^(١) عندكم من طاعة الرحمن ؟ ألا إنَّ
الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه ، وإن الصبر فيه طاعةُ الله عز وجل
ورضوانه ، أفتختارون سخط الله تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ؟ ألا
إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلَّى الدُّبُرَ ^(٢) أنا الذى لا يثنى ولا يفِرُّ
وَلَا يُرَى مع المعازيلِ الغُدرِ ^(٣)

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

٢٠٧ - تحريض معاوية أيضاً

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذى دنا فى علوه ، وعلا فى دنوه ، وظهر و بطن ، وارتفع فوق
كل ذى منظر ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ،
ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على شىء قضاه
لَا يُؤْمَرُ ^(١) أحداً فيما يملك ، وَلَا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب
العالمين على ما أحببنا وكرهنا .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقطنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، وَلَفَّتْ
بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

[١] أفضل . [٢] وأل : طلب النجاة ، وخلص . [٣] المعازيل : جمع معزال بكسر الميم ،
وهو الصعيف الأحمق (ومن لاسلاح معه ، ومن يعتزل أهل الميسر لؤماً) ، والغدر : جمع غدور مبالغة
من طادر . [٤] أى لا يشاور .

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ،
إنكم غداً تَلْقَوْنَ أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا
طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم ، فأقبلوا من بلادهم حتى نزلوا في
يَبْضَتِكُمْ^(١) ، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن
تكونوا قوماً تَدُبُّونَ عن نسائكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ،
وأسألوا الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير
الفاتحين » (شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

٢٠٨ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصَّفِّينِ بِصِفِّينِ فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أما أنصفكم من دعاكم إلى مارضى نفسه ؟ إنكم يا معشر
الانصار ، أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقنيلكم أنصاره يوم الجمل ،
وإقحامكم^(٢) على أهل الشام بصفين ، فلو كنتم إذ خذلتُم عثمان خذلتُم علياً ،
كان هذا بهذا ، ولكنكم خذلتُم حقاً ، ونصرتُم باطلاً ، ثم لم ترضوا أن تكونوا
كأناس، شعلتم^(٣) الحرب ، ودعوتُم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من
أهل الشام سراعاً إلى برازكم ، غير أنكاس^(٤) عن حربكم ، ثم لم ينزل بعلي أمره

[١] ساحتكم . [٢] قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقحمت الفرس النهر : أدخلته

فيه فاقحم واقحم . [٣] شعل النار ، وأشعلها : ألهبها .

[٤] أنكاس : جمع نكس (بالكسر) ، وهو الضعيف المنصر .

قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةَ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظُّفْرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَّرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عَدَدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَاثَرُوكُمْ بِالْقِلَّةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكَثَرَةِ ، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ أَذِلَّةً فِي الْحَرْبِ بَعْدَهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذْتُ الْحَرْبَ مِنْكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظُّفْرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

٢٠٩ - جَوَابُ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ

« وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَرَاكَ يَا نَعْمَانَ تَجْتَرِئُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ، أَمَّا الْمُنْصَفُ الْحَقُّ فَلَا يَنْصَحُ أَخَاهُ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ الْفَاشُ لِنَفْسِهِ ، الْمَبْطَلُ فِيمَا نَصَحَ غَيْرَهُ ، أَمَا ذَكَرَ عَثْمَانُ فَإِنْ كَانَ الْإِيْمَازُ يَكْفِيكَ نَفْذَهُ ، قَتَلَ عَثْمَانُ مَنْ لَسْتُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَخَذَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرُ مَنْكَ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْجَمَلِ فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى النَّكْثِ ، وَأَمَّا مَعَاوِيَةُ ، فَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى بَيْعَتِهِ لَقَاتَلْتَهُمُ الْأَنْصَارُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا لَسْنَا كَالنَّامِ ، فَتَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ كَمَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، نَلْقَى السُّيُوفَ بِوُجُوهِنَا ، وَالرَّمَاحَ بِنُجُورِنَا ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ يَا نَعْمَانَ ، هَلْ تَرَى مَعَ مَعَاوِيَةَ إِلَّا طَلِيقًا أَعْرَافِيًا ، أَوْ عِمَانِيًا مُسْتَدْرَجًا ^(١) ، وَانْظُرْ أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ثُمَّ

[١] استدرجه : خدعه وأدناه .

انظر هل ترى مع معاوية غيرك وَصُؤِنَجِبَكَ^(١) ، ولستما والله بدرينين ولا عَقَبَيْنِ^(٢) ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن .

(الإمامة والسياسة : ١ : ٨٣)

خطب الشيعيات في وقعة صفين

٢١٠ - خطبة عكرشة بنت الأطرش

دُخِلَتْ عِكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكئة على عُكَّاز ، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا علىّ حيّ ، قال : أَلَسْتَ المتقلدة حمائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يَضُرُّكم من ضلّ إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يَرْحَلُ من أوطانها ، ولا يَهْرَمُ من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قومًا مستبصرين في دينهم ، مستظهرين^(٣) بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية ذلف^(٤) إليكم بمعجم العرب ، غُلف^(٥) القلوب ، لا يَفْقَهُونَ الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فالله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك يَنْقُضُ عُرَا الإسلام ، وَيُطْفِئُ نور الحق ، هذه بذر الصغرى ،

[١] أراه يعني به عمرو بن العاص ، وقد كاد أكبر أعوان معاوية ونصرائه ، طاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . [٢] أي لا يمن حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يمن بابعوه في العقبة .

[٣] مستعينين . [٤] ذلف : شئ شئ المقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .

[٥] جمع أغلف وقلب أغلف كأنما عشي بملاف فهو لا يمي .

وَالْعَقَبَةُ^(١) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ،
واصبروا على عزيمتكم ، فكأنني بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة ،
تَصْقَعُ^(٢) صَقَعَ البعير .

فكأنني أراك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه
عكرشة بنت الأطرش بن رَواحة ، فإن كدتِ لتَفْلُئِني أهل الشام لولا قدر الله ،
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين بقول الله
جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ .
الآية » وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذكرى
حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا
قد فقدنا ذلك ، فما يُجْبِرُنا كسير ، ولا يُنْعِشُ لنا فقير ، فإن كان ذلك عن
رأيك ، فمثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما
منلك من استعان بالخَوَنة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا
من أمور رعيتنا أمور تنبثق^(٣) ، وبحور تنفهي^(٤) ، قالت : يا سبحان الله !
والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال
معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب ، فلم تُطَاقُوا ، ثم أمر برد
صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم . (العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعشى ١ : ٢٥٣)

[١] تشير إلى بيعة العقبة (الأولى والثانية) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أي أن هذه للموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كذاك .

[٢] الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته رفعه . وى صح الأعشى تصع تصع البعير . من قصع الجمل بجمرته

ردّها إلى جوفه . [٣] انبثق : انعجر ، وانبثق السيل عليهم أقبل ولم يحتسبوه . [٤] تنسع .

٢١١ - خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سُرَاقَة البارقي برخلها ، وأعلم أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فخير زائفة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر تختلج في صدري . فلما شيعها ، وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير : إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني بقولك في الخير خيراً ، وبالشر شراً ، فإلى عندك ؟ قالت يا هذا ، لا يُطمعك بركي ، أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتي بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ! بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة ^(١) السلطان مدحضة ^(٢) لما يجب علمه ، ولكل أجل كتاب ، قال صدقت ، فكيف حالك يا خالة ، وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يعيدك الله من دحض ^(٣) المقال ، وما تردي عاقبته ، قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر ؟ قالت لم أكن والله زورته ^(٤) قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نفضها لساني

[١] البديهة أول كل شيء وما يفتأ منه . [٢] المدحضة : المزلة . [٣] دحضت الحجبة دحضا

من باب تقع بطلت ورجله زلقت وكان دحض زلق . [٤] زور الشيء : حسنه وقوته وهدبه .

عند الصدمة ، فإن أُحييت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال هات ؟ قال كَأَنِّي بَهَا يَن بَرْدِينَ زَيْبَرِيَّيْنِ^(١) كَشَفَنِ النَّسِيجِ ، وَهِيَ عَلَى جَمَلٍ أَرْمَكَ^(٢) ، وَيِيدهَا سَوْطٌ مِّنْ تَشْرِ الضَّفِيرَةِ ، وَهِيَ كَأَلْفِ جَلٍ يَهْدُرُ^(٣) فِي شِقْشِقَتِهِ تَقُولُ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنْ زَلَزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعِكُمْ فِي عَمَيَاءِ مَذْهَبَةٍ ، فَأَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ، أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ خَبَارَكُمْ » ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، ويدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها إحن^(٤) بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أودية^(٥) وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بنى عبد شمس ، ثم قالت : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنْتَهُونَ » صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار

[١] الرئير : ما يملو الثوب الجديد كالذى تراه في التطيفة . وفي رواية أخرى : عليها برد زبيدي لسبة إلى زبيد (بفتح الزاي) بلد باليمن . [٢] من الرمكة بالضم وهي لون الرماد . [٣] يصوت والشقشة هي كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج . [٤] جمع إحنة : وهي الضئيلة والحمد لله إلى ما كان من قتل علي يوم بدر أخا معاوية (حنظلة بن أبي سفيان) وجدته لأمه (عتبة بن ربيعة) وخله (الوليد بن عتبة) . [٥] تشير إلى ما حدث من هند زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد إذ بقرت بطن حمزة هم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلا كتها ثم أرسلتها .

قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأننى بكم غداً ، وفد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة فرّت من قسورة^(١) ، لا تدرى أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع فى الباطل ، ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسَمَعُوا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصِهْرِهِ ، وأبى سِبْطِيهِ ، خُلِقَ من طينته ، وتفرع من نَبْعَتِهِ^(٢) ، وجعله باب دينه ، وأبان يفضّه المنافقين ، وهاهو ذا مُفْلَقُ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أُحُدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ، فialها من وقائع زرعت فى قلوب قوم نفاقاً ، وَرِدَّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتهدت فى القول ، وبالغت فى النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله !

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ما حَرَجْتُ^(٣) فى ذلك . قالت والله ما يسوءنى يابن هند أن يجرى قتلى على يَدَيَّ من يُسْعِدُنِي الله بشقاقه . قال هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقواين فى عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت وما عَسَيْتُ أن أقول فى عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به

[١] الأسد والزماة من الصيادين ، والواحد تسور . [٢] النبعة فى الأصل واحدة النع : شجر العسى والسهم . [٣] أئمت .

راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُثنين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان نقصاً ، ولقد كان سباقاً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ^(١) ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، (فإن قريشاً تحدثت أنك أحلمها) أن تُعفينى من هذه المسائل ، وتسألنى عما شئت من غيرها . قال : نعم وَنَعْمَةً ^(٢) عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردّها مكرمة .

(العقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٤٨)

٢١٢ - خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وذكرت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا علىّ في أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال بثس الرأي ، أيحسن بمثلى أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدّة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاءً ^(٣) ليناً ، ويستترها بستير خَصِيف ^(٤) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن

[١] الحواريّ : الناصر أو ناصر الأنبياء . [٢] أى أنفل ذلك لإعلاء عينك وإكرامك .

[٣] الفراش . [٤] أصله من خصف النمل يَخْصِفُها كقرب ظاهراً بعضها على بعض وخرزها وهي

نمل خصيف ، وكل ما طوردق بعضه على بعض فقد خصف .

كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَى فَنَانِي لَا آتِيَهُ ، وَإِنْ كَانَ حَتِّمٌ ، فَالطَّاعَةُ أُولَى ،
فَحَمَلَهَا وَأَحْسَنَ جِهَازَهَا ، عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ . قَالَ مَرْحَبًا بِكَ
وَأَهْلًا ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَاقِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتَ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ رَيْبَةً بَيْتٍ ، أَوْ
طِفْلًا مُمَهَّدًا . قَالَ بِذَلِكَ أَمَرْنَاكُمْ . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ وَأَنْتَى لِي بَعْلٌ
مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ الرَّائِكَةَ الْجَمْلَ الْأَحْمَرَ ، وَالْوَاقِفَةَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِصِفَيْنِ ، تَحْضِينَ
عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَوَقِّدِينَ الْحَرْبَ ؟ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ
الرَّأْسُ وَبُتِرَ الذَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرٍ ^(١) ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ،
وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ أَتَحْفَظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَتْ
لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أَنْسَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : ارْعَوْا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَالِيْبَ
الظُّلْمِ ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ ^(٢) ، فَيَا لَهَا فِتْنَةً عَمِيَاءَ صَمَاءَ بَكَاءَ ، لَا تَسْمَعُ لِنَاعِقِهَا ،
وَلَا تَنْسَاقُ لِقَائِدِهَا ، إِنْ الْمَصْبَاحُ لَا يَضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَلَا تَنْيرُ الْكُوكُبُ مَعَ
الْقَمَرِ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرْشَدْنَا أَرْشَدْنَا ، وَمَنْ سَأَلْنَا
أَخْبَرْنَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا ، فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْفَصَصِ ، فَكَأَنَّ قَدْ انْدَمَلَ شَعْبُ الشَّتَاتِ ، وَالتَّامَتِ كَلِمَةُ
الْحَقِّ ، وَدَمَغَ الْحَقُّ الظُّلْمَةَ ، فَلَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ فَيَقُولُ : كَيْفَ وَأَنْتَى ؟ لِيَقْضَى اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، أَلَا وَإِنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْحَنَاءِ ، وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ ، وَلِهَذَا

[١] أَحْدَاثُ جَمْعُ غَيْرَةٍ بِالْكَسْرِ أَوْ مُفْرَدٌ ، وَجَمْعُهُ أَغْيَارٌ . [٢] حَادَّةُ الطَّرِيقِ .

اليوم ما بعده : والصبر خير في الأمور عواقبا :

إيها^(١) في الحرب قُدمًا غير نا كصين ، ولا متشا كسين »

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شَرِكتَ عليا في كلِّ دم سفكه . قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فمثلك بَشْرٌ بخير وسرٍّ جليسه . قال أويسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُرِرت بالخبر ! فأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لوفاءؤكم له بعد موته أعجب من حُكم له في حياته ، اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبية . قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسا . (العقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٢)

اختلاف اهل العراق في الموادعة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستعزَّ القتال . فال رأسٌ من أهل العراق لعلی : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى الموادعة . وقال بعضهم : لا بل نقاتلهم اليوم على ما فائناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة ، وجنَّحت إلى الصلح والمسالة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢١٣ - خطبة الامام على كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى فدَحَتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهى لعدوكم أنْهَكُ ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ،

[١] إيها : كلمة زجر بمعنى حسك (وإياه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استعادة واستنطاق) والقدم المصى أمام وهو يمشى القدم إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مضى قدمه في سبيل الله » القدم الاقدام ، أقدم على قرنه إقداما وقدمما تقدم عليه بجرأة صدر .

فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً، فأصبحت اليوم منهيّاً، فليس لى أن أحلّم على ما تكرهون .

٢١٤ - خطبة كردوس بن هانىء

وقام كُرْدُوس بن هانىء، فقال :

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا تبرأنا من على منذ توليناه، وإن قتلنا لشهيد، وإن حِينًا لفائر، وإن عَلِيًّا على يَدَنَّة من ربه، وما أجاب القوم إلا إِنْصَافًا، وكل مُحِق مُنْصِف، فمن سَلَّمَ له نجا، ومن خالفه هَوَى .

٢١٥ - خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردوه علينا فقاتلناهم، وإنهم دعونا إلى كتاب الله، فإن ردّدناه عليهم، حَلَّ لهم منا، ما حَلَّ لنا منهم، ولسنا نخاف أن يَحْيِف الله علينا ورسوله، وإن عَلِيًّا ليس بالراجع الناكص، وهو اليوم على ما كَانَ عليه أمس، وقد أَكَلْنَا هذه الحرب، ولا نرى البقاء إلاّ في المَوَادَّعة .

٢١٦ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حُرَيْث بن جابر فقال :

« إن عليًّا لو كَانَ خِلُوا من هذا الأمر لكان المرجع إليه، فكيف وهو قائده وسائقه، وإنه والله ما قَبِل من القوم اليوم إلاّ الأمر الذى دعاهم إليه أمس، ولورده عليهم كُتِم له أعيب، وَلَا يُلْحِذُ في هذا الأمر إلا راجع على عَقْبِيهِ، أو مُسْتَذَرَج مغرور، وما بيننا وبين من طعن علينا إلا السيف .

٢١٧ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفينا مَثُوتَه ، فأما إذ استغينا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فأيك أفضل »

٢١٨ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إنما بُنيَ هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهدموا بالشبهة ، وإنا والله لو أننا لا نقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلًا ، ولو تركنا وما نهوى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيرًا ، وإن لنا راعيًا قد حمَدنا ورَدَّه وصَدَّرَه ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا ، قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم . »

٢١٩ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملًا لعلى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : اتَّهِمُوا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُدَيْبِيَّة يوم أبي جَنْدَل^(١) ، وإنا ليريد القتال إنكارًا للصَّحاح حتى رَدَّنا

[١] هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (سنة ست الهجرة) بعث قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما

عنه رسول الله ﷺ وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً ، فأجبناهم إليه إعداراً ، فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ماعدلنا الحى بالحى ، ولا القتل بالقتل ، ولا الشام بالعراق ، ولا معاوية بعليّ ، وإنه لأمر منعه غير نافع ، وإعطاؤه غير ضائر ، وقد كلّت البصائر التى كنا تقاتل بها ، وقد حمل الشكّ اليقين الذى كنا نثول إليه ، وذهب الحياء الذى كنا نمارى به ، فاستظّلوا فى هذا النّزاع^(١) ،

الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على أن من أتى محمداً من قريش نغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف فى الحديد قد انفك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكرون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فصر به وأخذ بتليبه « بفتح التاء : ما فى موضع الباب (أى البحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القصة بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل ينثره بتليبه ويجرّه ابردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فراد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحاسب فإنّ الله جاعل لك ولئن ملك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نغدر بهم ، ووثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنا دم أحدم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه . قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فض الرجل بأبيه ونفذت القصة .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان ممن حبس بمكة ، فبعث قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا النذر ، وإن الله جاعل لك ولئن ملك من المستضعفين فرجا ومخرجا . فانطلق إلى قومك . قال يا رسول الله : أتردّنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال يا أبا بصير انطلق ، فانطلق معهما حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما قتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى المدينة فقال يا رسول الله وفّت ذمتك ، وأدّى الله عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ، وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، واغلت إليه أبو جندل بن سهيل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ، وضيّقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرّ بهم غير الاقتطعوهما ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آوام ، فلاحاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة . [١] الى : ما كان شمساً فينسه الظل .

واسكنوا في هذه العافية ، فإن قلتم تقاتل على ما كنا تقاتل عليه أمس ، فهيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

٢٢٠ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله ، فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهكم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والنحائر ^(١) إنه لأشد الناس عقلاً ، وأكرمهم نخيزة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شؤري عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ، ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قريبكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قريبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، وكتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كل من تشعب

على عليّ رضى الله عنه .

٢٢١ - خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما الكثير المنكر بأعلم بها من المقل المعترف ، وقد أخذت الحرب بأنفاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى ما دعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وفلوبنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيتنا ، وشرحت بالطاعة صدورنا ، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالى المطاع ، ونحن الرعية الأتباع ، أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بغيرنا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك نتبعك ، واستخبر الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالى المطاع » .

فسرّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٢٢ - خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حكيم^(١) إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل

[١] هو حكيم بن حبل . [٢] كان عامل على البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب عائشة

حين قدموا البصرة .

أَكْفَ الْإِبِلَ ، وَجَبَاهُم مِّثْلَ رُكْبِ الْمَعَزِ ، فَأَسْرَحْنِي ، وَسَلِّبِ الْقَتِيلَ ، فَكُنَّا
أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَلَاءَنَا بِصَفِينٍ ، وَقَدْ كَلَّتِ الْبَصَائِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ،
وَبَقِيَ الْحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بَالِغٌ بِهَذَا حَاجَتَكَ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللَّهُ
فَرُّنَا بِهِ .

٢٢٣ - خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهَلَاكِ الْعِرَاقِ ، وَلَا
يَدِينُ لَهُ الْعِرَاقُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا
نَقَصْنَا أَضْرَمَ ، فَإِذَا فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفِينَا وَاللَّهُ مَا يُفَلِّهُ بِهِ
الْحَدُّ ^(٢) ، وَيُرْذُّ بِهِ الْكَلْبُ ^(٣) ، وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِبْرَادٌ وَلَا صَدَرٌ .

٢٢٤ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ
فِي مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنَّهُ لَوْ نَكَلَ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ
الْيَوْمَ ، مَا قَدْ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ تَقَاتِلِ الْقَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا
قَاتَلْنَاهُمْ لِلَّهِ ، فَإِنْ هَالَكَ أَمْرُ اللَّهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا
بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا الْقِتَالَ .

[١] أَيْ قَانَ رَأَيْتَ غَيْرَ رَأَيْتُ « وَهُوَ الْقَدَى عِبْرَتُهُ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أَرَى أَمْرًا . . . الخ » وَفِي الْأَصْلِ
« غَيْرِكَ » وَأَرَاهُ مَحْرُفًا . [٢] أَيْ نَفِينَا مِنَ الْبَأْسِ مَا يَفْلُ بِهِ حَدُّ الْأَعْدَاءِ وَقُوَّتُهُمْ .
[٣] الْكَلْبُ : دَاءٌ يَشْبَهُ الْجَنُونَ يَأْخُذُ الْكَلَابَ فَتَعْرِقُ النَّاسَ وَيَعْتَرِي النَّاسَ أَيْضًا مِنْ عَضِّهَا ، وَقَدْ
اسْتَعَارَهُ هُنَا لَطِيعُ الْأَعْدَاءِ فِيهِمْ وَغَارَتُهُمْ عَلَيْهِمْ .

٢٢٥ - خطبة عمير بن عطار

ثم قام عُمَيْرُ بْنُ عَطَّارٍ ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير ومائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وعَيَّبَ الواقف ، فقاتل القوم ، إنا معك . »

٢٢٦ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها ، وقد صَبَرَ لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غادٍ عليهم بنفسى بالغداة ، فأحاكمهم بسيفي هذا إلى الله . »

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرماح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم » .

٢٢٧ - مقال عدى بن حاتم

فقام عدى بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لَا تُعَوِّقُ أهل الحق ، وقد جَزِعَ

القوم حين تأهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ماتحب ، نأجز القوم »

٢٢٨ - مقال الأشر النخعي

ثم قام الأشر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبنك لدنيا . إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولكن بحمد الله الخلف لك ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج ^(١) الحديد بالحديد ، واستعين بالله » .

٢٢٩ - مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبنك لدنيا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجبنك إلا لله تعالى ، وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكثر فيه اللجاج ، وطالت له النجوى ^(٢) ، وقد بلغ الحق مقطعة ، وليس لنا معك رأى »

٢٣٠ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحمد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر ^(٣) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البقيا »

[١] أي شق سلاحهم ومزقه بسلاحك . [٢] المسارة . [٣] أي ولا أشد وترا . من وتره إذا أدركه بمكروه .

٢٣١ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَخِفُّكَ الدين لا يوقنون ، أحكّم بعد حكم ، وأمر بعد أمر؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم ».

٢٣٢ - مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية يضاء ، من أقر بها هلك ، ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد مائة ألف قُتلوا منا ومنهم ، أفلا كان هذا قبل السيف ؟ وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دعوك إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم ، وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد سمعت ، فإن كان القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يَفِيئُوا ^(١) إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أسلموا ، ولا أدوا الجزية ، ولا فاءوا إلى أمر الله ولا طَفِئَتْ ^(٢) الفتنة » فقال علىّ والله إني لهذا الأمر كاره

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل علىّ يبين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرام بها توهين قوتهم ، وتشيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقوله ، ولا يذعنون لنصحه ، وأقبل الأشعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعليّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لئن تقبل هذا

[١] يرجعوا . [٢] أي انطفأت .

منهم لا وفاء معك ، ولا نرمي معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفاً »
وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ
دعيت إليه ، وإلاّ نَدْفَعُكَ بِرُمْتِكَ إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم
يربداً من الإذعان وقبول التحكيم . (الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين علي ومعاوية

٢٣٣ - كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم
على كُرّه من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس
وأشرافهم ، فقال له :

« أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ
فيه ، وما أكثرَ أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن
أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيَا ، ورأوا أن معظم أهل الشام يانٍ ،
وأيّمُ الله إني لأظن ذلك شرّاً لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس
في معاوية خَلَّةٌ ^(١) يستحق بها الخلافة ، فإن تَقَذَّفَ بحقك على باطله ، تُدْرِكُ
حاجتك منه ، وإن يطمع باطلُهُ في حقك ، يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى
أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدّعي الخلافة
من غير مشورة ولا يَبْعَةِ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد

صدق ، استعمله عمر وهو الوالى عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ ما يشتهي ، وَيُوجِرُهُ^(١) ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أَكْثَرَ من استعمال ممن لم يدع الخلافه ، واعلم أن لعمر ومع كل شيء يَسُرُّكَ خَبَأٌ^(٢) يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنس أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعه هُدًى ، وأنه لم يقابل إلا العاصين والناكثين »

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على » ، وإني لواقف عند ما رأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٥)

٢٣٤ - وصية شريح بن هانى لآبى موسى الأشعرى

ولما أراد أبو موسى المسير ، قام إليه شريح بن هانى الحارثى ، فأخذ يده وقال :

« يا أبا موسى : إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يُجْبَرُ صدْعُهُ ، ولا تُسْتَقَالُ فلتته ، ومهما تَقُلْ من شيء لك أو عليك ، يَثْبُتُ حَقُّهُ ، وَيُرَى صِحَّتُهُ ، وإن كان باطلا ، وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على » ، وقد كانت منك تَثْبِيطةٌ^(٣) أيام الكوفة والجل ، فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقيناً ، والرجاء منك يأساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُمِيت بِشَرِّ خَصْمٍ فلا تُضِعِ الدراق (فدتك نفسى)
وأعطِ الحقَّ شامِمْ وخبْذَه فإن اليوم فى مهَلٍ كأَمْسٍ

[١] وجره الدراء (كوعده) وأوجره إياه : جعله فى ميسه ، وأوجره الرمح : طعنه ، ووجره : أسمع ما يكره . [٢] الحب : ماخِيٌّ . [٣] أى تعويق .

وَإِنْ غَدَا يَجِيءُ بِمَا عَلَيْهِ كَذَاكَ الدَّهْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ
وَلَا يَخْذَعُكَ عَمْرُو ، إِنْ عَمْرًا عَدُوُّ اللَّهِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
لَهُ خُدَعٌ يَحَارُ الْعَقْلَ مِنْهَا مُمَوَّهَةٌ مَزْخَرَفَةٌ بِلَبْسٍ
فَلَا تَجْمَعُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ كَشِيخٍ فِي الْحَوَادِثِ غَيْرِ نِكْسٍ^(١)
هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَرْدًا سَوَى عِرْسٍ^(٢) النَّبِيِّ ، وَأَيُّ عِرْسٍ ؟
فَقَالَ أَبُو مُوسَى : « مَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ اتَّهَمُونِي أَنْ يَرْسَلُونِي لِأُدْفَعَ عَنْهُمْ بِالْإِطْلَا ،
أَوْ أُجْرَ إِلَيْهِمْ حَقًّا » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٥ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

وَلَمَّا خُتِمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَتَاهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ :
« يَا أَبَا مُوسَى ، إِنْ هَذَا مَسِيرُكَ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ عِزِّ الدُّنْيَا أَوْ ذُلِّهَا آخِرَ الدَّهْرِ ،
ادْعِ الْقَوْمَ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ أَنْ يَخْتَارَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ قُرَيْشِ الْعِرَاقِ
مَنْ أَحَبُّوا ، وَيَخْتَارَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ مَنْ أَحَبُّوا ، وَإِيَّاكَ إِذَا لَقِيتَ
ابْنَ الْعَاصِ أَنْ تَصَاحِفَهُ بَنِيَّةً ، وَأَنْ يُقْعِدَكَ عَلَى صَدْرِ الْمَجْلَسِ ، فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ ، وَأَنْ
يَضْمَكَ وَإِيَّاهُ يَبْتَ ، فَيُكْمِنُ لَكَ فِيهِ الرِّجَالُ ، وَدَعُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ، لَتَكُونَ عَلَيْهِ بِالْخِيَارِ ،
فَالْبَادِيُ مُسْتَفْلِقٌ^(٣) ، وَالْمُجِيبُ نَاطِقٌ » .

فَاعْمَلْ أَبُو مُوسَى إِلَّا بِخِلَافِ مَا قَالَ الْأَحْنَفُ ، وَأَشَارَ بِهِ ، فَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ

[١] كَشِيخٍ : يَرِيدُ بِهِ الْإِمَامَ عَلِيًّا ، وَالنِّكْسُ : الضَّعْفُ وَالْمَصْرُ عَنْ غَايَةِ الْكَرَمِ .

[٢] أَيُّ زَوْجِهِ ، يَرِيدُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَأَيُّ عِرْسٍ : أَيُّ وَأَيُّ عِرْسٍ مِ . اسْتَعْتَمَهُم

الْمُرَادُ بِهِ الْعَظِيمُ .

[٣] أَصْلُهُ ابْنُ تَوَلَّاهُمْ : اسْتَفْلَقُوا فِي يَمِينِهِ لَمْ يَجْعَلْ لِي خِيَارًا وَدَعَاهُ أَيُّ أَنْ الْبَادِيُ لَيْسَ لَهُ الْخِيَارُ فِي رَدِّ مَا قَالَهُ .

ما كان ، فلقية الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل والله قدميك في خُفّ واحدة » .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٦)

٢٣٦ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوةً لأهل الشام ، وفرقةً لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول ، فإذا هو قال فاصمتُ ، واعلم أن حسن الرأي زيادةٌ في العقل ، إن خوفك العراق نخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر نخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، نخوفه بمعاوية ، وإن أذاك بالجميل فأت به بالجميل » .

٢٣٧ - رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرجُ الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدِّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خِفْتَ ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، وأريت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ »

فقال معاوية : « قل ما تريد وترى » . (الإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٨ - مقال شرحبيل بن السمط لعمر و

ولما ودَّعه شُرحبيل بن السمط قال له :

« يا عمرو إنك رجل قريش ، وإن معاوية لم يبعثك إلا لعله أنك لا تُؤتَى من عجز ولا مكيدة ، وقد علمت أن وطأة هذا الأمر لك ولصاحبك ، فكن عند ظننا بك » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٣٩ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحكمان أبو موسى الأشعري وعمر و بن العاص بدومة الجندل ، ودار بينهما من الحوار مآدار ، أقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون ، فتقدم أبو موسى ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نَرَ أصلحَ لأمرها ، ولا أَلَمَ لِشَفْئِهَا ، من أمرٍ قد أجمع رأي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر ، فَيُولُوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً (١) » .
ثم تنحى .

٢٤٠ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

[١] وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « وإني رأيت وعمرأ أن نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فإنه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً » وفي رواية المسعودي في مروج الذهب : « وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه (وأهوى إلى عمامته فخامها) واستعلفنا رحلاً قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أباه الذي صلى الله عليه وسلم ، مبرز في سابقه ، وهو عبد الله بن عمر ، وأطراه ورغب الناس فيه » .

« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ،
واثبت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ،
وأحق الناس بمقامه . »

فقال أبو موسى : « مالك - لا وفقك الله - غدرت وفجرت ! إنما مثلك
كمثل الكلب إن تحمّل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ^(١) » قال عمرو :
« إنما مثلك كمثل الحمار يحمّل أسفاراً . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٨ ،
والامامة والسياسة ١ : ١٠١ ومروج الذهب ٢ : ٣٢)

٢٤١ - خطبة الامام علي بعد التحكيم

وخطب الامام عليّ كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، ^(٢) والحدّث ^(٣) الجليل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
صلى الله عليه وآله ، أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، ثورت
الحسرة ، وتعبت الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت
لكم مخزون رأيي ، لو كان يطاع لقصير ^(٤) أمرى ، فأيتهم على إباء المخالفين الجفأة ،
والمنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزائد بقذحيه ، فكنت
وإياكم كما قال أخوهوازن ^(٥) :

أمرتكم أمرى بمنعرج الأولى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

[١] لهث الكلب كقطع : أخرج لسانه من العطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أحميا .

[٢] من فدحه الدين أى أتقاه . [٣] الحادث . [٤] قصير : هو مولى حذيفة الأبرش ، وكان
قد أشار على سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجريرة ، وقد دعت له إليها ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها ، فقال
قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً . [٥] هو دريد بن الصمة .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحيا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير حُجَّةٍ يَبْتَنَّى ، ولا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشداً ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استعِدُّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام .
(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٢٤٢ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام عليّ : ثم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمر ، فقام الحسن فتكلم فقال :

« أيها الناس ، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمر ، وإنما بُعِثا ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فحكما بالهوى دون القرآن ، فمن كان هكذا لم يكن حكماً ، ولكنه محكوم عليه ، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله ابن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : خالف (يعني أبا موسى) أباه عمر إذ لم يرْضَها لها ، ولم يره أهلاً لها ، وكان أبوه أعلم به من غيره ، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لا شيء له فيها ، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة ، وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يَعْقِدُونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس ، وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عَلِمَ ما عنده من رد أو قبول . ثم جلس .

٢٤٣ - خطبة عبد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال عليّ لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض

به ، وراغب عنه ، وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كنا حكاماً عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كنا حكاماً بهواهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعليّ إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه .
ثم جلس .

٢٤٤ - خطبة عبد الله بن جعفر

فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :
«أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعل ، والرضا فيه إلى غيره ، جثم بأبي موسى ، فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصاحا بما فعلا الشأم ، ولا أفسدا المراق ، ولا أماتا حقّ عليّ ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحقّ قلة رأي ، ولا تفخة شيطان ، وإنا لعلّ اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

فتنة الخوارج

٢٤٥ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام عليّ كرم الله وجهه من صفّين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضلّالا ، ونزلوا حرّوراء^(١) في اثني عشر ألفاً ، وأمرُوا على القتال شبّث بن ربعيّ

وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم عليّ عبد الله بن عباس ، فقال لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، نخرج إليهم حتى أتاكم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نقيمت من الحكمين ؟ وقد قال الله عز وجل : « إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا »^(١) » فكيف بأمة محمد ﷺ ؟ فقالت الخوارج : قلنا أمّا ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه ، فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يَخْضَعُونَ لَكُمْ بِذَوَائِدِهِمْ مِنْكُمْ »^(٢) » فقالوا له : أو تجعل الحكم في الصيد ، والحديث يكون بين المرأة وزوجها. كالحكم في دماء المسلمين ؟ وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعدّل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ، ويسفك دماءنا ؟ فإن كان عدلا فلسنا بعدول ، ونحن أهل حرب ، وقد حكمتم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا^(٣) ، وقبل ذلك ما دعوناكم إلى كتاب الله عز وجل

(١) الآية في الصلح بين الزوجين « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » .

(٢) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَخْضَعُونَ بِذَوَائِدِهِمْ مِنْكُمْ » . (٣) يشيرون إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُنْفَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً ، وجعلتم بينكم وبينه المودعة والاستفاضة^(١)
وقد قطع الله عز وجل الاستفاضة والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ
نزلت براءة ، إلا من أقر بالجزية » (تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ١٢٠)

٢٤٦ - مناظرة الامام عليّ لهم

ثم خرج إليهم عليّ حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال : انته
عن كلامهم . ألم أنهك رحمك الله ؟

ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج^(٢) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن
نطق فيه وأوعث^(٣) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، ثم قال لهم : من
زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال عليّ : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم
صفين . قال أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيهم إلى
كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ،
إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالا ، فكانوا شرّاً أطفال وشرّاً رجال ، امضوا على
حكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا^(٤) ومكيدة ،
فرددتم عليّ رأيي ، وقلتم لا بل تقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم
ومعصيتكم إياي ، فلما أيتّم إلا الكتاب ، اشترطت على الحكّمين أن يحيا
ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن

[١] استفاض المكان استفاضة : اتسع وهي هنا مرادفة للمودعة .

[٢] الفلج والإملاج : الظفر والفوز . [٣] أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالسكون المكان السهل

الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق المسر) . [٤] الإدهان : الفس .

نخالف حكماً يُحكّم بما في القرآن ، وإن أياً فنحن من حكمهما برّاء . قالوا له :
نخبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما
حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما
يتكلم به الرجال قالوا : نخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم
الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ،
ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٧ ، الكامل المبرد ٢ : ١٢٨)

٢٤٧ - صورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وهاكها :
« قالوا إن عليّاً لما اختلف عليه أهل النهر وان والقرى وأصحاب البرانس ،
ونزلوا قرية يقال لها حرّوراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي
طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إليّ ،
فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم
بالحكّمين ، ومقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده ،
فزعمت أن قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ،
وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم :
كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بآيعتكم ، وإن قضى عليكم بايعتموني ،
فلولا شكك لم تفعل هذا ، والحق في يدك ، قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما
الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالك معي
عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا

وقتلهم ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسال المنافق وتحكيمى الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً ، ومعاوية حَكَمَ عَمراً ، أتيت بأبي موسى مبرنساً ، فقلت : لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا على لا تُعْطِ هذه الدِّينَةَ فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني إليك كتابُ الله تَبِعْتُكَ ، وإن جرّك إلى تَبِعْنِي . رحمتَ أنى لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يدك هذا الأمر ، فخذتني وَيَحْكُ عَنْ الْيَهُودِي والنصراني ومُشْرِكِي العرب ، أَهْمُ أَقْرَبُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ أَمْ مُعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال عليّ : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : « قُلْ فَأَنُؤَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ » . أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤْتَى بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ؟ قال : بلى ، قال : فلم أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما أعطاهم ؟ قال : إنصافاً وحجة ، قال : فإني أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن الكواء : فإني أخطأت هذه واحدة زِدْنِي ، قال عليّ : فما أعظمُ ما نَقَمْتُمْ عَلَيَّ ؟ قال : تحكيم الحكمين ، نظربا في أمرنا ، فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيراً ، قال عليّ : فتى سُمِّيَ أَبُو مُوسَى حَكَمًا ، حين أُرْسِلَ ، أَوْ حين حَكَمَ ؟ قال : حين أُرْسِلَ ، قال : أليس قد سار وهو مسلم ، وأنت ترجو أن يَحْكُمَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ؟ قال : نعم ، قال عليّ : فلا أرى الضلال في إرساله ، فقال ابن الكواء ، سُمِّيَ حَكَمًا حين حَكَمَ ، قال : نعم إذن فإرساله كَانَ عَدْلًا ، أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ الْكُوَاءِ لَوْ أَنَّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مؤمناً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدّ على عقبه كافرًا ، كان يضُرُّ نبيَّ الله شيئًا ؟ قال : لا ، قال علي : فما كان ذنبِي إن كان أبو موسى ضلَّ ؟ هل رضيتُ حكومته حين حَكَمَ ، أوقوله إذ قال ؟ قال ابن الكواء : لا ، ولكنك جعلت مسلمًا وكافرًا يحكُمَانِ في كتاب الله ، قال عليّ : ويلك يا ابن الكواء ! هل بعث عمرًا غيرَ معاوية ؟ وكيف أحمُكُمُ وحكمهُ على ضربٍ عنقي ، إنَّما رَضِيَ به صاحِبُهُ ، كما رضيتَ أنت بصاحبك ، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله ، أرايت لو أن رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية ، تخافا شقاق بينهما ، ففرَّع الناس إلى كتاب الله ، وفي كتابه « فَأَبْغَوْا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا » فجاء رجل من اليهود ، أو رجل من النصارى ، ورجل من المسلمين ، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء : وهذه أيضاً ، أمهلنا حتى ننظر ، فانصرف عنهم عليّ .

فقال له صعصعة بن صُوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي في كلام القوم ، قال : نعم ما لم تَبْسُطْ يداً ، فنأدى صعصعة ابن الكواء ، فخرج إليه فقال : أنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره (١) ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بِأمرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأَمْسِك .

قالوا إن علينا خرج بعد ذلك إليهم ، فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، إنه من أذنب في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام حَدَثًا ، استَبْنَاهُ من ذلك الذنب بعينه ، وإنَّ تو بتك أن تعرف هُدى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إننا لا ننكر أننا قد فُتِنَّا ، فقال له

[١] أي لغير منفعة الشخصية بل لم شعث المسلمين وجمع كلمهم يعني عليا وأصحابه .

عبد الله بن عمرو بن جرموز: أدركنا والله هذه الآية « أَلَمْ ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فصَلُّوا خلفَ عليّ الظهرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولا م بعضهم بعضاً ، ثم خرجوا على عليّ ، فقتلهم بالنهر وان .
(العقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٢١٨ - مناظرة ابن عباس لهم

فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، وراه ضللاً ، فأتى الأشعث بن قيس علياً ، فقال يا أمير المؤمنين : إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضللاً ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، فخطب عليّ الناس فقال :

« من زعم أنني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضللاً فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكت ، فقبل لعلهم خارجون ، فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .
فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها فرححت أطول السجود ، وأيديا كَشَفَات ^(١) الإبل ، وعليهم قُمُصٌ مَرَحَضَةٌ ^(٢) وهم مشرُّون .
قالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله . فإن تاب كما تبنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ الله إلا ما صدَقْتُمْ أنفسكم . أما علمتم أن

[١] ثفة البعير : ركبته . [٢] قمص جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا اللهم نعم ، قال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للمدنة بينه وبين الحديبية ^(١) ، قالوا: نعم ولكن عليا محاً نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس: أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محاً رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سهيل ^(٢) بن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكاتب ^(٣) اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكمين أن لا يحورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى على قال: فأيهما رأيتموه أولى فوئوه قالوا: صدقت ، قال ابن عباس: ومتى جار الحكمين فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . (العقد الفريد ١ : ٢١٢)

٢٤٩ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه لنى خطبته ، إذ حكمت ^(١) المحكمة في جوانب المسجد ، فقال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل ، إن سكتوا غممناهم ، وإن تكلموا حجبناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدع ^(٢) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من

[١] أى وبين أهل الحديبية ، والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

[٢] النائب عن قريش في عقد الصلح مع المسلمين . [٣] وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

[٤] أى قالوا لاحكم إلا الله ، ويسمى الحوارج المحكمة : أى الذين يمنعون التحكيم .

[٥] أى غير تترك ولا تقطوع : أى جدا دائما .

إعطاء الدنية^(١) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان^(٢) في أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أباقتل تخوفنا ؟ أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مُصَفَّحات^(٣) ، ثم لتعلمن أيُّنا أولى بها صلياً^(٤)»
ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ،
وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة . (تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

٢٥٠ - خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام على أبا موسى الأشعري لإفقاذا الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إياها عناء^(٥) - أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من^(٦) وضر^(٧) ، فإنه من يمتن ويضر في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل ، والخلود في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كور^(٧) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلة »

[١] يريد بها قول التحكيم . [٢] الإذهان والمداومة : إظهار ما يصير . [٣] أي نضربكم بمجدها لا بعرضها ، صربه بالسيف مصعاً : أي بعرضه . [٤] صلي الماروبها صلياً : فاسى حرها . [٥] هلاك . [٦] أي قطع وهجر . [٧] جمع كورة بالضم ، وهي المدينة والصقع .

٢٥١ - خطبة حرقوص بن زهير السعدي

فقام حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وَشِيكَ^(١) ، فلا تدعوا نكم زِينَتُهَا وبَهْجَتِهَا إلى المَقَامِ بها ، ولا تَلْفِتَنَّكُمْ عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

٢٥٢ - خطبة حمزة بن سنان الأسدي

فقام حمزة بن سنان الأسدي فقال :

« يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ، وراية تحفون بها ، وترجعون إليها » .
فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى ، وعلى حُرْقُوصُ بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسي فأبى ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقا^(٢) من الموت » فبايروه (لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ هـ) .

٢٥٣ - خطبة شريح بن أوفى العبسي^(٣)

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقام شريح فقال :
إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، والجهاد في تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة

[١] سريع . [٢] جزعاً وخوفاً . [٣] قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا في منزل زهير بن حصين الطائي ، فقالوا : إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها ، وذكر الطبري في تاريخه : أنهم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، وذكر الفترات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » .

والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعْوَتَنَا أَنْ قَدْ اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ ، وَنَبَذُوا حُكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي تَعْنُو^(١) لَهُ الْوُجُوهُ ، وَتَخْشَعُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالِ الْقَاسِطِينَ^(٢) مُسَاعِدًا ، لَقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي فَرَدًّا حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي ، فَبَرَى أَنِّي قَدْ غَيَّرْتُ (إِرَادَةَ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانَنَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ يُطْعِمَ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَثَابَكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْآمِرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى بَلَدٍ نَتَّعِدُ فِيهِ الْاجْتِمَاعَ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قُلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَدَقْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ »^(٣) نَسْكُنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٢٥٤ - مقال زيد بن حصين الطائى

فقال زيد بن حصين الطائى :

« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مُجْتَمِعِينَ أَتَبِعْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرُجُوا وَحِدَانَا مُسْتَخْفِينَ ،

[١] تدل وتخضع . [٢] الجائرين . [٣] على نهر دجلة شرقاً .

فأما المدائن ، فإن بها قومًا يمنعونكم منها ، ويمنعونها منكم ، ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة ، فأعلموهم بخروجكم ، وسيروا حتى تنزلوا جسر النهروان^(١) .

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا على ذلك ، وكتبوا به إليهم .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

٢٥٥ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهروان

فلما نزلوا بالنهروان ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث^(٢) ، أتاهم الإلمم عليّ

كرّم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة ، وصدها عن الحق

الهوى ، وطمع بها التزق^(٣) وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذير

لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غداً صرعى بأثناء^(٤) هذا النهر ، وبأهضام^(٥)

هذا الغائط^(٦) ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان ميين معكم ، وقد طوّحت

بكم الدار ، واحتبلكم^(٧) المقدار .

[١] النهروان : بلدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ . [٢] من ذلك أنهم لقوا عبد الله ابن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبلى متم (أى دنا ولادها) فقالوا : ما تقول في أبى بكر و عمر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان عفا في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل الحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشدّ توقياً على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها ، لا على أفعالها ، ثم قرّبوه إلى شاطئ النهر فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طي ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : احفظوا ذمة بئكم ، وأرسل إليهم على رسولاً ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفنوا إلينا قتلة إخواننا منكم بقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعلّ الله يقب قلوبكم ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فمالوا كلها قتلهم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءكم . [٣] الطيش . [٤] جمع ثنى بالكسر أى منعطفاته . [٥] جمع مضم (بافتح وبكسر) وهو المطنن من الأرض . [٦] الغائط المظلم الواسع من الأرض . [٧] أوقعكم في الحباله .

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم
 دهن^(١) ومكيدة لكم ؟ ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنى
 أعرف بهم منكم ؟ (عرفتهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر) وأنكم إن
 فارقتهم رأيي جانبتم الحزم ؟ فعصيتمونى وأكرهتمونى حتى حكمت ، فلما أن
 فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكّمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ،
 وأن يميّتا ، ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعمِلًا بالهوى ،
 فنَبَذْنَا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ، ومن أين أتيتُمْ ؟ .
 قالوا : « إنا حكّمنا ، فلما حكمنا أثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا .
 فإن ثبت كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أيدت فاعتزّا بنا ، فإننا منابذك
 على سواء^(٢) » إن الله لا يحب الخائنين .

فقال على : « أصابكم حاصِبٌ^(٣) ، ولا يبقِ منكم وَاِبرٌ^(٤) ، أبعد إيمانى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتنى معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد
 على نفسى بالكفر ؟ لقد ضللت إذن ومأأنا من المهتدين ، فأوبوا شرّ مآبٍ^(٥) ،

[١] دهن الرجل إذا ناق . [٢] هو من قوله تعالى « وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ
 إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » ومعناه إذا هادنت قوما فعلت منهم النقض للعهد ،
 فلا توقع بهم سابقاً إلى النقض حتى تدلهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا فى علم النقض مستونين لئلا يتهموك
 بالغدر ، ثم أوقع بهم . [٣] الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الحصى) ، وحصبه :
 رماء الحصباء . [٤] أى أحد ويروى آبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يصله ، ويروى آثر ، وهو
 الذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكىه ، ويروى آبز ، وهو الوائب . [٥] أى ارجعوا شرّ مرجع .

وارجعوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ^(١) أَمَا لَكُمْ سَتْلَقُونَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ،
وَأَثَرَةً^(٢) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً »

٢٥٦ - صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن عليًا قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراقَ هذه الحكومة ، التي أنتم
ابتدأتموها وسألتموها^(٣) وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سَأَلُوا كموها مكيدة
وَدَهْنًا ، فَأَيَّتُمْ عَلَى إِبَاءِ المخالفين المنابذين ، وعدلتم عنى عدول النُكْدَاءِ^(٤)
العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرُ أَخِفَاءِ الهَامِ^(٥) ،
سُفَهَاءِ الأحلام ، فلم آتِ (لا أبا لكم) بُحْرًا^(٦) ، ولا أردت بكم ضُرًّا ، والله
ما خَبَلْتُمْ^(٧) عن أموركم ، ولا أخفيت شيئًا من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم
عُشْوَةً^(٨) ، ولا دَنَيْتُ^(٩) لكم الضَّرَاءَ ، وإن كَانَ أمرنا لأمرَ المسلمين ظاهرًا ،
فَأَجْمَعَ رأي مَلَئِكُمْ على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن
ولا يَعْدُوا ، فتَاهَا^(١٠) وتركَا الحق وهما يُبْصِرَانِه ، وَكَانَ الجَوْرُ هواهما (وقد سَبَقَ
استِثْنَاؤُنَا عليهما في الحكم بالعدل) وَالصَّدُّ للحق بسوء رأيهما وجَوْرَ حكمهما ،

[١] الأعقاب جمع عقب (بكسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :
« وَنُرْذِ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ » يدعو عليهم بانكاس حالهم وارتدادهم وعودهم من العز
إلى الذل . [٢] أى استبداداً عليكم بالوء والغنائم .
[٣] المراد : سألتوني أن أحيب لايها . [٤] رجل نكد (مكسر الكاف وفتحها وسكونها) وأنكد
أى عسر ، وقوم أنكاد وما كيد ، ولم أر فى كتب اللغة جمعه على نكداء . [٥] أخفاء : جمع خفيف
والهام : الرءوس ، وهو كناية عن قلة العقل . [٦] البحر ، بالضم والفتح : الشر والأمر العظيم ،
ويروى حراما . [٧] منعكم وحبستكم . [٨] العشوة مثله : ركوب الأمر على غير بيان ،
والفتح الطلعة ، ويقال : أوطأه عشوة ، أى غرته وحملته على أن يركب أمراً غير مستبين الرشيد ، وربما
كان فيه عطبه . [٩] دناء وأدناه : قرّبه . [١٠] ضلّا .

والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفنا سبيل الحق ، وأتينا بما لا يُعرف ، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجلين ^(١) أحل لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ »

فتنادوا لا تخاطبوه ولا تكلموهم ، وتتهيأوا للقاء الرب ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فرحف عليهم على فأنهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُقْلِت منهم إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٧ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٢٥٧ - خطبة المستورد بن علفة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالنخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب ^(٢) ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفة من بني سعد بن زيد مناة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تحفيق راياته ، معلناً مقالته ، مبلغاً عن ربه ، ناصحاً لأمته ،

[١] همزة الاستفهام . مقبرة قبل أن ، أي هل اختار الناس رجلين أحل لكم ذلك .

[٢] وذلك أن الإمام قل أن يرحف عليهم في وقعة النهروان نص لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آس ، لأنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب ثلثة إخواننا منكم في سفك دمائكم » .

حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا ، ثم قام الصديق فَصَدَقَ عن نبيه ، وقاتل من ارتدَّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرَن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداها طَعَنٌ على الأخرى ، لا بل على جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق فَفَرَّقَ بين الحق والباطل ، مُسَوِّيًا بين الناس في إعطائه ، لا مُؤَيَّرًا لِأَقَارِبِهِ ، ولا مُحَكَّمًا في دين ربه ، وهاتم تعلمون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أَجَابٍ وبائع^(١) .

(الكامل للبرد ٢ : ١٥٤)

خوَر أصحاب الامام وتقاعسهم عن نصرته

٢٥٨ - خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كَرَمَ الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يعضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يُشَخِّصَ^(٢) إليه مَنْ قبله من الناس ، فأمرهم ابن عباس بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فَشَخَّصَ معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يشَخِّصْ إليه منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم

[١] وقد وجه إليهم الإمام على ، عبد الله بن عباس داعياً فابوا ، فسار إليهم فطعنهم جميعاً لم يفلت منهم

إلا خمسة منهم المستورد . [٢] شخص كنع شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

في الديوان^(١) مستون ألفاء، سوى أبنائكم وعبيدائكم^(٢) ومواليكم، ألا فانفروا^(٣)، ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا، فإني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته، عاصيا لإمامه، حزننا يمقّب ندما، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم، فلا يلزم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه» .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٥٩ - خطبة الامام وقد أراد الانصراف من النهروان

ولما أراد الإمام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوزكم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٢٦٠ - مقال الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : تفدت نبأنا ، وكلت سيوفنا ، ونصّلت^(٤) أسنة رماحنا

[١] الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وهو فارسي معرب . قال الفلقشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم أطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجاين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشيء ماين ، وسمى الكتاب بذلك لحذتهم بالأمور ، ووقوفهم على الجلي منها والحق » اهـ ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دوّن الدواوين في العرب سنة ٢٣ أي رتب الجرائد للعمال ورجل الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم في النسب وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . [٢] جمع عبد .

[٣] فر إلى الشيء : أسرع إليه . [٤] سقطت .

وعادَ أَكْثَرُهَا قَصِيداً^(١) فارجع بنا إلى مصرنا ، فَلَنَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا ، وَلَعَلَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عَدَدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا ، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُونَا .
فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِالنُّخَيْلَةِ^(٢) ، ثُمَّ دَخَلَ الْكَوْفَةَ .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨ ،
وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٧٩)

٢٦١ - خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا الْقِتَالَ عَدُوًّا ، فِي جِهَادِهِمُ الْقَرِيبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَدَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ ، قَوْمٌ حَيَارَى عَنْ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، مُوزَعِينَ^(٣) بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ
لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكَبٌ^(٤) عَنِ الدِّينِ ، يَغْمَهُونَ^(٥) فِي الطُّغْيَانِ
وَيَتَسَكَّمُونَ^(٦) فِي غَمْرَةِ الضَّلَالِ ، فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
رِبَاطٍ^(٧) الْخَيْلِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ،

فَمَا نَفَرُوا وَلَا تَيَسَّرُوا ، فَتَرَكَهُمْ أَيَّامًا حَتَّى إِذَا أَيْسَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا دَعَا
رُؤَسَاءَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يُنْظِرُهُمْ^(٨) ، فَفَنَّهُمُ الْمَعْتَلَّ ،
وَمِنْهُمْ الْمُتَكَرِّهَ ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ نَشِطَ ، فَقَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا فَقَالَ :

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٧٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

[١] رمح : قصد ، ونصيد ، وأقصاد أى متكرر . [٢] وعسكر بها حين نزلها ، وأمر الناس أن
يلزموا معه معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى
عدوم من أهل الشام . فحملوا يتسهلون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس
يسير ، وبقي المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل
الكوفة . [٣] أوزعه بالقىء : أغراه فأوزع به بالضم . [٤] من نكب عن الطريق : أى
عدل ومال . [٥] من الغمه (محركة) : وهو التحير والتردد في الضلال . [٦] تسكح : مشى
متباً متعصفاً ، وتحير . [٧] اسم الخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر مسمى به
كالرابطه أو جمع ربيط فعيل بمعنى مفعول . [٨] يؤخرهم .

٢٦٢ - خطبة له أيضا في استنفارهم لقتال معاوية

« عبادَ الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثنا قُلْتُمْ ^(١) إلى الأرض ! أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة بدَلًا ، وبالنذل والهوان من العز خَلَفًا ؟ أَوَكَلِمَا نَدَبْتُمْ إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأَنكم من الموت في سَكْرَةٍ ، وكأن قلوبكم مَأْلُوسَةٌ ^(٢) فأنتم لا تعقلون ، وكأنَّ أبصاركم كُمَةٌ ^(٣) فأنتم لا تُبْصِرُونَ ، لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشَّرَى ^(٤) في الدَّعَةِ ^(٥) ، وثعالِبُ رَوَاغَةٍ حين تُدْعَوْنَ إلى البأس ! ما أنتم لي بثقةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي ^(٦) ، ما أنتم بِرَكَبٍ يُصَالُ بكم ، ولا ذِي عِزٍّ يُعْتَصَمُ إليه ، لعمرُ الله لبئس حُشَّاشٌ ^(٧) الحرب أنتم ، إنكم تُكَادُونَ ولا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ ولا تَحَاشَوْنَ ^(٨) ، ولا يَنَامُ عَنْكُمْ وأنتم في غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، إن أَمَا الحرب يَقْظَانُ ذُو الْعَقْلِ ، وَبَاتَ لِذَلِكَ مَنْ وَادَعَ ، وَغُلِبَ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَالْمَغْلُوبُ مَقْهُورٌ وَمَسْلُوبٌ ، ثُمَّ قَالَ :

« أما بعد : فَإِن لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَإِن لَكُمْ عَلَيَّ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فالنصيحة لكم ما صَحِبْتُمْ ، وتوفيرُ فيثكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقِّي عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنُّصْحُ لِي فِي الْغَيْبِ وَالْمَشْهَدِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ ، فَإِن يُرِدِ اللهُ بِكُمْ خَيْرًا تَنَزَّعُوا عَمَّا أَكْرَهَ ، وَتَرْجِعُوا إِلَى مَا أَحَبَّ ، تَنَالُوا مَا تَطْلُبُونَ وَتَدْرِكُوا مَا تَأْمَلُونَ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

[١] تناقَلْتُمْ . [٢] من الألس : كشمس ، وهو الجنون واختلاط العقل ، ألس (كمي) فهو مألوس . [٣] كُمَةٌ : جمع أكمة من كمة همره (كفرح) اعترته ظلمة تطمس عليه . [٤] الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قيل هو شرى الفرات وفاحيته وهه عياض وآجام ومأسدة . [٥] أي في وقت الدعة والحفض . [٦] يقال : لا آتيك سَجِيسَ اللَّيَالِي : أي أبدًا . [٧] جمع حاشٍ اسم فاعل من حشَّ النار : أي أوقدها [٨] أي ولا تبتعدون عن ذلك وتتلافون به بالدفاع عنها من حاشية الشيء وهي فاحيته كما تقول تنحى عنه : أي تباعد عنه من الماحية .

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهي :

٢٦٣ - صورة أخرى

«أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرَضِيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة عِوَضًا ، وبالذل من العز خَلَفًا ؟ إذا دعوتكم إلى جِهَادٍ عدوكم دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كأَنكم من الموت في غَمْرَةٍ ^(١) ، ومن الذُّهُول في سَكْرَةٍ ، يُرْتَجَجُ ^(٢) عليكم حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ ! فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي ، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ ^(٣) ، وَلَا زَوَافِرٍ ^(٤) عَزِيٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَيُّبٍ ضَلَّ رُعَاتِهَا ، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ ، لَبِئْسَ لِعَمْرِ اللَّهِ سَعَرٌ ^(٥) نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَتَمَعِّضُونَ ^(٦) ، لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غُلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَآيَمُ اللَّهِ إِنِّي لَاظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ ^(٧) الْوَغَى ، وَاسْتَعَرَّ الْمَوْتُ ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، انْفَرَجَ الرَّأْسُ ^(٨) ، وَاللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ ^(٩) لَحْمَهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِي ^(١٠) جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ عَجْزِهِ ، ضَعِيفُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ ^(١١) فَأَمَّا أَنَا : فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطَى ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ ^(١٢) تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشٌ ^(١٣) الْهَامِ ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

[١] الغمرة : الشدة . [٢] يفتق : يفتق ، والحوار : المحاوره . [٣] أى يستند إليكم ويمال هلى العدو بقوتكم . [٤] جمع زامرة ، والزامرة من الباء ركنه ، ومن الرجل هشيره . [٥] من سمر النار والحرب : كنع أوقدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع سامر ، كفولهم : قوم كظم لفظ جمع كظم . [٦] أى فلا تععضون . [٧] اشتد ، وكذا استعر ، وأصل الوغى : الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة . [٨] أى انفراجا لا الشام بعده . [٩] عرق العظم عرقا : أكل ما عليه من اللحم ، كنعرقه . [١٠] يمزق . [١١] الخطاب عام لكل من أمكن عدوه من نفسه . [١٢] السيوف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الرّيف . [١٣] عظامها الرقيقة .

أيها الناس : إن لي عليكم حقاً ، ولكم عليّ حقٌ ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفيرُ فيكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيّب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم . (نهج البلاغة ١ : ٤٢)

· وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« والله يا أهل العراق ، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين ^(١) عليكم ، فقالوا : « أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال :

« نعم والذي فاق الحبة ، وبرأ النسمة ، إنني أرى أمورهم قد علّت ، وأرى أموركم قد خبت ^(٢) ، وأراهم جادين في باطلهم ، وأراكم وائين ^(٣) في حقكم ، وأراهم مجتمعين ، وأراكم متفرقين ، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين ، وأراكم لي عاصين ، أما والله لئن ظهرُوا عليكم بعدى ، لتجدنهم أرباب سوء ، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تكيشون ^(٤) كشيش الضباب ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويخيفون علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحبسونكم ، ويدنون الناس دونكم ، فلو قد رأيت الحرمان ، ولقيتم الذل والهوان ، ووقع السيف ، ونزل الخوف ، لنديمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكركم ما أنتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم التذكار .

[١] منتصرين . [٢] من خبت النار ، أي سكنت والطفأت .

[٣] من وني إذا فتر وضعف . [٤] كشّ الصب كشيشاً : صوت

٢٦٤ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكانكم صُمٌّ لا تسمعون ، وقلوبكم غُلْفٌ ^(١) مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون ، عباد الله أليس إنما عهدكم بالجوْر والعدوان أمسٍ ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حق تحرومٌ مشتومٌ عِرْضُهُ ، ومضروب ظهرُهُ ، وملطوم وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلْقَى بِالْعِراءِ ^(٢) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدَّعَ بالحق ، ونشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولَّوا مُجْرِمِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فأجيبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

٢٦٥ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان ابن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر ^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل

[١] جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غمى خلافا فهو لا يمي . [٢] المراء : الفضاء لا يستتر

فيه بهي . [٣] بلد على الفرات شمالي الكوفة .

لعلّ في ثلثائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتأقلاوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سمعتم بِمَنْسِرٍ ^(١) من مناسر أهل الشام أظلكم ، انْجَحَر ^(٢) كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابَه ، انْجَحَارَ الضَّبُّ في جُحْرِهِ ، والضَّبُعُ في وِجَارِهَا ^(٣) ، المغرور من غررتموه ، وَلَمْ يَنْ فَازْ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، لا أحرارٌ عند الهداء ، ولا إخوانٌ ثقةٍ عند النِّجَاءِ ^(٤) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنِيتَ به منكم ؟ عُغْيَ لا تبصرون ، وَبُكْمٌ لا تنطقون ، وَصُمٌّ لا تسمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

٢٦٦ - صورة أخرى

مُنِيتَ ^(٥) بمن لا يُطِيع إذا أمرتُ ، ولا يجيبُ إذا دعوتُ ! لا أبالكم ، ما تنتظرون بنصركم رَبُّكُمْ ؟ أمّا دينٌ يجمعكم ، ولا حِمِيَّةٌ تُحمِشُكم ^(٦) ؟ أقوم فيكم مُسْتَضْرِحًا ، وأناديكم مُتَغَوِّثًا ^(٧) ، فلا تسمعون لي قولًا ، ولا تُطِيعون لي أمرًا ، حتى تَكْشِفَ الأمور عن عواقب المساءة ؟ فما يُذكُّ بكم ثأر ، ولا يُبلغ بكم مَرَامٌ ؟ دَعَوْتُكُمْ إلى نصر إخوانكم ، فَجَزَجَرْتُمْ ^(٨) جَزَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ ^(٩) وتثاقلتم

[١] المنسر : تطلعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . [٢] من انْجَحَر الصب : أى دخل جحره .

[٣] الوحار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها . [٤] النجاء : السرعة في السير ، نجات

نجات أى أسرعت وسبقت ، وبخالوا : البقاء النجاء ، والبقاء النجاء فدوا وقصروا . [٥] بليت .

[٦] تمضبكم . [٧] فائلا واغوثاء . [٨] الجرجرة : صدى يردده البعير في حنجرته ،

وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب . [٩] المصاب بداء السرر (بالتحريك) ، وهو وجع في

الكركرة (رضى زور البعير) .

تَناوُلَ النَّضُو^(١) الْأَذْبَرَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ^(٢) ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٢٦٧ - خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة^(٣)

ووجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليّاً فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانِهِمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُهُمْ يُوهِي الضَّمُّ^(٤) الصَّلَابَ ، وَفَعْلُهُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ^(٥) ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلْتُمْ حَيْدِي حَيَادٍ^(٦) ، مَا عَزَزَتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ ، أَهَالِيلُ بِأَضَالِيلٍ^(٧) ، دَفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ^(٨) ، هِيَهَاتَ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمُ الذَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَاقِ نَاصِلٍ^(٩) ، أَصَبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصْدُقُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أَوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ ، مَا بِالْأُسْكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟

[١] النضو : البعير المهزول ، والأذبر : المدبور أى المجروح . [٢] جنيد : تصغير جند ، ومتذائب : أى مضطرب من قولهم : تذاببت الرياح ، أى اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته . [٣] شمالي الكوفة . [٤] يوهى : يشق ويخرق ، والضم : جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت . [٥] بفتح آخرهما ويكسر : أى كذا وكذا . [٦] حيدى حياذ : كلمة يقولها الهارب العارى ، من حاد حيداناً بمعنى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنحى عني أيتها الحرب ، وهى نظيره قولهم (يبعى فياح) أى اتسعى . [٧] الأضاليل : جمع أضلولة بالضم ، وهى الضلال ، وفى كتب اللغة : العلالة « (بالضم) والتعلة (كتمعية) ، والعلة (بالفتح) ما يتعلل به » ولم أجد فيها كلمة أهاليل ولا مفرداً ، ولا بد أن تكون جمع أضلولة بالضم : كأضاليل وأطاحيب والأعيب . الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعلل بأباطيل لا جدوى لها . [٨] مبالغة فى ماطل . [٩] سهم أفوق مكسور الفوق (بضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارى عن النصل .

ما طِبُّكُمْ؟ القومُ رجالٌ أمثالكم ! أقولُ لا بغير علم ، وغفلةً من غير ورع ، وطمعاً في غير حق ! »

وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من خيرٍ لي منكم ، وأعقبكم بعدى من شرٍّ لكم مني ، أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاتلاً ، وأثرةً يتخذها الظالمون بعدى فيكم سنةً ، تفرّق جماعتكم ، وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، تمنّون والله عندها أن لو رأيتوني ونصرتوني ، وستعرفون ما أقول لكم عمّا قليل .

استنفرتكم فلم تنفروا ! ونصحت لكم فلم تقبلوا ! وأثمتكم فلم تعموا ! فأنتم شهود كأغياب ، وصمٌ ذوو أسماع ، أتلو عليكم الحكمة ، وأعظمكم بالوعظة النافعة ، وأحشكم على جهاد المُحلّين ^(١) ، الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولي ، حتى أراكم متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً ^(٢) عزيز ^(٣) ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار ، تربت ^(٤) أيديكم ، وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها ، وشغلتموها بالأباطيل والأضاليل .

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

٢٦٨ - خطبة الامام

وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

ووجه معاوية سُفيان بن عوف الغامذي في جيش ، فأغاروا على الأنبار ^(٥)

[١] أي الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . [٢] الحلق : محركة جمع حلقة (سكون اللام) وحلقة القوم : الذين يجمعون مستديرين . [٣] جمع عزة (الكسر) : وهي الطائفة من الناس . [٤] دطاء عليهم : أي خسرتم ولا أصتم خيراً ، وأصله من ترب الرجل : أي افتقر كأنه لصق بالتراب . [٥] بلد على الفرات .

وَقَتَلُوا عَامِلَ عَلِيٍّ عَلَيْهَا وَهُوَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ الْبَكْرِي ، وَاحْتَمَلُوا مَا كَانَ فِي
الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِ أَهْلِهَا ، وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى عَلِيٍّ فَخَرَجَ مُغْضِبًا ، حَتَّى أَتَى
النَّخِيلَةَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَقِيَ رِبَاوَةَ ^(١) مِنْ الْأَرْضِ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَاثْنِي عَلَيْهِ وَصَلَّى
عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ،
وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ ، وَجُنَّتُهُ ^(٢) الْوَثِيقَةُ ، فَمَنْ تَرَكَ رَغْبَةً
عَنْهُ ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذِّلِّ ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ ، وَدُيِّتَ ^(٣) بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ ^(٤) ،
وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ ^(٥) ، وَأُدِيلَ ^(٦) الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيمَ
الْحَسْفِ ^(٧) ، وَمُنِعَ النِّصْفَ ^(٨) ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
أَيَّلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَزَى
قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ ^(٩) دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا ، فَتَخَازَلْتُمْ وَتَوَاكَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي ،
وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ، حَتَّى شُدَّتْ ^(١٠) عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَوْطَانُ ، هَذَا أَخُو غَامِدٍ ^(١١) قَدْ وَرَدَتْ خِيَلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ
الْبَكْرِي ، وَرَجَالًا مِنْهُمْ كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا ^(١٢) .

[١] الرِّبْوَةُ وَالرِّبَاوَةُ مَثَلَتَيْنِ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . [٢] وَفَاتِهِ . [٣] ذَلٌّ ، وَأَصْلُهُ مِنْ
دَاثَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ بَاعَ لَانٍ وَسَهْلٍ وَمِنْهُ الدِّيُوثُ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا غَيْرَةَ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّغَارُ : الذِّلُّ .
[٤] قَمًا : كَجَمْعٍ وَكَرَمٍ ، قَمَاءٌ : ذَلٌّ وَصَعْرٌ . [٥] هَكَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ مِنْ أَهْلِ سَبَبٍ بِالضَّمِّ
أَيَّ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاءَةِ : (طَبِيعُ الشَّامِ) بِالْأَسَدَادِ . [٦] مِنْ أَدَالَهُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، أَيْ
نَصَرَهُ عَلَيْهِ ، وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ « بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ » سَبَبِيَّةٌ . [٧] أَيْ أَوَّلَى الذِّلِّ وَالضَّيْمِ ، وَفِي رِوَايَةِ
الْمُبَرِّدِ « وَسَيَمَى الْحَسْفَ » بِالْإِضَافَةِ ، وَالسَّيْمِيُّ : الْعَلَامَةُ قَالَ الْمُبَرِّدُ : هَكَذَا حَدَّثُونَا وَأَظَنَّهُ سَيَمَ الْحَسْفِ
مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » [٨] النِّصْفُ بِالْكَسْرِ وَبِثَاقٍ ، وَالنِّصْفُ
وَالنِّصْفَةُ مَحْرُكَيْنِ الْإِضَافَةِ . [٩] وَسَطُهَا وَأَصْلُهَا . [١٠] شَنُّ الْغَارَةِ عَلَيْهِمْ : صَبَا مِنْ كُلِّ
وَحَةٍ ، مِنْ شَنِّ الْمَاءِ عَلَى رَأْسِهِ إِذَا صَبَّ . [١١] يَرِيدُ سَفِيَانَ بْنَ عَوْفٍ الْغَامِدِيَّ فَائِدَ الْمَلَةِ عَلَى الْأَنْبَارِ .
[١٢] جَمْعُ مَسْلُحَةٍ بِالْفَتْحِ : وَهِيَ الثَّغَرُ

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كان يُدْخَلُ على المرأة المسلمة ، والأخرى
المُعَاهَدَةِ^(١) ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا^(٢) وَقُلُوبَهَا^(٣) ، وَقَلَاثِدَهَا وَرُغْمَهَا^(٤) ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا
بِالاسْتِرْجَاعِ^(٥) وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(٦) ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ^(٧) ،
وَلَا أَرِيقَ لَهِمْ دَمٌ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ دُونَ هَذَا أَسْفًا ، مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ
مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا .

يَا عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ ! عَجَبٌ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَشْغَلُ الْفَهْمَ ، وَيُكَثِّرُ الْأَحْزَانَ !
مَنْ تَصَافَرِ^(٨) هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتَّى أَصْبَحْتُمْ^(٩)
غَرَضًا تَرْمُونَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَيُنَارٌ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَيُقَصِّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ، إِذَا قُلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذَا أَوْانَ قُرٍّ^(١٠) وَصِرَّ ،
وَإِنْ قُلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الصَّيْفِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ^(١١) الْقَيْظِ ، أَنْظِرْنَا^(١٢)
يَنْصَرِّمِ الْحَرَّ عَنَا ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَفْرُونَ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ
أَفْرٌ ! يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ ! وَيَا طَغَامَ^(١٣) الْأَحْلَامِ ! وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ

[١] المُعَاهَدَةُ : ذات العهد ، وهى الذمية . [٢] الحجل بالكسر والفتح : الحلحال ، وصمى القيد
حجلًا لأنه يكون مكان الحلحال . [٣] القلب : سوار المرأة . [٤] الرغمة بالفتح : الفرط ، والجمع
رغات بالكسر ، وجمع الجمع رعت بصمتين . [٥] قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .
[٦] أى تأمين ، وفى رواية البرد : « موبورين » أى لم يبل أحدا منهم بأن يروا فى بدن ولا مال .
[٧] جرح . [٨] تعاون وتناصر . [٩] وفى رواية نهج البسالة : « فقبجاً لكم وترحاً
حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الجاحظ بعد ذلك : « وفيثا ينهب » ، والترج : محركة الهم ،
والعرض : الهدف . [١٠] انظر مثله القاف : البرد ، والصر : شدة البرد ، وفى النهج : « وإذا
أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء ، قلم هذه صبارة انقروا ، أمهلنا : ينسلخ عنا البرد » وصبارة الشتاء بتشديد
الراء : شدة برده . [١١] شدة الحر . [١٢] أى أمهلنا حتى ينسلخ الحر ، وفى رواية النهج :
« أمهلنا يسخ عنا الحر » بتشديد الباء المفتوحة أى يخف ويسكن ، وكل من خفف عنه شيء فقد سبغ عنه ،
ومنه قولهم : اللهم مسح عني الحمى : أى خففها . [١٣] أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده ،
والأحلام العقول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضاً على حلوم ، وفى رواية النهج : « حلوم الأطفال » .

الحِجَال^(١) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَمًا ، وَأَعْقَبَتْ
سَدَمًا^(٢) ! قَاتِلَكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا^(٣) ، وَشَحْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ،
وَجَرَّعْتُمُونِي نُبْثَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٤) ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخِذْلَانِ ،
حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ فِي
الْحَرْبِ ! اللَّهُ دَرَّهْمٌ^(٥) ! وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي ، أَوْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاسًا ؟ فَوَاللَّهِ
لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتَ الْعَشْرِينَ ، وَلَقَدْ نَيْفْتُ^(٦) الْيَوْمَ عَلَى السِّتِينَ ، وَلَكِنْ
لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ (يَقُولُهَا ثَلَاثًا) .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَمَعَهُ أَخُوهُ^(٧) فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَأَخِي هَذَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (رَبِّ إِنِّي لَا أُمْلِكُ
إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) فَزُفْنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَيْنُهُ جَهْرُ
الْفَضَا^(٨) ، وَشَوْكُ الْقِتَادِ^(٩) » فَدَعَا لهُمَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : « وَأَيْنَ تَقْعَانِ مِمَّا
أُرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

(نهج البلاعة ١ : ٣٥ ، الكامل للبرد ١ : ١١ ، البيان والنبأ ٢ : ٢٥ ، والأطراف ١٥ : ٤٣)

[١] الحِجَال : جمع حجلة بالتحريك ، وهي الفبة ، وموضع يزین بالستور والثياب للعروس - كناية
عن النساء . [٢] السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن . [٣] اتقيج : ما يكون في الفرجة
من صديدها ، وشحتم : ملاثم ، وفي رواية الكامل : « واتقد ملاثم جوفي غيظاً » .
[٤] النُبْث : جمع نبة بالفتح والضم ، وهي الجرعة ، والتهمام : الهم ، وأنفاساً أي جرعة بعد جرعة ،
يقال : اكرع في الإثاء نفسين أو ثلاثة . [٥] لله درهم : أي عمله ، والبر أيضاً : اللبن ، أي لله
الذي الذي رضعه ، وهو تعجب أريد به التهمك ، وفي رواية النهج : « لله أبوم » !
[٦] نيفت : زدت ، ورواية النهج : « وهأنذا قد ذرقت على الستين » أي زدت أيضاً .
[٧] الرجل وأخوه : يعرفان بابني عفيف من الأنصار . [٨] شجر جهره يبقى طويلاً .
[٩] شعر صلب له شوك كالإبر .

٢٦٩ - خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتل الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا يَنْتَقِصُ من حقنا أهل البيت أحدٌ ، إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولةٌ ، إلا وتكون لنا العاقبة ، واتَّعَلَمُنْ نبأه بعد حين . »

(مروح الذهب ٢ : ٥٣)

٢٧٠ - خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إلى معاوية هلاك الأشتر النخعي ^(١) ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، وُطِئَتْ إحداها يوم صفين (يعني عمار بن ياسر) ، وقُطِئَت الأخرى اليوم (يعني الأشتر) . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٤)

[١] هو ملاك بن الحارث بن عبد يعوث النخعي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً صمه معاوية ، وذلك أن الأمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر فصدت عليه ، وخرحت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فمطم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجايسار (رجل من أهل الحراج) ، فقال له إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيئته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، (وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايسار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الحراج ، فزل به الأشتر ، وسأل الدهقان أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عسلاً قد جعل فيه سمّاً وقال : إن من شأه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تاف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : « للبدن والهم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنوداً منها العسل » .

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إِلَى البصرة فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يَرُونَ رَأْيَنَا فِي عِثْمَانَ ، وَيُعْطِمُونَ قَتْلَهُ ، وَقَدْ قُتِلُوا فِي الطَّلَب بِدَمِهِ ، فَهُمْ مَوْتُورُونَ حَتَّى قُتِلُوا بِدَمِهِمْ ، وَدُّوا لَوْ يَجِدُونَ مَنْ يَدْعُوهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطَّلَب بِدَمِ عِثْمَانَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَمَرَهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ^(١) ، فَمَضَى حَتَّى نَزَلَ البصرة فِي بَنِي تَمِيم ، فَسَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلَ البصرة ، فَجَاءَهُ كُلُّ مَنْ يَرَى رَأْيَ عِثْمَانَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ أَهْلِهَا .

٢٧١ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ : فَإِنَّ إِمَامَكُمْ إِمَامَ الْهُدَى عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، قَتَلَهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ظُلْمًا ، فَطَلَبْتُمْ بِدَمِهِ ، وَقَاتَلْتُمْ مَنْ قَتَلَهُ ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ خَيْرًا ، وَقَدْ أَصِيبَ مِنْكُمْ الْمَلَأُ الْأَخْيَارُ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ اللَّهُ بِإِخْوَانٍ لَكُمْ ، لَهُمْ بَأْسٌ مُتَقَيٌّ ، وَعَدَدٌ لَا يُنْحَصَى ، فَلَقُوا عَدُوَكُمْ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ ، فَبَلَّغُوا الْغَايَةَ الَّتِي أَرَادُوا

[١] وَكَانَ الَّذِي سَدَّدَ لِمَعَاوِيَةِ رَأْيَهُ فِي تَسْرِيحِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ كِتَابَ كُتُبِهِ إِلَى عَبْدِ عُبَّاسِ بْنِ صَحَّارِ الْعَبْدِيِّ ، وَفِيهِ : « أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ بَلَّغْنَا وَقَعَتَكَ بِأَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ بَعَا عَلَى إِمَائِهِمْ ، وَقَتَلُوا خُلَفَاءَهُمْ طَمَعًا وَبَغْيًا ، فَفَرَّتْ بِذَلِكَ الْعِيُونَ ، وَشَفِيتْ بِذَلِكَ الْعُيُوسُ ، وَبَرَدَتْ أَفْئِدَةُ أَقْوَامٍ كَانُوا يُقَاتِلُونَ عِثْمَانَ كَارِهِينَ ، وَلَعَدُوَّهُ مُعَارِقِينَ ، وَلَكُمْ مَوَالِينُ ، وَبِكُمْ رَادِينَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَبِعْتَ إِلَيْنَا أَمِيرًا طَيِّبًا ذَكِيًّا ذَا عِفَافٍ وَدِينٍ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عِثْمَانَ فَعَلْتَ ، فَإِنِّي لَا إِخْلَالَ لِنَاسٍ إِلَّا بِجَمْعِنَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ ابْنُ عَبَّاسٍ عَاقَبَ عَنْ الْمِصْرِ وَالسَّلَامِ » فَكُتِبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ « أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ ، فَعَرَفْتُ نَصِيحَتَكَ ، وَقَبِلْتُ مَشُورَتَكَ . رَحِمَكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ ، اثْبَتْ هَذَاكَ اللَّهُ عَلَى رَأْيِكَ الرَّشِيدِ ، فَكَأَنَّكَ بِالرَّجُلِ الَّذِي سَأَلْتَ قَدْ أَتَاكَ ، وَكَأَنَّكَ بِالْجَيْشِ قَدْ أَطْلَعَ عَلَيْكَ ، فَسَرَرْتُ وَحَيْتُ وَالسَّلَامُ .

صابرين ، وَرَجَعُوا وَقَدْ نَالُوا مَا طَلَبُوا ، فَالْتِئِمُوا^(١) وَسَاعِدُوا ، وَتَذَكَّرُوا ثَارَكُمْ ،
لِتَشْفُوا صُدُورَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ .

٢٧٢ — خطبة الضحّاك بن عبد الله الهلالي

فَقَامَ إِلَيْهِ الضُّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ فَقَالَ :

. « قَبِّحَ اللَّهُ مَا جِئْتَنَا بِهِ ، وَمَادَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، جِئْتَنَا وَاللَّهُ بِمَثَلِ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبَاكَ :
طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ ، أَتَيْنَا وَقَدْ بَايَعْنَا عَلِيًّا وَاجْتَمَعْنَا لَهُ ، فَكَلَمْتُنَا وَاحِدَةً ، وَنَحْنُ عَلَى
سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ ، فَدَعَوَانَا إِلَى الْفُرْقَةِ ، وَقَامَا فِينَا بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ، حَتَّى ضَرَبْنَا
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ عُدُوَانًا وَظُلْمًا ، فَاقْتَلْنَا عَلَى ذَلِكَ ، وَآيَمَ اللَّهُ مَا سَامِنَا مِنْ عَظِيمٍ وَبَالٍ
ذَلِكَ ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْمِعُونَ عَلَى بَيْعَةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، الَّذِي أَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَعَفَا
عَنِ الْمَسِيءِ ، وَأَخَذَ بَيْعَةَ غَائِبِنَا وَشَاهَدَنَا ، أَفْتَأْمُرُنَا الْآنَ أَنْ نَخْتَلَعَ أَسْيَافَنَا مِنْ
أَعْمَادِهَا ، ثُمَّ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، لِيَكُونَ مَعَاوِيَةُ أَمِيرًا ، وَتَكُونَ لَهُ وَزِيرًا ،
وَنَعْدِلَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ ؟ وَاللَّهُ لَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ، خَيْرٌ مِنْ بَلَاءِ مَعَاوِيَةَ وَآلِ مَعَاوِيَةَ ، لَوْ بَقُوا فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بِأَقِيَّةٍ^(٢) . »

فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَازِمِ السُّلَمِيِّ ، فَقَالَ لِلضُّحَّاكِ : « اسْكُتْ فَلَسْتُ بِأَهْلٍ أَنْ
تَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَقَالَ : « نَحْنُ يَدُكَ وَأَنْصَارُكَ ،
وَالْقَوْلُ مَا قُلْتَ ، وَقَدْ فَهِمْنَا عَنْكَ ، فَادْعُنَا أَنْتَ شَتَّ » فَقَالَ الضُّحَّاكُ لَابْنِ حَازِمٍ :
« يَا بَنَ السُّودَاءِ^(٣) ، وَاللَّهُ لَا يَعْزُّ مَنْ نَصَرْتَ ، وَلَا يَذِلُّ بِخِذْلَانِكَ مَنْ

خَذَلْتَ » فَتَشَاتَمَا

[١] سَاعِدُوا . [٢] مَا ظَرَفِيَّةٌ ، أَيْ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا بَاقِيَةً .

[٣] وَكَانَتْ أُمُّهُ سَوْدَاءَ حَبَشِيَّةً يُقَالُ لَهَا عَجَلِي .

٢٧٣ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التيمي فقال :

« عبادَ الله : إنا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتلوا وتتنازروا ^(١) ، ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم ، وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلمؤوا شمشكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فمهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم » .

فأما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف ابن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل ^(٢) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا بيعتكم ، فتقع بكم واقعة ، وتصيبكم قارعة ^(٣) » ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم وألكن لا تحبون النصحين » .

* * *

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبي بكر - فأفزع ذلك زياداً وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

[١] النبز : محركة اللب ، والتناز : التعابر والتداعي بالألقاب . [٢] أصل المثل للحارث بن عباد البكري حين قتل جساس بن مرة كليياً ، وهاجت الحرب بين بكر وتعلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة . [٣] داهية .

٢٧٤ - خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولي الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابن الحضرمي فيكم ، لم أطمع فيه أبداً ، وأنتم دونه ، فلا يطمع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابن آكلة الأكباد - في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان - بأدنى إلى الغلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبحت فيكم مضموناً ، وأمانة مؤداة ، وقد رأينا وقعكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ، فإنكم لا تحمدون إلا على النجدة ، ولا تعذرون على الجبن » .

٢٧٥ - خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس على علي عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم^(١) له ذل ، وخذلانكم إياه عار ، وأنتم حتى مضمركم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم ، وإن استمدثوا معاوية فاستمدثوا علياً عليه السلام ، وإن وادعوك فوادعوهم » .

٢٧٦ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يوم الجمل نمنع مضرنا ، ونطيع أمتنا ، ونطلب دم

خليفتنا المظلوم ، فجَدَدنا في القتال ، وأقننا بعد انهزام الناس ، حتى قُتِلَ منا مَنْ لا خيراً فينا بعده ، وهذا زيادٌ جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليٍّ ما نخاف من معاوية ، فَهَبُوا لَنَا أَنْفُسَكُمْ ، وامنعوا جاركم ، أَوْ فَأَبْلِغُوهُ مَأْمَنَهُ .
فَقالت الأزد : « إِنَّمَا نَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ فَأَجِروهُ » .

٢٧٧ — خطبة الامام عليٍّ

واستنفر عليٌّ بنى تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة مَنْ يكفيه أمر ، ابن الحضرمي ، ويردّ عادية بنى تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد ، فخطبهم وقال :
« أليس من العجب أن ينصرني الأزد ^(١) ، وَتَحْذُلْنِي مُضَرَ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تميم الكوفة بي ، وَخِلَافُ تميم البصرة عليٍّ ، وَأَنْ أُسْتَجِدَ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصُ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَلِلْمُنَابَذَةِ وَالْحَرْبِ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ مُصَبِّحًا بِكُمْ لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ ^(٤) تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ ^(٥) أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ ، فَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا ،

[١] م من العرب اليمانيين . [٢] قتلهم الأقباط في دات الله كثير ، قتل عليٌّ عليه السلام الجم الفير من بنى عبد مناف وبنى عبد الدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شعبة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . [٣] لقم الطريق : الجادة الواضحة منها .

[٤] التصاول : أن يصول كل من الفريقين على صاحبه .

[٥] التخالس : التسلاب ، أي يبيى كل أن يسلب روح الآخر .

وَمَرَّةً لَعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ ^(١) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ ^(٢) ، وَثَبَّوْنَا أَوْطَانَهُ ، وَلَعِمْرَى لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا ^(٣) ، وَاتَّبِعْنَهَا نَدَمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعِينُ بْنُ ضَبِيعَةَ الْمُجَاشِعِيِّ ^(٤) فَقَالَ :

« أَنَا إِنِ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبُ ، وَأَتَكْفِلُ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهْيِئَةِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَّصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

٢٧٨ - خطبة أعين بن ضبيعة

فَلَمَّا قَدِمَهَا دَخَلَ عَلَى زِيَادَ ، وَهُوَ بِالْأَزْدِ مُقِيمٌ فَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى رَحْلَهُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا قَوْمَ : عَلَى مَاذَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتَهْرَيْقُونَ دِمَاءَكُمْ ، عَلَى الْبَاطِلِ مَعَ السُّفَهَاءِ الْأَشْرَارِ ؟ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ حَتَّى عُيِّنْتُ إِلَيْكُمْ الْجُنُودَ ، فَإِنْ تُنْذِبُوا إِلَى الْحَقِّ يُقْبَلْ مِنْكُمْ وَيُكَفَّ عَنْكُمْ ، وَإِنْ أُيْتِمَ فَهُوَ وَاللَّهُ اسْتِئْصَالُكُمْ وَبَوَارِكُمْ .

فَقَالُوا بَلْ نَسْمَعُ وَنَطِيعُ ، فَنَهَضَ بِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَخَرَحُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَوَافَقَهُمْ عَامَةً يَوْمَهُ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ : « يَا قَوْمَ لَا تَنْكُشُوا بَيْعَتَكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا إِمَامَكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ وَجَرْتُمْ كَيْفَ

[١] الإذلال . [٢] جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكن كالبعير ياتي حرائه على الأرض . [٣] يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دما ، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم . [٤] مجاشع بن دارم أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي نقر الجمل الذي كانت عليه طائفة يوم الجمل .

صنع الله بكم عند نكثكم ينعثكم وخلافكم»
فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى
إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى
الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٢٧٩ - خطبة جارية بن قدامه

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، فواجه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ،
فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خيراً ، ما أعظم غناءكم ^(١) ، وأحسن بلاءكم ،
وأطوعكم لأمركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيعة من أنكره ، ودعوتكم إلى الهدى
إذ تركه من لم يعرفه » ثم قرأ عليهم كتاب علي عليه السلام ، فقام صبرة بن
شيمان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولمن
سالم سلم » ، إن كفيت ياجارية قومك بقومك فذاك ، وإن أحبت أن تنصرك
نصرناك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير
معه ، ومضى نحو بني تميم .

٢٨٠ - خطبة زياد

فقام زياد في الأزد فقال :

« يا معشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمس سلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم
كنتم حرباً فأصبحتم سلماً ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقمت
فيكم إلا على الأمل ، فما رضيتم أن أجرتوني ، حتى نصبتكم لي منبراً وسريراً ،

وجعلتم لي شُرطا وأعوانا ومُناديا وجمعة ، فما فقدتُ بحضرتكم شيئا إلا هذا
الدرهم لا أجبيه اليوم ، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله ، واعلموا أن
حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا والدين من حربكم أمسِ علياً ، وقد قدّم
عليكم جاريةُ بن قدامة ، وإمّا أرسله على ليصدّع أمر قومه ، والله ما هو بالأمر
المطاع ، ولو أدرك أمله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكان لي تبعاً ، وأنتم
أهامةُ العظمى ، والجمرة الحامية ، فقدّموه إلى قومه ، فإن اضطرّ إلى نصركم ،
فسيروا إليه إن رأيتم ذلك .

٢٨١ - خطبة أبي صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد
مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان
أسرع منه إلى الجزاء بالسّيئ ، والنوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه
فتنةً لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعةٌ ، دماؤها
حرام ، وجروحها قصاصٌ ، ونحن معك نحبُّ ما أحبيت »
فعجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظنُّ في الناس مثل هذا »

٢٨٢ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قلم صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمسِ يوم الجمل ،

وإنا نلرجو اليوم أن يُنَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركتَ أملكَ فينا ، ولا أذكرَ كُنَّا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادُّوكَ إليها غدًا إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلنا فلا يكن أحدٌ أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب عليٍّ في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدَّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطونُك » .

٢٨٣ — خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرضَ ذلك لأنفسنا ، سر بنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قطُّ إلا اكتفينا بعَفُونا^(٢) دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتلوا ساعة ، فما لبثوا بنى تميم أن هزموا ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرق جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد ، حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣)

[١] من محس النهب بالنار كقطع أخضه مما يشوبه . [٢] العفو : الريادة .

٢٨٤ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل عليٌّ كرم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً مُصَنَّبَةً صعصعة بن صوحان ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَذْنِهِ ، اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَبِالْبَابِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ - فَأَخَذَتْهُ النَّعَالُ وَالْأَيْدَى ، لِقَوْلِهِ « أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْجَلْبَةُ ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمَعَاوِيَةَ ، فَأَذْنُ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الرِّسْلُ تُقْتَلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقَتَلْتُكَ ، ثُمَّ اعْتَرَضَهُ مَعَاوِيَةُ فِي الْكَلَامِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَخْبِرَهُ ، لِيَعْرِفَ طَبْعًا أَوْ تَكَلُّفًا ، فَقَالَ لَهُ مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ مِنْ نِزَارٍ ، قَالَ وَمَا كَانَ نِزَارٌ ؟ قَالَ كَانَ إِذَا غَزَا أَنْكَشَ ^(١) ، وَإِذَا اتَّقَى افْتَرَشَ ^(٢) ، وَإِذَا انْصَرَفَ احْتَرَشَ ^(٣) ، قَالَ فَمِنْ أَيِّ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ رَبِيعَةٍ ، قَالَ وَمَا كَانَ رَبِيعَةٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَطِيلُ النَّجَادَ ^(٤) ، وَيَعُولُ الْعِبَادَ ، وَيَضْرِبُ بَيْقَاعَ الْأَرْضِ الْعِمَادَ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ جَدِيدِلَةَ ، قَالَ وَمَا كَانَ جَدِيدِلَةَ ؟ قَالَ كَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا قَاطِعًا ، وَفِي الْمَكْرُمَاتِ غِيثًا نَافِعًا ، وَفِي اللَّقَاءِ لَهَبًا سَاطِعًا ، قَالَ فَمِنْ أَيِّ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، قَالَ وَمَا كَانَ عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ قَالَ كَانَ حَسَنًا أَيْضَ ^(٥) وَهَابًا ، يَقْدَمُ لَضَيْفِهِ مَا وَجَدَ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا فَقَدَ ، كَثِيرُ الْمَرْقِ ، طَيِّبُ الْعَرَقِ ، يَقُومُ لِلنَّاسِ مَقَامَ الْغَيْثِ مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ وَيَحْكُ يَا بْنَ صُوحَانَ ! فَمَا تَرَكْتَ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قَرِيْشٍ مُجَدًّا وَلَا نَجْرًا ؟ قَالَ بَلَى وَاللَّهِ يَا بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ! تَرَكْتُ لَهُمْ مَا لَا يَصْلُحُ

[١] انكش وتكش : أسرع والكيش الرجل السريع . [٢] افترش فلانا : غلبه وصرعه .

[٣] احترش الشيء : جمعه وكسبه . [٤] حائل السيف ، وهو كناية عن طول القامة .

[٥] أي أبيض اللون كناية عن أنه حرّ لارتيق أو أبيض العرض فيه .

إلا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض والأصفر^(١) ، والسريير والمنبر^(٢) ، والملك إلى المحشر ، ففرح معاوية ، وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها ، قال صدقت يا بن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صمصمة ما أراد ، فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد^(٣) ، بعدتم عن أنف^(٤) المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال ولم ذلك ؟ ويلك يا بن صوحان ! فقال الويل لأهل النار ، ذلك لبنى هاشم ، قال قم ، فأخرجوه . فقال صمصمة : الوعد بيني وبينك لا الوعيد ، من أراد المناجزة ، يقبل المحاجزة^(٥) ، فقال معاوية لشيء ما سؤده قومه ، وودت أنى من صلبه ، ثم التفت إلى بنى أمية فقال : هكذا فلتكن الرجال !
(صبح الأعشى ١ : ٢٥٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٧٧)



وروى أبو علي القالى هذا الخبر فى الأمالى بصورة أخرى ، قال :
« دخل صمصمة بن صوحان على معاوية أوّل ما دخل عليه - وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقال معاوية : ممن الرجل ؟ فقال رجل من نزار ، قال : وما نزار ؟ قال : كان إذا غزا انحوش^(٦) ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افترش ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيـل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أمهر^(٧) ،

[١] الأحمر : الذهب ، والأبيض : الفضة (والسيف أيضا) والأصفر : الذهب . كناية عن العنى والثروة (وقد كان لقريش فى الجاهلية مركز تجارى هام) . [٢] كناية عن الملك والمقدرة الخطائية . [٣] أورد إليه الماء . وأصدرها ردّما وأرحمها . [٤] روضة أنف لم ترع . [٥] ومروج الذهب : « من أراد المشاجرة قبل المحاورة » والوارى فى الأمثال : « المحاجزة قبل المناجزة » أى المسألة قبل المعالجة فى القتال ، يصرب لمن يطلب الصلح بعد القتال . [٦] لم أجد هذه الكلمة فى كتب اللغة ، وأرى أنها محرفة عن (احترش) كما ورد فى رواية صبح الأعشى ، وإن اختلف تأليف الجمل فى الروایتين . [٧] وفى نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ »

قال : وما أمر ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ^(١) ، وإذا أدرك أَرْضَى ، وإذا آب
أَنْضَى ^(٢) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جَدِيلَةٍ ، قال : وما جديلة ؟
قال : كَانَ يُطِيلُ النَّجَادَ ^(٣) ، وَيُمِدُّ الْجِيَادَ ، وَيُجِيدُ الْجِلَادَ ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من دُعْمِيٍّ ، قال : وما دُعْمِيٍّ ؟ قال : كَانَ نَارًا سَاطِعًا ، وَشَرًّا قَاطِعًا ،
وخيّرًا نَافِعًا ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أَفْصَى ، قال : وما أَفْصَى ؟
قال : كَانَ يَنْزِلُ الْقَارَاتِ ^(٤) ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتِ ، وَيَنْحَبِي الْجَارَاتِ ، قال : فمن أىّ
ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أَبْطَالٌ ذَاذَةٌ ^(٥) ،
جَحَاجِحَةٌ ^(٦) سَادَةٌ ، صَنَادِيدُ قَادَةٍ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أَفْصَى ،
قال : وما أَفْصَى ؟ قال : كَانَتْ رِمَاحُهُمْ مُشْرِعَةً ^(٧) ، وَقُدُورُهُمْ مُتْرَعَةً ^(٨) ،
وَجِفَافُهُمْ مُفْرَعَةً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْزٍ ، قال : وما لُكَيْزٍ ؟
قال : كَانَ يَبَاشِرُ الْقَنَالَ ، وَيَعَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من عَجَلٍ ، قال : وما عَجَلٍ ؟ قال : اللَّيْثُ الضَّرَاغِمَةُ ^(٩) ، الْمَلُوكُ
الْقَمَاقِمَةُ ^(١٠) ، الْقُرُومُ الْقَشَاعِمَةُ ^(١١) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من كَعْبٍ ،
قال : وما كَعْبٍ ؟ قال : كَانَ يُسَعِّرُ ^(١٢) الْحَرْبَ ، وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ
الْكَرْبَ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من مَالِكٍ ، قال : وما مَالِكٍ ؟ قال :

[١] أفضى إلى الشيء : وصل إليه . [٢] أنفى بغيره : هزله ، وأبغى الثوب : أبلاه .

[٣] حائل السيف . [٤] القارات : جمع قارة ، وهي الحيل الصير . [٥] جمع ذائد ،

وهو المدافع . [٦] جمع جمعج : وهو السيد ، كالجمجاح . [٧] مسددة . [٨] مملوءة .

[٩] جمع ضرغام ، وهو الأسد . [١٠] جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .

[١١] القروم ، جمع قرم : كشهم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشعم ، بكسر ، وهو الرجل المس

(كناية عن كثرة التجربة) والأسد . [١٢] سر الحرب : كنع ، وسعرها : أوقدها .

هو الهُمَامُ للهِمَامِ ، وَالْقَمَقَامُ للقَمَقَامِ ، فقال معاوية : ما تركت لهذا الحَيِّ من قريش شيئاً ، قال : بل تركتُ أكثره وأحبّه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوَبَرَ وَالْمَدَرَ ^(١) وَالْأَيْضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصِّفَا وَالْمَشْعَرَ ^(٢) ، وَالْقُبَّةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ وَالْمِنْبَرَ ، وَالْمُلْكَ إِلَى الْمَخْشَرِ ، قال : أما والله لقد كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَكَ أَسِيرًا ، قال : وأنا والله لقد كَانَ يَسُوءُنِي أَنْ أَرَكَ أَمِيرًا ، ثم خرج فبعث إليه ، فَرُدُّ ، ووصله وأكرمه .

(الأمالي ٢ : ٢٣٠)



وروى المسعودي في مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صمصمة ، وَكَانَ قَدِمَ عَلَيْهِ بَكْتَابٌ عَلَى ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخِذٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ لِي ، وما تركت منه كَانَ جَائِزًا لِي » فقال صمصمة :

تَمَنِّيكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ نَ جَهْلًا ، مُعَاوِيَ لَا تَأْتُمِ

فقال معاوية : يا صمصمة تَعَلَّمْتَ الْكَلَامَ ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يَجْهَلُ ، قال معاوية : ما أَحْوَجَكَ إِلَى أَنْ أُذِيقَكَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لَا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، قال : ومن يَحُولُ بيني وبينك ؟ قال : الذي يَحُولُ بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك

[١] كناية عن البادية ، والمدن : المدن والحضر . [٢] شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشعيرة والشعارة بالفتح ، والشعر موضعها ، والشعر الحرام : بالزدلفة .

للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير، قال : اتسع بطن من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه من لا يجمع^(٢) .
(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

٢٨٥ — خطبة عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرا كلة التقوى . أكرم الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم . خير الأمور أوسطها ، وشر الأمور محدثاتها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . خير الغنى غنى النفس ، وخير ما ألقى في القلب اليقين . الخمر جماع الآثم . النساء حيلة الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . شر الناس من لا يأتى الجماعة إلا دُبُرًا ، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا^(٣) . أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سباب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . من يتأل^(٤) على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عفا الله عنه . الشقى من شقى في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . الأمور بعواقبها . ملاك العمل

[١] يعرض بماوية إذ كان مبطانا (أى أكولا) وكن أيضاً بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال به سيدنا على و قصة صفين :

أصربهم ولا أدى معاوية الحاحط العين العظيم الحاوية

(والحاوية ما تحوى من الأمعاء أى العظيم البطن) . [٢] دعا عليه : معطوف على لا يشبع أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد من لا يجمع النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو تعريض آخر بمعاوية ، أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير في أسد الغابة — ٤ : ٣٨٦ — قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كنت ألعب مع الصبيان حاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خاف باب ، قال حاء ، فخطاني حطاة — والخطو : تحريك الشيء من عزاء — وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فحنت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فحنت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية » . [٣] الهجر ككتف الذى يمضى متقلا صعبا : أى لا يعرف الله إلا وقت الشدة . [٤] تألى : أقسم .

خواتيمه . أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يَصْبِر عليه . ومن لا يعرف البلاء ينكره . (إيجاز القرآن ١٢٢ ، المعاد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

٢٨٦ — وصية دريد بن الصمة

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ لِمَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّصْرِيِّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمِ حُنَيْنٍ ^(١) :
 « يا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ
 أَيَّامٍ ، مَالِي أَسْمَعُ رُفَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهْيَ الْخَمِيرِ ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ ؛ وَيُعَارِ ^(٢) الشَّاءَ . قَالَ :
 سَقَتَ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، قَالَ وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ
 كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ رَاعِي ^(٤) ضَانٍ وَاللَّهِ ،
 وَهَلْ يَرِدُ الْمَنْهَزِمُ شَيْءٌ ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ ،
 وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فَضِجَّتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ
 الْبَيْضَةِ ^(٥) بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ رَاخِلِيلَ شَيْئًا ، أَرْفَعُهُمْ إِلَى مَمْتَنَعٍ بِلَادِهِمْ ، وَعَلِيَاءَ
 قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقِ الصَّبَا ^(٦) عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ ، لِحَقَّ بِكَ مِنْ وَرَاءِكَ ،
 وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ . قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ ، إِنَّكَ قَدْ
 كَبَرْتَ وَذَهَلَ عَقْلُكَ . قَالَ دُرَيْدُ هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ ، وَلَمْ يَفْتِنْنِي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[١] غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازِنَ وتوقف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا
 ثم لمواشعهم وشدوا على عدوهم فهزمهم . [٢] اليعار : صوت الغنم أو المعزى أو التسديد
 من أصوات الشاء . [٣] يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأنقض بالدابة : ألصق لسانه
 بالحنك ثم صوت في حلقه . [٤] يضرب به المثل في الحق فيقال : « أحق من راعي ضأن » .
 [٥] بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تسلط عليهم عدوًا من عدوهم فيسبيح بيضتهم »
 يريد جماعتهم وأصلهم . [٦] أي ذوى الصبا : أي الشبان .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبٌ فِيهَا وَأَضَعٌ^(١)
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعٌ^(٢)

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، العقد الفريد ١ : ٤١)

٢٨٧ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

. . أوصى عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ بَنِيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِي إِيَّاكُمْ وَمَخَالَطَةَ السُّفَهَاءِ ، فَإِنْ مَجَّالَسْتَهُمْ دَاءٌ ، وَإِنْ مِنْ يَحْلُمُ عَنْ
السُّفِيهِ يُسَرِّبْ حِلْمَهُ ، وَمَنْ يُجِبِّهِ يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَقَرُّ بِقَلِيلٍ مَا يَأْتِي بِهِ السُّفِيهِ ، يَقْرَ
بِالكَثِيرِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلْيُوطِّنْ قَبْلَ
ذَلِكَ عَلَى الْأَذَى ، وَلْيُوقِنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ مَنْ يُوَقِنْ بِالثَّوَابِ مِنْ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجِدُ مَسَّ الْأَذَى » . (الأمل ٢ : ٦٠)

٢٨٨ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقري بنيه فقال :

« يَا بَنِي ، خذُوا عَنِّي ، فَلَا أَحَدٌ أَصْلَحَ لَكُمْ مِنِّي ، إِذَا دَفْتَمُونِي فَانصرفوا إِلَى
رِحَالِكُمْ ، فَسُودُوا أَكْبَرَكُمْ ، فَإِنْ الْقَوْمُ إِذَا سُودُوا أَكْبَرَهُمْ خَلَفُوا أَبَاهُمْ ، وَإِذَا
سُودُوا أَصْغَرَهُمْ ، أَزْرِي ذَلِكَ بِهِمْ فِي أَكْفَائِهِمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَةَ اللَّهِ ، وَقَطِيعَةَ
الرَّحِمِ ، وَتَمَسَّكُوا بِطَاعَةِ أُمَرَائِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ رَفَعُوا ارْتَفَعُوا ، وَمَنْ وَضَعُوا انْضَعُوا ،
وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا الْمَالِ فَأَصْلِحُوهُ ، فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَجُنَّةٌ لِعِرْضِ اللَّيْمِ ، وَإِيَّاكُمْ

[١] الحبب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأرضعت : أسرع في سيرها .

[٢] الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزمع جمع زمعة ، وهي هنة زائدة وراء الطلف أو

الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأوطال والإبل الفتي الشاب اقوى .

والمسألة ، فإنها أخيراً^(١) كَسَبَ الرجل ، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يُدْخِلُوا عليكم بنى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكل عِرْقٍ لثيم أن تلبسوه ، فإنه إن يَسْرُركم اليوم ، يَسُوءكم غداً ، واكْظِمُوا الفِيط ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءَ لنا سلفوا فلن تبيدَ وللآباءِ أبناءُ

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

٢٨٩ - وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَغْتَبِ عنده مسلماً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً . قال فقلت يا أبة . كل واحدة منها خير من ألف ، فقال : كل واحدة منها خير من عشرة آلاف . (تهذيب الكامل ١ : ١٥)

٢٩٠ - خطبة أكرم بن صيفى يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفى ابنه حَيْشَاً ، فأثاه بخبره ، فجمع بنى تميم وقام فيهم خطيباً فقال :

[١] أخر بقصر الهجرة لاغير : أى أدنى وأردل ، ومن رواه بالبداء خطأ .

« يا بني تميم : لَا تُحْضِرُونِي سَفِيهَاً ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ (١) ، إِنْ السَّفِيهِ يُوهِنُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيُتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ (٢) . لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . كَبُرَتْ سِنِّي وَدَخَلْتَنِي ذِلَّةً ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي حَسَنًا فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنِّي غَيْرَ ذَلِكَ فَقَوِّمُونِي أَسْتَقِيمَ . إِنْ أَبْنَى شَافَهُ هَذَا الرَّجُلُ مَشَافَهَةً ، وَأَتَانِي بِخَبْرِهِ ، وَكَتَابَهُ بِأَمْرِ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْخُذُ فِيهِ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ ، وَتَرْكِ الْحَلِيفِ بِالنَّيْرَانِ ، وَقَدْ عَرَفَ ذَوُو الرَأْيِ مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَأَنَّ الرَأْيَ تَرْكُ مَا يَنْهَى عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِمَعُونَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهُوَ لَكُمْ (٣) دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ بَاطِلًا كُتِمَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالْإِسْتِرْعَالِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشَعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوَّلًا ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ لَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ،

[١] خال : ظن ، ومصارعه إخال بالكسر وهو الأفضح ، وبنو أسد يقولون أحال بالفتح وهو القياس ،

وقوله « مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ » مثل ، معناه مَنْ يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ وَمَعَايِمَهُمْ يَقَعُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِمُ الْمَكْرُوهُ .

[٢] فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « وَيُتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ » مِنْ أَتْبَعَهُ أَيْ اتَّخَذَهُ بِالْجِرَاحِ ، وَالْمَعْنَى لَصِيفُ وَيُوهِنُ ،

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ »

لِيُثْبِتُوكَ أَيْ لِيَجْرَحُوكَ جِرَاحَةً لَا تَهْوِمُ مَعَهَا أَوْ لِيَحْبِسُوكَ ، وَفِي سِرْحَانِ الْعَرَبِ « وَيُتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ »

مِنْ تَبَيُّهِ بِالْقَشْدِ أَيْ أَمْلَكِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيلٍ » .

[٣] يَرِيدُ الْعَرَبِ .

وأكثرهم عدداً ، وأوسعهم داراً ، فإنني أرى أمراً لا يَجْتَنِبُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلِكُ ، وَلَا يَلْزَمُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزٌّ ، إِنْ الْأَوَّلُ لَمْ يَدْعِ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، وَهَذَا أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ سَبَقٍ إِلَيْهِ غَمْرُ الْمَعَالِي ^(١) ، وَاقْتَدَى بِهِ التَّالِي ، وَالْعَزِيمَةُ حَزْمٌ ، وَالْإِخْتِلَافُ عَجْزٌ .
فَقَالَ مَالِكُ ^(٢) بَنُ نُؤَيْرَةَ : قَدْ خَرِفَ شَيْخُكُمْ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِلْبَلَاءِ ، فَقَالَ أَكْثَمُ : وَيْلَ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ ، وَالْهَنَفِي عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَسْغَنِ ^(٣) .
ثُمَّ رَحَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ ، وَبَعَثَ بِإِسْلَامِهِ
مَعَ مَنْ أَسْلَمَ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ ^(٤) . (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٢ : ٢١٨ ، سِرْحَ الْعَيُونِ ص ١٤)

٢٩١ - وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ ^(٥) الْوَفَاةُ ، جَمَعَ إِلَيْهِ وَجُوهَ قُرَيْشٍ فَأَوْصَاهُمْ فَقَالَ :
« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ : أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ ، فَيْكُمُ السَّيِّدُ
الْمُطَاعُ ، وَفَيْكُمُ الْمَقْدَامُ الشَّجَاعُ ، الْوَاسِعُ الْبَاعُ ، وَاعْلَمُوا أَنْكُمْ لَمْ تَتْرَكُوا لِلْعَرَبِ فِي
الْمَآثِرِ نَصِيبًا إِلَّا أُخْرِزْتُمْوه ، وَلَا شَرَفًا إِلَّا أُدْرِكْتُمْوه ، فَلَكُمْ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ
الْفَضِيلَةُ ، وَلَهُمْ بِهِ إِلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ ، وَالنَّاسُ لَكُمْ حَرْبٌ ، وَعَلَى حَرْبِكُمُ الْأَلْبُ ^(٦) ،
وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - فَإِنْ فِيهَا مَرَضَاةٌ لِلرَّبِّ ، وَقَوَامًا

[١] مِنْ صَمَرِهِ الْمَاءُ : أَيُّ غَطَاهُ . [٢] وَقَدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ بَنِي تَيْمٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَتَلَهُ ، وَقَصَّتْهُ فِي التَّارِيخِ مَشْهُورَةٌ .

[٣] وَفِي سِرْحِ الْعَيُونِ : وَلَمْ يَسْغَنِ [٤] وَذَكَرَ عَنْ بَنِي عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَمَالَى : « وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ

بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ ، عَلَى اللَّهِ » نَزَلَ فِي أَكْثَرِ

وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ . [٥] تَوَفَّى فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ النُّوَّةِ وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَإِسْلَامُهُ

مُخْتَلَفٌ فِيهِ « اقْرَأْ فَصَلَا طَوِيلًا فِي ذَلِكَ فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ م ٣ : ص ٣١١ » .

[٦] أَيُّ ذَوُو أَلْبٍ ، وَالْأَلْبُ : التَّنْدِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ .

للمعاش ، وثباتاً للوطاة ، صلوا أرحامكم فإن في صلة الرّحم منسأة^(١) في الأجل ، وزيادة في العدد ، اتركوا البنى والمعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخاص ، ومكرمة في العام .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمرٍ قبله الجنان^(٢) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن^(٣) ، وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدّقوا كلمته ، وعظّموا أمره ، نخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناناً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً^(٤) ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أخطأهم عنده ، قد تحضّته^(٥) العرب ودادها وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يامعشر قريش : كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشّد ، ولا يأخذ بهديه أحد إلا سعّد ، ولو كان لنفسى مدة ، وفي أجلى تأخير ، لكففت عنه الهزاهز^(٦) ، ولدافعت عنه الدّواهي .

(بلوغ الأرب ١ : ٢٢٧)

٢٩٢ - خطبة مالك بن نمط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نمط

أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

[١] أى فسحة وامتداداً من لسأ أى آخره . [٢] القلب . [٣] البغض والكراهية .
[٤] سادة . [٥] محضه الود ، وأعضه : أخلصه . [٦] الهزاهز والهززة : تحريك البلايا والحروب الناس .

« يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ ^(١) من هَمْدَانَ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوصِ نَوَاجٍ ^(٢) ، متصلةٌ بحبال الاسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من خِلَافٍ ^(٣) خَارِفٍ ^(٤) ، وَيَامِ ، وشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ والقُرَى ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ ^(٥) ، عهدُهم لا يَنْقُضُ ، ما أقام لَعَلَعٌ ^(٦) ، وما جرى الْيَعْفُورُ بِصُلْعٍ ^(٧) . » (مسج الأعتى ٢ : ٢٤٤)

٢٩٣ - سفانة بنت حاتم

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلَى كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ : لما أَتَيْنَا بِسَبَايَا طِيٍّ ، كانت في النساء جارية جميلة - وهى سَفَّانَةُ بنت حاتم ^(٨) - فلما رَأَيْتُهَا أُعْجِبْتُ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأُطْلِبْنَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْعَلَهَا مِنِّي ، فلما تَكَلَّمْتُ أُنْسِيتُ جَمَالَهَا ، لما سَمِعْتُ مِن فَصاحتها ، فقالت :

« يا محمد : هلك الوالد ، وغاب الوافِد ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، فلا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي ^(٩) . كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي ^(١٠) ، وَيَحْمِي الذَّمَّارَ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيُفْشِي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طِيٍّ »

[١] النصية من القوم : الحيار ، وهمدان : من عرب اليمن . [٢] القلص : جمع قلوص ، وهى من الإبل الذابة أو الباقية على السير ، والنواجى : جمع ناحية ، وهى السرعة فى السير . [٣] المخلاف : الكورة . [٤] خارف : لقب مالك بن عبد الله أبى قبيلة من همدان ، وبام ، وشاكر ، قبيلتان من همدان باليمن . [٥] الأنصاب : جمع نصب بضمين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحدا نصاب ، قيل هى الأصنام وقيل غيرها . [٦] اسم جبل . [٧] اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لا يثبت شيئا . [٨] السفانة فى الأصل : المؤلوة . [٩] جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أى فافعل فإنى [١٠] العانى : الأسير .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لترجمننا عليه ، خلّوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » . (الأغاني ١٦ : ٩٣)

٢٩٤ - خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء

. روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جدب ، فقال : أتيناك يا رسول الله ، ولم يبقَ لنا صبي يرّضع ، ولا شارب^(١) تجرّ ، ثم أنشده :
 أتيناك والعذراء يذمي لبائها^(٢) وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل
 وألقي بكفيته الفتى لاستكائه من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي^(٣)
 ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل^(٤)
 وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فزار الناس إلا إلى الرسل ؟
 فقام النبي ﷺ يجرّ رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
 « اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئاً هنيئاً مريعاً^(٥) ، سحاً سجالاً^(٦) ، غدقاً^(٧)
 طبقاً^(٨) ، ديماً درراً^(٩) ، تحيي به الأرض ، وتثبت به الزرع ، وتدرّ به الضرع ،

[١] الشارف من النوق : المسة الهرمة كالشارفة . [٢] أي يدمى صدرها لامتئائها نفسها والخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجذب وشدة الرمان . [٣] أي ما يضر وما ينفع ، أو ما يأتي بكلمة ولا فعلة مرة ولا حلوة . [٤] العامي : الذي أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شجاك طلال عامي » والعلهز : طعام من الدم والور كان يتخذ في الباعة ، والفسل : الردى ، الردل من كل شيء . [٥] المريع الحبيب ، أي تخلص به الأرض التي يربك عليها . [٦] أي متداولاً بين البلاد ، ينال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المملوءة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أي نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . [٧] الغدق : الماء الكثير . [٨] أي مائلاً للأرض منطياً لها ، يقال غيث طبق : أي عام واسع يطبق الأرض . [٩] هو جمع درة بالكسر يقال لسحاب درة : أي صب واندفق ، وقيل الدرر : الدار ، كقوله تعالى : « دِيناً قَبِيحاً » أي قائماً .

واجعله سُقياً نَافِعَةً ، عاجلاً غيرَ رَائيثٍ ^(١) ،

فوالله ما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى نَحْرِهِ ، حتى أَلْقَت السماء أَرْوَاقَهَا ^(٢) ، وجاء الناس يَضِجُونَ : الفرقَ الفرقَ يا رسول الله ، فقال : اللهم حَوَالَيْنَا ولا علينا ! فانْجَاب ^(٣) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها كالإِكليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ^(٤) .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

٢٩٥ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبي زُبَيْد : حَرَمَلَةٌ بن المنذر الطائي - وكان نصرانياً - يا أخا تبَعِ المسيح ، أَسْمِعْنَا بعض قولك ، فقد أُنْبِئْتُ أنك تجيد ، فأنشده قصيدة له في وصف الأسد ، فقال عثمان : تالله تَفْتَأُ تذكر الأسد ما حَيَّيت ! والله إني لأحسبك جَبَاناً هَرَاباً ، قال : كَلَّا ، يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت منه مَنظَراً ، وشَهِدْتُ منه مَشْهَداً ، لا يَبْرُحُ ذِكْرُهُ يتجدد ويتردَّدُ في قلبي ، ومعدور أنا يا أمير المؤمنين غيرُ ملوم ، فقال له عثمان : وَأَنْتَ كَانَ ذلك ؟ قال : « خرجت في صِيَابَةٍ ^(٥) أشرف من أبناء قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارة ^(٦) حسنة ، ترمى بنا المَهَارَى ^(٧) بأَكْسَاهَا ^(٨) ، ونحن نريد الحارث ابن أبي شَمْرٍ الغَسَّانِي ملك الشام ، فاخْرَوْط ^(٩) بنا السير في حَمَارَةٍ القَيْظِ ، حتى

[١] أى غير بطيء . [٢] أَلْقَت السحابة أرواقها أى مطرها ووبلها .

[٣] انكشف . [٤] النواجذ : أفصى الأضراس .

[٥] الصيابة بالتشديد وتخفف : الحالص والصميم والحيار من الشيء .. [٦] الشارة : الهيئة واللباس

والزينة ، والجمال . [٧] مهرة بن حيدان (بفتح الميم والهاء) : حى تنسب إليه الإبل المهرية ،

وجمعها مَهَارَى (بفتح الميم والراء) ومهارة (متقوصاً) ومهاري . [٨] الأكساء : جمع كساء

(كقفل وعنق) وكساء كل شيء : مؤخره . [٩] اخروط بهم الطريق : طال وامتد .

إِذَا عُصِبَتِ الْأَفْوَاهُ ، وَذُبُلَتِ الشِّفَاهُ ، وَشَالَتِ ^(١) الْمِيَاهُ ، وَأَذَكَّتِ الْجَوَازِيهُ
 الْمِعْزَاءُ ^(٢) ، وَذَابَ الصَّيْهَبُ ^(٣) ، وَصَرَ الْجُنْدُبُ ^(٤) ، وَأَضَافَ الْمُصْفُورُ الضَّبَّ
 فِي وَكْرِهِ ، وَجَاوَرَهُ فِي جُحْرِهِ ، قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرِّكْبُ ، غُورُوا ^(٥) بِنَا فِي دَوْحِ
 هَذَا الْوَادِي ، وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَلْنَا كَثِيرَ الدَّغْلِ ^(٦) ، دَائِمُ الْغَمَلِ ^(٧) ، أَشْجَارُهُ
 مُغْنَةٌ ^(٨) ، وَأَطْيَارُهُ مُرْنَةٌ ^(٩) ، فَخَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأَصُولِ دَوْنَحَاتٍ كَنْهَبِلَاتٍ ^(١٠) ،
 فَأَصْبَنَّا مِنْ فَضْلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطِلَتِهِ ،
 إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أُذُنِيهِ ^(١١) ، وَخَفَصَ الْأَرْضَ يَدِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ،
 ثُمَّ تَحَمَّحَمَ ^(١٢) ، فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فَعْلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَعَضَعَتِ
 الْخَيْلُ ، وَتَكَمَّكَمَّتِ ^(١٣) الْإِبِلُ ، وَتَقَهَّقَرَتِ الْبِغَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ ^(١٤) ،
 وَنَاهَضٍ بِعِقَالِهِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّاقِدَ أَتِينَا ، وَأَنَّهُ السَّبْعُ لَا شَكَّ فِيهِ ، فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدِنَا إِلَى
 سَيْفِهِ ، فَاسْتَلَّهُ مِنْ جُرْبَازِهِ ^(١٥) ، ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا ^(١٦) ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ

- [١] قلت . [٢] أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلابة ، مكان أمغر
 وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . [٣] الصيهب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع
 تحمي عليه الشمس حتى يشوى اللحم عليه . [٤] يوع من الجراد ، وصر : صوت .
 [٥] الغور والعثور : الدخول في الشيء ، والدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .
 [٦] الدغل : الشجر الكثير الملتف ، واشتراك الست وكثرته . [٧] الغل والليل والغلة :
 العطش أو شدته أي دائم العطش إلى الماء . [٨] أغن الذباب صوت ، ويقال : واد غن وهو الذي
 صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون الذباب إلا في واد محصب معشب ، والعنة (بالضم) صوت في الحيشوم ،
 والأغن : الذي تسكلم من قبل خياشيمه عن يمن بالفتح فهو أغن ، ومنه قالوا واد أغن أي كثير العشب
 لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب وفي أصواتها غنة ، وروضة عناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صاوية
 الصوت لكثافة عشبها . [٩] رنت وأدنت : صاحت . [١٠] الكنهيل : شجر عظام ، والمزاود :
 جمع مرود كثير ، وهو وطاء الزباد . [١١] صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها للاستهزاء .
 [١٢] المحجمة وللتحجم : صياح الفرس حين يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه ، وصوته إذا طلب العلف .
 [١٣] خافت وفزع ، كهمكته فتكمكع : جبنته وخوته . [١٤] الشكال : الجبل الذي تشد به
 قوائم الدابة . [١٥] الجربان : غمد السيف . [١٦] الرزدق : الصف من الناس ، والأرسال :
 جمع رسل كسبب وهو القطيع من كل شيء .

أَجْتَه ، يتظالم ^(١) في مشيته ، كأنه مجنوب أو في هيجار ^(٢) ، لصدره نحيط ^(٣)
ولبلاعمه غطيط ^(٤) ، ولطرفه وميض ، ولأزساغيه تقيض ^(٥) ، كأنما يخبى
هشياً ، أو يظاً صريماً ^(٦) ، وإذا هامة كالجن ^(٧) ، وخد كالسن ، وعينا
سجراوان ^(٨) كأنهما سراجان يتقدان ، وقصرة ريلة ^(٩) ، ولهزمة رهلة ^(١٠)
وكتد مغبط ^(١١) ، وزور مفرط ^(١٢) وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكف
شنة البرائن ^(١٣) إلى مخالب كالحاجن ^(١٤) ، ف ضرب يديه فأرهب ^(١٥)
وكشر ^(١٦) فأفرج عن أنياب كالماول ، مصقولة ، غير مفولة ، وفم أشدق ^(١٧)
كالغار الأخوق ^(١٨) ، ثم تمطى فأسرع يديه ، وحفر ^(١٩) وركيه برجليه ، حتى
صار ظله مثليه ، ثم أقمى ^(٢٠) فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ^(٢١) ، ثم تجهم فازبأر ^(٢٢)
فلا وذو ^(٢٣) يئته في السماء ، ما اتقيناها إلا بأخ لنا من فزارة ، كان ضخم

- [١] من ظلم كنع إذا غمز في مشيه . [٢] جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو حنوب ومجنوب ومجنوب
والهجار : حل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه ، وإن كان مرحولا شد إلى الحفب .
[٣] المحيط : الزفير ، والناحط : من يعمل شديداً . [٤] غطط البعير غطيطة هدر ، والنائم
صوت وكدا المدبوح والخنوق . [٥] تقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .
[٦] ثمر صريم : أي مقطوع . [٧] المجن : الرس . [٨] عين سجرا : خالطت بياض
حمرة . [٩] القصرة : أصل العنق ، والربالة بالفتح : كثرة اللحم وهي رلة ومتربة .
[١٠] اللهرمتان نبتان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ، ورهل لجه : كفرح ادمج وورم من غير داء
[١١] الكتد : مجتمع الكتف ، أو الكاهل ، أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، وأعبط البات
غطى الأرض ، وكشف وتداني ، وأرض مبطنة بفتح الباء ، أي وكاهل معطى بالشعر .
[١٢] من أفرطه إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط . [١٣] شنة : أي غليظة خشنة ، شنة
كفه : كفرح وكرم ، والبرائن : جمع برثن كبرقع وهو مخلب الأسد . [١٤] الحاجن : جمع محجن كنه
ومكنسة : العصا المعوجة ، وكل معطوف معوج . [١٥] أرهب : أثار الغار ، والرهج (كشمس
وسبب) الغبار . [١٦] كشر عن أسنانه : أبدى . [١٧] من الشدق (كسبب) وهو سبب
الشدق . [١٨] من الخوق (كسبب أيضاً) وهو السعة ومنه مفازة خوقاء . [١٩] حفزه
دفعه . [٢٠] أقمى : جلس على استه مفترشاً رجله ناصبا يديه . [٢١] : قام منتصباً
والكفهر من الوجوه : الضارب لونه إلى الفبرة مع غلط ، والمتعبس . [٢١] : قام منتصباً
وسمع (استقبله بوجهه كريحه ، وازبأر : تنفس . [٢٣] ذو : بمعنى الذي في لغة طي :

« غيبي من ذو عندهم ما كفاينا » .

الجزارة^(١) ، فَوَقَصَهُ^(٢) ، ثم نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقُضَ^(٣) مَتْنِيَهُ ، فجعل يَلْغُ في دمه ، فَذَمَرْتُ^(٤) أَصْحَابِي ، فَبَعَدَ لَأَيُّ^(٥) ما استقدموا ، فَهَجَّجْنَا^(٦) بِهِ ، فكَرَّمَقْشِرَ الزُّبْرَةَ^(٧) ، كَأَن بِهِ شَيْهَمًا^(٨) حَوْلِيًا ، فَاخْتَلَجَ^(٩) رَجُلًا أُعْجَرَ ذَا حَوَايَا ، فنقضه نقضة ترايلت منها مفاصله ، ثم هَمَّهَمَ فَقَرَّ قَرَّ^(١٠) ، ثم زفر فَبَرَّ بَرَّ^(١١) ، ثم زار فَجَرَ جَرَ^(١٢) ، ثم لحظ ، فوالله لَخَلَّتْ الرِّقُّ يَتَظَايِرُ مِنْ تَحْتِ جَفَوْنِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأَرَعِشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَّتْ^(١٣) الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ^(١٤) الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتْ^(١٥) الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبُطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعِبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ » . (الْأَعْيَانُ : ١١ : ٢٣ ، وَالْمُحَاسِنُ وَالْأَصْدَادُ ص ١١٢)

٢٩٦ - تَتِمَّةُ فِي الْحُكْمِ^(١٦)

من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

« إِنْ اللَّهُ قَرَنَ وَعْدَهُ بِوَعِيدِهِ لَيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا . لَيْسَتْ مَعَ الْعَزَاءِ مُصِيبَةٌ . الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ . ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ :

[١] الجزارة : بالضم اليدان والرحلان والعنق . [٢] وقص عقه : كسرهما . [٣] من نقض البناء أى مدهه ، وقضقض : مرق . [٤] الدمى : الملامة ، والحض والتهدد . [٥] اللأى : الإبطا ، والاحتباس . [٦] هجج بالأسد : صاح . [٧] الزبرة (كمرصة) هى الشعر الذى تنبع بين كتفى الأسد . [٨] الشيهم : ما عظم شوكة من ذكران القناد ، والحولى : ما أتى عليه حول . [٩] اختلج : جذب وانترع ، والأعجر : السمين ، عجر : كعرج غلظ وسمي وصغم بطنه ، والحوايا : جمع حاوية ، وهى ما تحدى من الأمعاء أى استدار ، والمعنى أنه عظيم البطن . [١٠] الههمة : تردد الرثير فى الصدر ، وكل صوت معه بحج ، والقرقرة : يدير البعير . [١١] البربرة : الجلبة والصياح . [١٢] الجرجرة : صوت يردده البعير فى خنجرته . [١٣] الأطيط : صوت الرجل والإبل إذا أنت نعباً أو خنباً ، وصوت الظهر ، والجرف من الجوع . [١٤] شحص بصره كنع : فتح عينيه وجعل لا يطرف . [١٥] الانخزال والخنزل : مشية فى تناقل . ومتنا الظهر : مكسفا الصلب عن يمينه وشماله . [١٦] فى كتب الحديث الشريف مأثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كله ، وفى نهج البلاغة ، وشرح ابن أبى الحديد عليه وغيرهما كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه فأقرأها هناك .

الْبَغْيُ ، وَالنَّكَتُ ، وَالْمَكْرُ . ذَلَّ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ، لَا يَكُونُ قَوْلُكَ لَعْنًا فِي عَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ . إِذَا قَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَاسْبِقْهُ .
 إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عَيُونًا تَرَكَ . احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبَ لَكَ الْحَيَاةُ . - قَالَ لَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ . أَطْوَعَ النَّاسَ اللَّهُ أَشَدَّهُمْ بَغْضًا لِمَعْصِيَتِهِ . إِنْ اللَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مَا يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ ، إِنْ أَوْلَى النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ تَوَلِيًّا لَهُ . لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ ، فَيَمْرُجَ (١) أَمْرُكَ ، خَيْرُ الْخَصْلَتَيْنِ لَكَ أَنْ بَغَضَهُمَا إِلَيْكَ . صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ .
 وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

« مِنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوَلَاةُ مَنْ شَقِيَّتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ . اتَّقُوا مِنْ تُبْغِضُهُ قُلُوبُكُمْ . أَعْقِلِ النَّاسَ أَعْذَرَهُمْ لِلنَّاسِ . لَا تُؤْجَلْ عَمَلُ يَوْمِكَ لَعْدِكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ . مَا الْحُمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِلْعَقُولِ مِنَ الطَّمَعِ . قَلِمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . مُرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا . نَحْمِضُ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَوَلَّ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا ، وَعَايَنْتَ سُوءَ آثَارِهَا عَلَى أَهْلِهَا ، وَكَيْفَ عَرَى مِنْ كَسَتْ ، وَجَاعَ مِنْ أَطْعَمَتْ ، وَمَاتَ مِنْ أَحْيَتْ . احْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَاطَكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ ، فَوَاللَّهِ لَهِيَ أَخُوفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِجَكَ وَتَخْدَعَكَ . الدُّنْيَا أَمَلٌ مَخْتَرَمٌ وَأَجَلٌ مُتَقَصٌّ ، وَبَلَاغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ، وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ . إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْجُودِ ، مُؤَدِيَةٌ إِلَى السَّقَمِ . رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي ، أَفْلَحَ مِنْ حَفِظَ مِنَ الطَّمَعِ وَالغَضَبِ وَالْهَوَى نَفْسَهُ . »

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) الله بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يفتن وقت سرورك . أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه » .

. ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَّكَا . الحِرْمان خير من الامتنان . مِلَاكُ أمركم الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم ، وحليتم الوفاء . القِرابَةُ تُقَطَّعُ ، والمَعْرُوفُ يُكْفَرُ ، ولم يَرِ كَالْمُودَةِ . لَا تُتَمَارِ سَفِيهَا وَلَا حَلِيمَا ، فَإِنَّ السَّفِيهَ يُؤْذِيكَ ، وَالْحَلِيمَ يَقْلِيكَ ^(٢) ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزىّ بالحسنات ، مأخوذ بالسيئات » .

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« مَا أَلْثَخَانِ عَلَى النَّارِ بِأَدَلٍّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ ، الدُّنْيَا كُلُّهَا غَمُومٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي سُرُورٍ فَهُوَ رَيْحٌ » .

ومن كلام المغيرة بن شعبه :

« إِنْ الْمَعْرِفَةُ لَتَنْفَعُ عِنْدَ الْكَلْبِ الْعَقُورُ ، وَالْجَمْلُ الصَّئُولُ ^(٣) ، فَكَيْفَ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ ! » .

ومن كلام أبي الدرداء :

« السُّودَدُ اصْطِنَاعُ الْعَشِيرَةِ ، وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ ، وَالشَّرَفُ كِفَ الْأَذَى ، وَبَذْلُ النَّدَى ، وَالْغِنَى قِلَّةُ التَّمَنَّى ، وَالْفَقْرُ شَرُّهُ النَّفْسُ »

[١] يكف . [٢] يفضك . [٣] مؤل الجمل : وائب الناس أو صار يقتلهم ويهدو عليهم .

ومن كلام أبي ذرٍّ :

« إن لك في مالك شريكين : الحِذَّان ^(١) والوارث ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون

أخسَّ الشركاءَ حظاً فافعل » . (مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

استدراك ما فات من

العصر الجاهلي

سقط بعض الموضوعات من العصر الجاهلي في أثناء الطبع ، ولم أتنبه لها إلا بعد البدء في طبع عصر صدر الإسلام ، فرأيت إرجاءها إلى آخر الجزء محافظة على انتظام سلسلة الترقيم ، وهامى ذى :

٢٩٧ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة ^(٢) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن

له الفريقان بالطلعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة ^(٣)

وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكّان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن

المجد ، ولكلّ في كلّ حلف ^(٤) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا

[١] حدثان الدهر : نوبه وأحداثه . [٢] خزاعة : حى من الأزد ، سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم (أى تخلفوا عنهم وانقطعوا) في إقبالهم من اليمن ، وذلك أنه لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مارن على ماء بين زبيد وزمع ، وأقبل بنو عمرو بن عامر فانخرعوا عن قومهم فزلوا مكة .

[٣] النضر : الحد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . [٤] الحلف : العهد بين القوم والصدقة ، والصديق يحلف لصاحبه أن لا يعدر به ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

إلى حقوق عشيرة ، وقطع رحيم ، يا بني قصي : أنتم كنصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لا يمان إلا بغيره ، ورامي العشيرة يصيبه سهمة ، ومن أنحكه ^(١) اللجاج أخرجه إلى البغي .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد والجهل سفة ، والأيام دول ، والدهر غير ^(٢) ، والمرء منسوب إلى فعله ، وماخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا المجلس يعمر ناديك ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بكمار الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نهته ^(٣) الجاهل أهون من جريرته ^(٤) ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .
فقلت قريش : « رضينا بك أبا نضلة » ، وهي كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٢٢٢)

٢٩٨ - منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية ^(٥)

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى

[١] أغضبه . [٢] أي ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه الميرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد وجمعه أغيار . [٣] نهته عن الأمر : كفه وزحره . [٤] في الأصل « حزيرته » ، وفي كتب اللغة : « حزرة المال ، وحزيرته : خياره » ولا معنى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « حزيرته » . [٥] وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودي يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فعاط ذلك حرب بن أمية ، وكان نديم عبد المطلب ، فأعزى به قتياباً من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار ، وصهر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أنى بكر رضى الله عنه ، فلم يعرف عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأبى حرباً ولا مـه وطلبهما منه فأخفاهما ، فتناظرا في القول ، حتى تنافرا إلى النجاشي فلم يدخل بينهما ، فجلا بينهما نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب فنذر عبد المطلب عليه ، فترك عبد المطلب مناداة حرب ، ونادم عبد الله بن جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ، فدفعها إلى ابن عم اليهودي ، وارتفع ماله إلا شيئاً هلك ، فعرمه من ماله .

أن ينفر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نُقِيل بن عبد العُزَّى بن رياح ، فقال لحرب :
 « يا أبا عمرو : أتنافر رجلاً هو أطول منك قامَةً ، وأعظم منك هامةً ،
 وأوسم منك وسامةً^(٢) ، وأقل منك ملامةً ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل صفداً^(٣)
 وأطول منك مذوداً^(٤) ، وإني لأقول هذا وإنك لبعيدُ الغضب ، رفيعُ الصوتِ
 في العرب ، جلدُ المريرة^(٥) ، جليل العشيرة ، ولكنك نافرت مُنفراً » .
 فغضب حرب وقال : إن من انتكاس^(٦) الزمان أن جعلت حكماً ..

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٣٩٩ - مقال قيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حُجر الكِنْدِي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل
 بني أسد ، وفيهم قبيصة بن نعيم يسألونه العفو عن دم أبيه^(٧) ، فخرج عليهم في
 قباء وخُفٍّ وعمامة سوداء - وكانت العرب لا تَعْتَمُّ بالسواد إلا في التَّراتِ -
 فلما نظروا إليه قاموا له ، وَبَدَر إليه قبيصة فقال :

« إنك في المحلِّ والقَدَر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تُحْدِثه أيامه ، وتتنقل
 به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ،
 ولك من سُودَد منْصِبِكَ ، وَشَرَف أعْزَاقِكَ^(٨) ، وكرم أصلِكَ في العرب ،
 مُحْتَدٍ^(٩) يحتمل ما حُمِّلَ عليه ، من إقالة العَثَرَةِ ، ورجوعٍ عن الهَفْوَةِ ، ولا تتجاوز

[١] نفره عليه : قضى له عليه بالغبلة . [٢] الوسامة : الحسن والجمال . [٣] الصفد : العطاء .

[٤] المذود : اللسان . [٥] المريرة : الحبل الشديد القتل ، والعزيمة . [٦] أي انقلاب الزمان

من انتكس أي وقع على رأسه ، وفي الطبري : انتكاث بالثاء من انتكاث الحبل وهو انتفاخه .

[٧] وكانت بنو أسد (وهم من الضرية) خاضعة للملك كندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو

امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي

يؤدونها إليه . [٨] الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . [٩] المحتد : الأصل .

الهمم إلى غايةٍ إلا رَجَعْتَ إليك ، فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي ، و صيرة
الفهم ، وَكَرَّمَ الصَّفْحَ ، ما يطول رَغَبَاتِهَا ، ويستغرق طَلِبَاتِهَا ، وقد كَانَ الذي
كَانَ من الخطبِ الجليل ، الذي عَمَّتْ رزيتُهُ نِزَاراً واليمن ، ولم تُخَصَّصْ بذلك
كِندةٌ دوننا ، للشرف البارِع كَانَ لِحُجْرٍ ، التاجُ والعِمَّةُ فوق الجبين الكريم ،
وإخاء الحمد وطيب الشِّيم ، ولو كَانَ يُفْدَى هالك بالانفس الباقية بعهده لما بُخِلَتْ
كرامُنا بها على مثله ، ولكنه مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أُخْرَاهُ على أولاه ، وَلَا
يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث :
إمّا أَنْ اخْتَرْتَ من بنى أَسَدَ أَشْرَفَهَا بَيْتاً ، وأَعْلَاهَا في بناء المَكْرُمَاتِ صَوْتاً ،
فَقُدَّنَاهُ إِلَيْكَ بِنِسْعَةٍ ^(١) ، تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقٍ فَصَرَّتِهِ ^(٢) ،
فنقول : رجل امْتَحَنَ بهالكِ عَزِيزٍ ، فلم يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ ^(٣) إِلَّا تَمَكِّنُهُ من الانتقام ،
أَوْفَدَاءَ بِمَا يَرُوح ^(٤) على بنى أَسَدٍ من نَعَمِهَا ، ذَهَى أُلُوفٍ تَجَاوَزُ الْحِسْبَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ
فِدَاءً رَجَعْتَ بِهِ الْقُضْبُ ^(٥) إِلَى أَجْفَانِهَا ، لم يَرُدِّهَا تَسْلِيْطُ الْإِحْنِ ^(٦) عَلَى الْبِرَاءِ ،
وإِمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلَ ، فَتُسَدِّلَ الْأُزُرَ ، وَتُعَقَّدَ الْخُمُرُ فَوْقَ الرَايَاتِ .
فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

٣٠٠ - رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لَا كُفَّ لِحُجْرٍ في دمٍ ، وَأَنِّي إِنِ اعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا

[١] النسع : سهر عريض تشد به الرحال ، والقطعة منه نسعة . [٢] القصرة : أصل المق .
[٣] السخيمة : الحقد . [٤] يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والعم :
الإبل والشاة أودخس بالإبل ، وهو المراد هنا . [٥] السيوف . [٦] الإحن : جمع إحنة ،
وهى الحقد .

ناقة ، فأكنسب به سبة الأبد ، وفَتَّ العَصْدُ (١) ، وأما النظرة (٢) فقد أوجبتها
الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ
من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقاً ، وفوق الأسنة علقاً (٣) : «

إذا جالت الحرب في مازقٍ تُصافِحُ فيه المنايا النفوسا
أتقيمون أم تنصرفون ؟ »

قالوا : « بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ،
وحرب وبليّة » ثم نهضوا عنه وقبيصة يمثل :

لعلك أن تستوخمَ الورْدَ إن غَدَتِ كَتَابُنَا في مازقِ الحربِ تُمَطِّرُ (٤)
فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذبه ، فرؤيدا ، ينفرج لك دُجَاهَا
عن فرسان كِنْدَةَ وكتائبِ خَمِيرٍ ، ولقد كان ذكرُ غيرِ هذا بي أولى ، إذ كنت
نازلاً برَبْعِي (٥) ، ولكنك قلتَ فأوجبت » فقال قبيصة : « ما يُتَوَقَّعُ فوق
قدر المعاتبة والإعتاب (٦) » فقال امرؤ القيس : « هو ذاك » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢١٦ والأطاني ٨ : ٧٢)

٣٠١ — بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لما قتل جسّاس (٧) بن مُرّة بن ذهل الشّيباني كُليب (٨) بن ربيعة التغلبيّ ،

[١] فته : كسره ، وهو كناية عن الصعف والوهن . [٢] الإمهال . [٣] أي دماً .

[٤] نستوخمه : أي تحمده وخيما . [٥] الريح : المزل .

[٦] أعتبه : أرضاه . [٧] وسبب ذلك أن البسوس بنت تغذ التميمية خالة جسّاس كان لها جار من
جرم يقال له سعد بن شمس ، وكانت له ثقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية ،
في أنف الريح ، فلم يكن يرعاه أحد إلا لابل جسّاس لمصاهرة بينهما — وكانت جليدة بنت مرة أخت جسّاس
تحت كليب — فخرجت سراب في لابل جسّاس ترعى في حمى كليب ، ونظر إليها كليب فأنكرها فرماها بهم
فأصاب ضرعها ، فولت حتى بركت بغاء صاحبها وضرعها يشحب دماً ولبناً ، فلما نظر إليها صرخ بالدل ،
فخرجت البسوس فقربت يدها على رأسها ، ونادت وادلاء وصمها جسّاس فسكتها ، وقال لها : ليقتلن غداً
عن أعظم من ناقة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشبت من أحل ذلك
الحرب (حرب البسوس) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة « وبنو شيبان بطن من بكر » .
[٨] اسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جنم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل

تَشْمَرُ أَخُوهُ مُهْلِيلٌ^(١)، واستعد لحرب بكر، وجمع إليه قومه، فأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان (أبا حساس) وهو في نادى قومه، فقالوا له :

« إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب^(٢) من الإبل ، فقطعتم الرّحِم ، وانتهكتم الحرمة ، وإنا كَرِهْنَا الْعَجَلَةَ عَلَيْكُمْ دُونَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ ، وَنَحْنُ نَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالًا أَرْبَعًا ، لَكُمْ فِيهَا مَخْرَجٌ ، وَإِنَّا فِيهَا مَقْتَنَعٌ ، فَقَالَ مَرَّةٌ : وَمَاهِي ؟ قَالُوا : تُخَيِّبِي لَنَا كَلِيبًا ، أَوْ تَدْفَعِ إِلَيْنَا جَسَاسًا قَاتِلَهُ فَنَقْتُلُهُ بِهِ ، أَوْ هَمَامًا^(٣) فَإِنَّهُ كَفَى لَكَ ، أَوْ تَمَكِّنُنَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنْ فِيكَ وَفَاءٌ مِنْ دَمِهِ ، فَقَالَ : « أُمَّا إِحْيَاثِي كَلِيبًا ، فَهَذَا مَا لَا يَكُونُ ، وَأُمَّا جَسَاسٌ فَإِنَّهُ غَلَامٌ طَعَنَ طَعْنَةً عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ ، فَلَا أَدْرِي أَيُّ الْبِلَادِ احْتَوَى عَلَيْهِ ، وَأُمَّا هَمَامٌ فَإِنَّهُ أَبُو عَشْرَةٍ ، وَأَخُو عَشْرَةٍ ، وَعَمَّ عَشْرَةٍ ، كُلُّهُمْ فُرْسَانُ قَوْمِهِمْ ، فَلَنْ يَسْلَمُوهُ لِي ، فَأَدْفَعُهُ إِلَيْكُمْ يُقْتَلُ بِجَرِيرَةٍ^(٤) غَيْرِهِ ، وَأُمَّا أَنَا فَهَلْ هُوَ إِلَّا أَنْ تَجُولَ الْخَيْلَ جَوْلَةً غَدًا ، فَأَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ يَنْبُهَا ؟ فَمَا تُعَجِّلُ الْمَوْتَ ، وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي خَصْلَتَانِ ، أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهُؤُلَاءِ بَنَى الْبَاقُونَ ، فَعَلَّقُوا فِي عُنُقِ أَيُّهُمْ شَتْمُ نِسْعَةٍ ، فَاذْبَحُوا بِهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ، فَادْبَحُوهُ ذَبْحَ الْجَزُورِ ، وَإِلَّا فَالْفُ نَاقَةُ سُودِ الْحَدَقِ ، حُمْرُ الْوَبَرِ ، أَقِيمْ لَكُمْ بِهَا كَفِيلًا مِنْ بَنِي وَائِلٍ ، فَغَضِبَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : لَقَدْ أَسَأْتَ ، تَبْذُلُ لَنَا وَلَدَكَ ، وَتَسُومُنَا اللَّبَنَ مِنْ دَمِ كَلِيبٍ ؟ وَلَشِبَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ » .

(العقد الفريد ٣ : ٧٨ ، والكمال لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأطاني ٤ : ١٤١)

وإنما لف كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا صار بروضه أو موضع يمحبه ، صر به ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويبعوى ، فلا يسمع هواء أحد إلا أنجبه ولم يقره ، وكان يقال كلب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فعلم عليه . [١] اسمه عدي بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه أزل من هائل الشعر أى أرقه . [٢] الناقة المسنة . [٣] هو همام بن مرة أخو حساس ، وكان ندياً لمهلهل . [٤] الجريرة : الجريمة .

٣٠٢ — ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى نخم ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس بن حُجْر ، أيام كان مقيماً بالجَبَلَيْنِ^(١) ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً ظُلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ^(٢)

[١] الحلان : سلمى وأجأ (كجبل) شرق المدينة ، وهما لطيف ، قال رجل من بني سلامان جاور في طي :

أَلَعْتَ مَسَاكِنَ الْجَبَايِنِ إِنِّي رَأَيْتُ الْعَوْتَ يَأْلَعُهَا الْعَرِيبُ

(والعوث قبيلة من طي) . [٢] قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن حوين فيما زعم السرياني ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :

وَأَلَبْتُ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً مُنَادَتِي وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ »

وقال الميداني في شرح المثل « لا غزو إلا العقيب » — ج ٢ : ص ١٣١ — : « يقال عقب الرجل : وهو أن يعزو مرة ثم ثنى من سبه ، وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار (أبو امرئ القيس) وذاك أن الحارث بن مندلة ملك السأم ، وكان من ملوك سُلَيْجَ من ملوك الضجاعم (سُلَيْجَ كجريح قبيلة باليمن ، والصجاعم كانوا ملوكاً للشأم) وهو الذي ذكره مالك بن جوين الطائي في شعره فقال :

هَذَاكَ لَا أُعْطِي رَئِيساً مُقَادَةً وَلَا مَلِكاً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ

وكان قد أعار على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان بها أهل حجر فوجد القوم حلوقاً ، (الحلوق بالضم : الذين ذهبوا من الحمى ، ومن حفر منهم أيضاً) ووجد حجراً قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهي هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية) ووقع بها بأعْمَها ، وكان آكل المرار شجاعاً كبيراً ، وابن مندلة شاباً جليلاً ، فقالت له : النجا ، الهاء ، فإن وراءك طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً ، فخرج ابن مندلة من ذا إلى الشام (أي مسرعاً) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ، فقال : من أعار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لا غزو إلا العقيب ، فأرسلها مثلاً يعني غروه الأول والثاني .

ثم حدث في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون مدبر ابن مندلة فكن فيه ، وبث سدوس ابن شيبان ، فقال له : اذهب متكرراً إلى القوم حتى تعلم لنا عليهم ، فاطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم رجع إلى حجر فحدثه بحديث امرأته مع ابن مندلة ، فغضب حجر يده على المرار (والمرار كغراب : شجرة

وكان المنذر ضغينا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لساء مثنوى أثويته ربك
وثويك^(١) ، حين حاولت إصبا طمته^(٢) ومخالفته إلى عشيره ، أما والله لو كنت كريما
لأثويته مكرما موقرا ، ولجانبته مسلما ، فقال له : آيت اللعن^(٣) لقد علمت
أبناء أدد^(٤) إني لأعزها جارا ، وأكرمها جوارا ، وأمنعها دارا ، ولقد أقام وافرا ،
وزال شاكرا ، فقال له المنذر : « يا عامر ، وإنك لتخال هضينات أجا ذات
الوبار^(٥) ، وأفنيات سلمى ذات الأغفار^(٦) ، مانعاتك من المجر^(٧) الجرار ،
ذى العدد الكثير^(٨) ، والحصن والمهار^(٩) ، والرماح الجرار^(١٠) ، وكل ماضى
الفرار^(١١) ، بيد كل مسعر كريم النجار^(١٢) ؟ قال عامر : آيت اللعن ، إن بين

مرة إذا أكل منها الإبل تقلصت مشايرها (فأكل منها من الغضب ، فسمته العرب آكل المرار ،
(وقيل : آكل المرار هو أبوه الحارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن منده فقتله ثم قتل هنداً وألشأ يقول :
إن من يأمن النساء بشيء سعد هند لجاهل مغرور
كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب ، حبها خيتور
(والخيتور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويصحل كالسراب ، وكالذي ينزل من الهواء في شدة
الحرك كسج العكبوت) .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني هذه القصة في الأذنى (١٥ : ٨٢) ولكنه روى أن الذى أغار على
حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضحيم بن حمادة بن سعد
ابن سليح الفصامي أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، وكان قد غزا بريعة البحرين فبلغ زيادا غزاه
فأقبل حتى أغار في مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبي امرأة حجر إلى آخر القصة » .

[١] ثوى المكان وبه : نزل ، وأثواه : أضاه ، والمثنوى : المنزل ، والمثنوى : كنى البيت المباله ،
والضيف وهو المراد هنا . [٢] الطلة المعوز ، وصا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة ،
والمراد حاوات رده السالف إليه . [٣] آيت اللعن نحية جاهلية أى آيت أن تأتي ما تمن به .

[٤] هو أدد بن زيد بن يشجب (نضم الجيم) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وبنو أدد : هم مذحج وطى والأشعر .

[٥] الوبار : شجرة حامضة شائكة . [٦] الغر بالتحريك صغار الكلاب .

[٧] المجر : الجيش العظيم . [٨] الكثير . [٩] الحصن : جمع حصان وهو الفرس الذكر
والمهار : جمع مهر وهو ولد الفرس . [١٠] الحرار والأحرار : جمع حر وهو خيار كل شيء .

[١١] الفرار : حدة الرمح والسهم والسيوف . [١٢] يقال هو مسعر حرب أى موقد نارها كأنه
آلة لسعر الحرب أى إيقادها ، والنجار : الأصل .

تلك الهُضَيْبَاتِ وَالرَّعَانِ ^(١) ، والشَّعَابِ وَالْمُصْدَانِ ^(٢) ، لَفْتِيَانَا أَبْطَالَا ، وَكُهُولَا
أَزْوَالَا ^(٣) ، يَضْرِبُونَ الْقَوَانِسَ ^(٤) ، وَيَسْتَنْزِلُونَ الْفَوَارِسَ ، بِالرَّمَاكِ الْمَدَاعِيسِ ^(٥)
لَمْ يَتَّبِعُوا الرَّعَاءَ ^(٦) ، وَلَمْ تُرَشَّحْهُمْ ^(٧) الْإِمَاءُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا عَامِرُ لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ
الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلًا ، كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَعْقَعَةً ^(٨) وَصَلِيلًا ، وَفَقَرَّ
الْمَوْتُ ^(٩) ، وَأَعْجَزَ الْفَوْتُ ، فَتَقَارَشَتِ الرَّمَاكِ ^(١٠) ، وَحَمَى السِّلَاحُ ، لَتَسَاقَى
قَوْمُكَ كَأَسَا لَا صُحُورَ بَعْدَهَا ، فَقَالَ : مَهْلًا أَيْتَ اللَّعْنِ ، إِنْ شَرَّابِنَا وَبَيْلِ ،
وَحَدَّنَا أَلِيلَ ^(١١) ، وَمَعَجَمَنَا صَلِيبَ ^(١٢) ، وَلِقَاءَنَا مَهْيَبَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَامِرُ ، إِنَّهُ
لَقَلِيلٌ بَقَاءُ الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ ^(١٣) عَلَى وَقْعِ الْمَلَاطِيسِ ^(١٤) ، فَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ ،
إِنْ صَفَاتِنَا عِبْرُ الْمَرَادِيسِ ^(١٥) ، فَقَالَ : لَا أُوقِظَنَّ قَوْمَكَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ ، ثُمَّ
لَأَغْقِبَنَّهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً لَا يَهْبُ رَاقِدَهَا ، وَلَا يَسْتَيْقِظُ هَاجِدَهَا ^(١٦) ، فَقَالَ لَهُ

-
- [١] الرَّعَان : جمع رعن (كئس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضاً على رعون .
[٢] الشَّعَاب : بالفتح الجبل وبالكسر الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
بين الجبلين ، المصد (كئس وكتف) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
[٣] أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . [٤] القوانس : جمع قوس بكسر ، والقوس
والقونوس : أعلى بيعة الحديد . [٥] المداعس جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا يثنى .
[٦] الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . [٧] الترشيح : النزية .
[٨] القعقة حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
[٩] أي وفر الموت فاه : أي فتحه . [١٠] تقارشت الرماح تداخلت في الحرب .
[١١] حاد ، وأله تأليلاً حده . [١٢] عجم العود كنصر إذا غصه ليعرف صلابته من خوره
والمعجم اسم مكان منه وصلب أي صلب وهو كناية عن شدتهم ومنعتهم . [١٣] صخرة صرأه : صماء .
[١٤] اللطس : كبير ، واللطاس : المعول الفليط لكسر الحجارة .
[١٥] الصفاة : الحجر الصلب الصخيم ، ويقال نأفه عبر أسفار (بتثنية العين) أي قوية على السفر تشق
مامرت به ، تنقطع الأسفار عليها ، وكذا الرجل الجريء على الأسفار المأوى فيها القوي عليها ، والمردس
والمرداس : شيء صلب عريض تدك به الأرض ، وردسها دكها به ، وردس الحجر بالحجر (كنصر وضرب)
كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحمل ذلك المراديس فلا تنعطم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم .
[١٦] الهجود : النوم .

عاصر: إن البغي أباد عمراً^(١)، وصَرَخَ حُجْرًا^(٢)، وكانا أعزَّ منك سلطانًا، وأعظم شاكًا، وإن لقيتَنَا لم تَلَقْ أنْكَاسًا ولا أُغْسَاسًا^(٣)، فَهَبْشَ وَصَنَائِعَكَ وَصَنَائِعَكَ^(٤)، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَا لَكَ، فَنَحْنُ الْأَلَى قَسَطُوا^(٥) عَلَى الْأَمْلَاكِ قَبْلَكَ، ثُمَّ أَتَى رَاحِلَتَهُ فَرَكَبَهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

تَعْلَمْ (أَيَّتَ اللَّعْنِ) أَنْ قَنَاتَنَا تَزِيدُ عَلَى غَمَزِ الثَّقَافِ تَصَعُّبًا^(٦)
أَتُوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ رُوَيْدُكَ بَرَقًا، لَا أَبَالَكَ، خُلْبًا^(٧)

[١] هو عمرو بن المذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وكان يلقب مضط الحجارة لشدة ملكه، وقوة سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث، وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أن أحداً من العرب يأتي أن يخدم أمه أمي؟ قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التعلبي، فإن أمه ليلى بنت مهمل بن ربيعة، وعمها كليب وائل، وزوجها كلثوم بن عتاب، وابنها عمرو، فسكت مضط الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستيره، ويسأله أن تزور أمه، فقدم عمرو بن كلثوم في درسان من بني تميم، ومعه أمه ليلى، فزل على شاطئ الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته، فمنع لهم طعاماً، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السراشق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السراشق، ولأمه هند قبة في حاب السراشق، ولبى أم عمرو ابن كلثوم معها في القبة، وقد قال مضط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فنحنى خدك عنك، فإذا دنا الطرف فاستدعى ليلى ومريها فتناولت الشيء بعد الشيء، فمطت هند ما أمرها به ابنها، فلما استدعى الطرف، قالت هند لليلى: ناو لي ذلك الطبق. قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فألحت عليها، فقالت ليلى وادلاه يا آل ثعلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، مثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السراشق ولبس هناك سيف غيره فأخذ، ثم ضرب به رأس مضط الحجارة فقتله، وخرج مادي يا آل ثعلب فأنهبوا ماله وخيله، وسبوا النساء، وساروا فلتحقوا بالحيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١: ١٩٧)

[٢] هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره.

[٣] الانكاس: جمع نكس بالكسر وهو الضعيف والأعساس: جمع غس بالصم وهو الضعيف أيضاً.

[٤] هبش: جمع، والوضائع: جمع وضيفة، أنمال القوم وما يأخذه السلطان من الحراج والعشور، والصنائع: جمع صنعة: يقال هو صنعة فلان، وصنيعه إذا اصططه وأدبه وخرجه ورباه، والمعنى: فتجهز للحرب، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال. [٥] أي جاروا.

[٦] الثفاف: مائسوى به الرماح. [٧] هبلته أمه (كفرح) فقدته، والبرق الحلب: المطمع الخلف.

إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَّا وَحَامَتُ رِجَالُ الْعَوْتُ دُونِي تَحْدُبًا^(١)
 أَيَّدْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا^(٢)
 فَإِنْ شَدَّتْ أَنْ تَزْدَارَنَا فَاتٍ تَعْتَرِفُ رَجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرَبًا^(٣)
 وَإِنْكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَشِيفًا وَكَوْكَبًا^(٤)
 وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جَلَادُهُمْ وَمَلَّهَى بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبًا^(٥)
 فَأَغْضِ عَلَى غِيظٍ وَلَا تَرْمِ النِّي تُحْكَمُ فِيكَ الزَّاعِي الْمُحَرَّبًا^(٦)
 (ذيل الأملئ ص ١٧٩)

٣٠٣ — قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كَانَ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ يَفْدُ سَنَةً إِلَى النُّعْمَانِ اللَّخْمِيِّ بِالْعِرَاقِ ، وَسَنَةً إِلَى
 الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْغَسَّانِيِّ بِالشَّامِ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَهُ : يَا بْنَ رِفَاعَةَ ،
 بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَفْضِلُ النُّعْمَانَ^(٨) عَلَى ؟ قَالَ :

[١] خطر الرجل بسيفه ورمحه رفعه مرة ووسعه أخرى ، وجديلة والعوت من طيء ،
 وتحذب به تعلق ، وتحذب عليه تعطف . [٢] الحرج كسبب لوفان من يياض وسواد خرج كفرح فهو
 أخرج ، وطلم أخرج وهو الذي لون سواده أكثر من يياضه كلون الرماد ، والكمة : الدهمة (السواد)
 أو عـبرة مشربة سوادا ، كهت كفرح وكرم فهو أكهت وكاهب . [٣] ازداره : راره (اقتل من
 الريارة) واعترف الشيء عرفه ، وأدال ثوبه إذا أطال ذيله قال كثير :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها فأذاها

والحديد : الدروع ، وشيء معقرب : أي معوج معطوف ، يريد أنها دروع مررودة (الرد والسرود
 بالفتح تداخل حلق الدرع بعضها في بعض) والمعنى تحب أبطالا قد لبسوا الدروع السابعة المزرودة ، وهالك
 معي آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ، والحديد : أي الفرس الحديد السير أي السريع ، والمعقرب
 الشديد الحلق الختمه . وحمار معقرب الحلق أي ملووز مجمع شديد ، فالعنى : تحب أبطالا يجهدون في ميدان
 القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . [٤] الكوكبة : الجملة . [٥] السدير والخورتق :
 قصران بناهما النعمان الأكبر بالحيرة . [٦] الرمح الزاعي : هو الذي إذا مز كان كهوبه يجري
 بعضها في بعض لينه ، والحرب : الحدد .

[٧] كان الماذرة ملوك الحيرة من لحم ، والغساسنة : ملوك الشام من الأزدي . فكلاهما من أصل يعني ،
 وكان بينهما أحماد وأضغان وحروب . [٨] النعمان بن المنذر .

« وكيف أفضله عليك أيتَ اللعن ؟ فوالله أقفأك أحسنُ من وجهه ،
ولأثمك أشرفُ من أيّه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من
يمينه ، ولحزامانك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولثمادك ^(١) أغزر
من غديره ، ولكرسيتك أرفع من سريره ، ولجدولك أنعم من بحوره ، وليومك
أفضل من شهوره ، ولشهرك أمدُّ من حوِّله ، ولحولك خير من حُقبه ^(٢) ، ولزَندك
أورى من زنده ، ولجندك أعزّ من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه
لمن لحم الكثيرى النوك ^(٣) ، فكيف أفضله عليك ^(٤) ؟ » .

(الأمل ١ : ٢٦١ ومروج الذهب ١ : ٢٩٨)

٣٠٤ — قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويؤوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند
علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما
أفضل المال ؟ قال : ما فُضي به الحقوق . (الأمل ٢ : ٩٣)

٣٠٥ — رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :
« أجذبت بلاد مذحج فأرسلوا رُؤادا ^(٥) ، من كل بطنٍ رجلاً ، فبعثت
بنو زُيد رائداً ، وبعثت النّخع رائداً ، وبعثت جُعفيّ رائداً ، فلما رجع الرواد قيل

[١] الثماد : الماء القليل لمادة له . [٢] الحب بالضم وبصوتين : ثمانون — أو أكثر ،
والدهر ، والسنة أيضاً . [٣] النوك بالضم والفتح : الحق . [٤] وذكر السعوى أن هذا
الحديث كان بين حسان بن ثابت الأحمري ، وبين الحرث بن أبي شمر .
[٥] الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلاء .

لرأئد بنى زبيد ما وراءك ؟ قال : رأيت أرضاً مؤشمة ^(١) البقاع ، ناتحة النقع ^(٢) ،
مستحسنة الغيطان ^(٣) ضاحكة القرينان ^(٤) واعدة ^(٥) وأخر بوفائها ، راضية أرضها
عن سمائها . وقيل لرأئد جعنى : ما وراءك ؟ قال : « رأيت أرضاً جمعت السماء ^(٦)
أقطارها ، فأمرعت أصبارها ^(٧) ، ودَيْثَتْ أوعارها ^(٨) ، فبُطنانها غمقة ^(٩) ،
وظهرانها غدقة ^(١٠) ، ورياضها مستوسقة ^(١١) ، ورقاقها رائخ ^(١٢) ، وواطئها
سائخ ^(١٣) ، وماشيتها ^(١٤) مسرور ، ومضرمها ^(١٥) محسور » . وقيل للنخعي
ما وراءك ؟ فقال : « مداحي ^(١٦) سيل ، وزهاء ^(١٧) ليل ، وغيل ^(١٨) يواصي غيلاً ،
قد ارتوت أجرازها ^(١٩) ، ودمت عزازها ^(٢٠) ، والتبت أقوازها ^(٢١) ، فرأئدها

- [١] أوشمت الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق) .
[٢] النقع : جمع نقع (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، وناتحة : أى
راشحة ، من الشح وهو خروج العرق من الجلد .
[٣] الغوط ، والعيط ، والعاط ، والعائط المطنن الواسع من الأرض وجهه عرط (باضم) وأعواط
وغيطان ، وغياط ، واستحسنت البت : أى غطى الأرض أو كاد يعطيها . [٤] القرينان : مجارى الماء
من الربو إلى الرباس جمع قرى كعمى . [٥] أى تبدت تمام نباتها وخيرها ، وأخر : أحلى .
[٦] السماء هما المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال البت ، فصار المطر كأنه قد جمع أكفاه .
[٧] مرع الوادى مثلث الرء مراعة وأمرع : أعشب وأحصب فهو مريع وممرع ، وأصبارها : نواحيها
جمع صبر بالكسر والضم . [٨] ديثت : ليت . [٩] البطان : جمع بط ، وهو العارض من
الأرض أى المطنن منها ، وغمقة : ندية . [١٠] الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيراً ، وغدقة :
كثيرة البلل والماء . [١١] منتظمة . [١٢] الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورائخ : مفرط
اللين ، يقال : ربحت العجين إذا كثرت ماءه ، وراخ العجين يريخ . [١٣] أى تسوخ رجلاه فى الأرض
من لينها ، وتسوخ وتسوخ واحد . [١٤] الماشى : صاحب الماشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت
ماشيته . [١٥] المصرم : الفقير المقل . [١٦] مداحى : جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها
ويدحها دحوا : أى بسطها . [١٧] أى الزهاء الشخص وإنما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته .
[١٨] الغيل : الماء الجارى على وجه الأرض ، ويواصى : يواصل . [١٩] الأجراز : جمع جرز
(بصتين) وهى التى لم يصبها المطر ، أو التى قد أكل نباتها ، أو التى لا تنبت . [٢٠] دمت : لين
(وروى دمت كفرح) ودمت لان ، والعزاز : الأرض الصلبة . [٢١] الأموار : جمع قوز
(كشمس) وهو المستدير من الرمل .

أَتَقِ (١) وَرَاعِيهَا سَتَقِ (٢) فَلَا قَضَضَ (٣) وَلَا رَمَضَ ، عَازِبُهَا (٤) لَا يُفْزَعُ ،
وَوَارِدُهَا لَا يُنْكَعُ (٥) ، فَاخْتَارُوا مَرَادَ (٦) النَّخَعِ . (الأمالي ١ : ١٨٣)

٣٠٦ — إحدى ملكات اليمن وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بسباً (٧) ، فأتاها قوم يخطبونها ، فقالت : ليصف
كل رجل منكم نفسه ، وَلِيَصْدُقَ وَلِيُوجِزَ ، لِأَتَقَدَّمَ إِنْ تَقَدَّمْتُ ، أَوْ أَدَعَ إِنْ
تَرَكْتُ ، عَلَى عِلْمٍ ، فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالَ لَهُ مُدْرِكُ ، فَقَالَ : « إِنْ أَبِي كَانَ فِي
الْعِزِّ الْبَازِخِ (٨) ، وَالْحَسَبِ الشَّامِخِ ، وَأَنَا شَرِسُ الْخَلِيقَةِ ، غَيْرِ رَعْدِيدٍ (٩) عِنْدَ
الْحَقِيقَةِ » قَالَتْ : لَا عِتَابَ عَلَى الْجَنْدَلِ فَأَرْسَلْتُهَا مِثْلًا (١٠) ، ثُمَّ تَكَلَّمَ آخَرُ مِنْهُمْ
وَيُقَالُ لَهُ ضَبِيسُ بْنُ شَرِمٍ فَقَالَ : « أَنَا فِي مَالٍ أَثِيثٌ (١١) ، وَخَلْقٍ غَيْرِ خَيْثٍ ،
وَحَسَبٍ غَيْرِ عَيْثٍ (١٢) ، أَحْذُوا النِّعْلَ بِالنِّعْلِ ، وَأَجْزِ الْقَرْضَ (١٣) بِالْقَرْضِ »
فَقَالَتْ : لَا يَسْرُكُ غَائِبًا مَنْ لَا يَسْرُكُ شَاهِدًا ، فَأَرْسَلْتُهَا مِثْلًا . ثُمَّ تَكَلَّمَ آخَرُ
مِنْهُمْ ، يَقَالُ لَهُ شَمَّاسُ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : « أَنَا شَمَّاسُ بْنُ عَبَّاسٍ ، مَعْرُوفٌ بِالنَّدَى
وَالْبَاسِ ، حَسَنُ الْخَلْقِ فِي سَجِيَّةٍ ، وَالْعَدْلُ فِي قَضِيَّةٍ ، مَالِي غَيْرُ مَحْظُورٍ عَلَى الْقُلِّ
وَالْكُثْرِ ، وَبَابِي غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ » قَالَتْ : الْخَيْرُ مَتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ

[١] أَيْ مَعْجَبٌ بِالْمَرْعَى . [٢] مِنْ سَتَقَ كَمَرْحَ أَيْ شَمِّ وَانْخَمَ ، وَرَاعِيهَا : الَّذِي يَرْعَاهَا .
[٣] الْقَضَضُ : الْحَصَى الصَّغِيرُ ، يُرِيدُ أَنَّ الْبَاتَ قَدْ غَطَى الْأَرْضَ فَلَا تَرَى هُنَاكَ قِصَصًا ، وَالرَّمَضُ : أَنْ
يَحْمِيَ الْحَصَى وَالْحِمَارَةَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ ، يَقُولُ : لَيْسَ هُنَاكَ رَمَضٌ لِأَنَّ السَّاتَ قَدْ غَطَى الْأَرْضَ .
[٤] الْعَازِبُ : الَّذِي يَعْزِبُ بِأَبْلِهِ أَيْ يَبْعُدُ بَابًا فِي الْمَوْعَى . [٥] أَيْ لَا يَمْنَعُ . [٦] أَيْ مَرْعَى .
[٧] سَبًّا : بَلَدٌ بِالْيَمَنِ . [٨] الْعَالِي . [٩] الرَّعْدِيدُ : الْجَبَانُ . [١٠] هَالِ الْمُبْدَأِ :
« بِضَرْبٍ فِي الْأَمْرِ الَّذِي إِذَا وَقَعَ لَمْ يَرُدَّ لَهُ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو » . [١١] كَثِيرٌ : عَظِيمٌ .
[١٢] لَمْ أَجِدْ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ وَصْفًا مِنْ مَادَّةِ عَثَ عَلَى مَعِيلٍ ، وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهَا « رَحَلُ عَثَ بِمَنْعِ الدِّينِ أَوْ
ضَيْلِ الْجِسْمِ » وَسِيَاقُ الْفَوَاصِلِ يَرْجِحُ أَنَّ الْوَصْفَ الَّذِي هُنَا مَعِيلٌ ، وَأَرَى أَنَّ مَعْنَاهُ « شَيْءٌ مَعْيَبٌ مِنْ عَشَةِ
الْعَثَةِ الصَّوْفِ إِذَا أُسْكِنَتْهُ فَهُوَ نَشِيتٌ بِمَعْنَى مَشْرُوثٌ » . [١٣] الْقَرْضُ : الْقَطْعُ .

فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضيفس ، لن يستقيم معكما معاشره لعشير حتى يكون فيكما لين عريكة ^(١) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلت مني محل الأهنع ^(٢) من الكنانة ، والواسطة ^(٣) من القلادة ، لدمانة ^(٤) خلقتك ، وكرم طباعك ، ثم اسع بجدي أودع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماسا .
(جمع الأمثال ٢ : ١١٨)

٣٠٧ — خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته صمرة فقال :
« يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدى ، وأرحم ولدى عندي ، منعك ، أو بعثك ، النكاح خير من الأئمة ^(٥) ، والحسيب كفاء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ، أنصح ابنا ، وأودع ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :
« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، على غير رغبة عنكم ، ولكن من خطأ له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه حصيدٌ سواء ، ولولا قسم الحظوظ على قدر الجدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذى أرسل الحيا ^(٦) ، أنبت المرعى ، ثم قسمه أكلاً ^(٧) ، لكل فم بقلة ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذى قلب واع ^(٨) ،

[١] العريكة : الطبعة ورجل ابن العريكة : أى سلس الحلق . [٢] الأهنع آخر سهم فى الكنانة رديئاً كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوها ، والراد هنا الثانى .
[٣] واسطة القند : الجوهرة الفاخرة التى تجعل وسطه . [٤] الدمانة : السهولة .
[٥] الأباى : الدين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما ، أيم تكيد سواء كان تزوج من قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرة كانت أو ثيباً ، وقد آمت تيم أيماً وأيمه وأبوماً ، وفى الحديث : « أنه كان يتعوذ من الأئمة » . [٦] الحيا : المطر . [٧] الأكل : ما يؤكل والرزق .
[٨] حافظ .

ولكل شيء راعٍ ، ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسٌ وإما أحمقٌ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسنه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائئاً إلا داعياً ، ولا غانماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُمَيِّتُ الناسَ الدَّاءَ ، لأحييهم الدواءَ ، فهل لكم في العلم العليم ؟ قيل ماهو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسموات ، فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيُلمُّها ^(١) نصيحة لو كان من يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والعقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

٣٠٨ - وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وَكَانَ عامر بن الظرب العدواني سيدَ قومه ، فلما كبر وخشى عليه قومه أن يموت ، اجتمعوا إليه ، وقالوا : إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا ، فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بمدك ، فقال :

« يا معشر عدوان : كلّفتوني بنياً ، إن كنتم شرّفتوني فإنني أريثكم ذلك من نفسي ، فأنتي لكم مثلي ؟ افهموا ما أقول لكم ، إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، وكان الباطلُ أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق .

يا معشر عدوان : لَا تَشْمَتُوا بِالذَّلَّةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِالْعِزَّةِ ، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغنى ، ومن يَرَّ يوماً يُرَّ به ^(٢) ، وأعدوا لكل امرئ جوابه ، إن مع

[١] يقال للمستجد ويده : أي ويل لأمه ، كقولهم : لآب لك يريدون لا أب لك دركوه وجعلوه

كالقيد الواحد . [٢] أي من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال وفيها ذمامة ^(١) ، ولليد العليا ^(٢) العاقبة والقود ^(٣) راحة ، لا لك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن لك ، وللكثرة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه . (مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٣٠٩ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دُوَيْدَ ^(١) بن زيد الوفاة قال لبنيه :
« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبزة ، ولا ثقيلوم عبزة ^(٥) ، قصروا الأعنة ، وطولوا الأسنة ، واطعنوا شزراً ^(٦) ، واضربوا هبراً ^(٧) ، وإذا أردتم المحاجة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجد ^(٨) لا بالكد ، التجلد ولا التبلد ، والمنية ولا الدنية ، ولا تأسوا على فائت وإن عز فقده ، ولا تحنوا إلى ظالعن وإن ألف قربه ، ولا تطمعوا فتطمعوا ، ولا تهنوا فتخرعوا ^(٩) ، ولا يكونن لكم المثل السوء » إن الموصين بنو سهوان ^(١٠) ، إذا ميت فأرحبوا ^(١١)

- [١] الذممة : العهد ، والكفالة ، والحق ، والحرمة . [٢] اليد العليا : المعطية ، والسفلى : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، وهو حث على الصدقة . [٣] القود : القصاص . [٤] هو دويد بن زيد بن نهد الحميري ، وكان من المعمرين . قيل عاش أربعاً وستاً وحمدين سنة ، (قالوا : ولا يد الرب معبراً إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً) . [٥] أقال الله عبثته : رده من سقوطه . [٦] الطعن في الجواب عيباً وشمالاً . [٧] هبر اللحم : قطعه قطعاً كبيراً ، والهبرة (بالفتح) القطعة المجمعة منه وضرب هبر وهير هابر : أى يقطع اللحم . [٨] الطبع محركة : الدنس . [٩] الوهن : الضعف ، والحراة : (كنباهة) الدين والرخاوة خرع : ككرم ، وخرع كفرح ضعف ، فهو خرع ، وخريج ، وانكسر . [١٠] قال الميداني في مجمع الأمثال « ١ : ٦ » : « هذا مثل تحبط في تفسيره كثير من الناس ، قال بعضهم : إنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل ، فأما أنت فقير يحتاج إليها لأنت لا تسهو ، وقال بعضهم : يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون بالشئ يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ، يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان : السهو ، ويجوز أن يكون صفة أى بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى ، يقال رجل سهوان وساه ، أى إن الذين يوصون لابد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » . [١١] أرحبه : وسعه .

خَطَّ مَضْجَعِي ، وَلَا تَضِنُّوا عَلَيَّ بِرُحْبٍ ^(١) الْأَرْضِ ، وَمَا ذَلِكَ بِمُؤَدٍّ إِلَيَّ رَوْحًا ^(٢) ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ نَفْسٍ خَافَتْهَا الْإِشْفَاقُ » .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ فِي حَدِيثٍ آخِرٍ أَنَّهُ قَالَ :

الْيَوْمَ يُبْنَى لِذُوَيْدٍ بَيْتُهُ يَارُبَّ نَهَبٍ صَالِحِ حَوَيْتُهُ
وَرَبِّ قِرْنٍ بَطْلٍ أَرْدَيْتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ ^(٣)
وَمِعْصَمٍ مَخْضَبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ ^(٤)
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ١ : ١٧١)

٣١٠ — وَصِيَّةُ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ

وَأَوْصَى زُهَيْرُ بْنُ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ ^(٥) بَنِيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِيَّ : قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَبَلَغَتْ حَرَسًا ^(٦) مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكُمْتِي
التَّجَارِبَ ، وَالْأُمُورَ تَجَرِبَةً وَاخْتِبَارًا ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعَوِّهِ ، إِيَّاكُمْ وَالْخَوَارِ
عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَاكُلَ عِنْدَ النَّوَائِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلْغَمِّ ، وَشِمَاتَةٌ لِلْعَدُوِّ ،
وَسُوءُ ظَنٍّ بِالرَّبِّ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مَغْتَرِّينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، وَمِنْهَا
سَاخِرِينَ ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا ، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي
الدُّنْيَا غَرَضٌ ^(٧) تَعَاوَرُهُ الرُّمَاتُ ، فَتَقْصُرُ دُونَهُ ، وَمَجَاوِزُ لِمَوْضِعِهِ ، وَوَاقِعٌ عَنِ يَمِينِهِ
وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ لَا يَبْدُو أَنَّهُ مَصِيبُهُ » .

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ١ : ١٧٣)

[١] الرَّحْبُ : بِالضَّمِّ مَصْدَرٌ ، وَبِالْفَتْحِ وَصْفٌ . [٢] أَيْ رَاحَةٌ ، أَوْ هُوَ بِالضَّمِّ أَيْ وَمَا ذَاكَ
بِمَرْجَعٍ إِلَى رَوْحِي . [٣] الْبَيْلُ : السَّاعِدُ الْيَمَانِ الْمَمْتَلِيُّ . [٤] الْمَعْصَمُ : مَوْصِعُ السَّوَارِ أَوْ الْيَدِ ،
وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . [٥] هُوَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابِ بْنِ هَاشِمِ الْكَلْبِيِّ ، قَبْلَ عَاشِ مَائَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَقَبْلَ
مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَقَبْلَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَذَلِكَ يَدْعِي الْكَاهِنُ لَصَحَّةِ رَأْيِهِ . [٦] الْحَرَسُ مِنَ الدَّهْرِ :
الطَّوِيلُ ، وَحَرَسٌ : كَسَبَ عَاشَ زَمَانًا طَوِيلًا . [٧] الْغَرَضُ : الْمَقْدَفُ ، وَتَعَاوَرُهُ (تَتَعَاوَرُهُ)
أَيْ تَتَدَاوَلُهُ .

٣١١ - وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ : سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيهِ ، وَيُحْمِلُهُمْ عَلَى آدَبِهِ ، أَمَّا ابْنُهُ سَعْدٌ فَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَقْتَهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَقِرَّ عَنْ قِرْنٍ ؛ وَأَمَّا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ فِي شَرْفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَّا سَاعِدَةٌ فَكَانَتْ صَاحِبَةً شَرَابٍ وَنَدَائِيٍّ وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُو ، وَالْأَثَرَ يَعْفُو ^(١) ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِرُّ ، وَبَطْلَهَا يَنْخَطِرُ ، وَبَحْرَهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يُنْصَرُّ ، وَجَبَانَهَا يَجْهَرُ ، فَأَقْلِلِ الْمُسْكْتَ وَالْإِنْتَظَارَ ، فَإِنْ الْفِرَارَ غَيْرَ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ نَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ هُمْ ^(٢) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيِّدَ رِمَاحِهَا ، وَنَظِيحَ نِطَاحِهَا .
وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ جَوَادًا : « يَا بُنَيَّ لَا يَبْخُلُ الْجَوَادُ ، فَاذْهَبْ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ^(٣) ، وَأَقْلِلِ التَّلَاحَ ^(٤) ، تَذَكَّرْ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْلُؤْ ^(٥) إِخْوَانَكَ ، فَإِنْ وَفِيهِمْ قَلِيلٌ ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مُحْتِمِلِهِ » .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَاعِدَةٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تُفْسِدَ الْقَلْبَ ، وَتَقْلَلِ الْكَسْبَ ، وَتُجِدَّ اللَّعِبَ ^(٦) ، فَأَبْصُرْ نَدِيمَكَ ، وَاحْمِرْ حَرِيمَكَ ، وَأَعِزَّ غَرِيمَكَ ^(٧) وَاعْلَمْ أَنَّ الظُّمَأَ الْقَامِحَ ^(٨) ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنْ فِيهِ بَلَاغًا » .
(مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ١ : ٤٨)

[١] عفا الأثر : درس واهى . [٢] أى طلاب النار . [٣] الطارف والطارف : المال المستحدث ، والتالذ ، والليد ، واللاد ، والتلذ : المال القديم الأصلي الذى ولد عندك .
[٤] التلاحى : التنازع ، ولاجاه ملاحاة ولحاء فارعه . [٥] اخبر . [٦] أى تجعله جدياً ، والجد (بالكسر) ضد الهزل . [٧] الريم : المدين (وهو الدائن أيضاً) . [٨] معناه العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وقح المير قوحاً : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح ، وفتح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديداً .

٣١٢ - وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاء قيس بن زهير العبسي^(١) بعد يوم الهبأة النمر بن قاسط ، وتزوج منهم ، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :
« يا معشر النمر : إن لكم عليّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمركم بخصال ،
وأنهاكم عن خصال ، عليكم بالأناة ، فإن بها تدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ،
وتسويد من لا تعاون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء
من يريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من يريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة
الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال .
وأنهاكم عن الغدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرّهان ، فإنني به تكّلت مالكا
أخي ، وعن البغي ، فإنه قتل زهيراً أبي^(٢) ، وعن الإعطاء في الفضول ، فتعجزوا

[١] هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهس هو وحذيفة بن بدر سيد بني ديان على فرسيهما داحس (فرس قيس) والغبراء (فرس حذيفة) - وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء فرس قيس ، والخطار والخفاء فرس حذيفة - وتواصما الرهان على مائة بعير ، ثم قادواهما إلى رأس الميدان ، وفي طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حمل بن بدر في ذلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية ، فأرسلوهما فأحصرا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه مردوه عنها ، وعلم قيس بذلك ، ومث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس يطلب منه حق السبق ، فقال قيس كلا لأمطلك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلط له ، وكان إلى جنب قيس رمح قطعته به فدق صلبه ، واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول ، وأخذوا حذيفة دفعا للشر ، ثم إن قومه ندموه فعاد الشر بينهم ، وقامت الفتى بين الحيين ، وعدا حذيفة على مالك بن زهير أخى قيس فقتله ، وكان الريح بن زياد عمهما معتزل الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ديان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعطىها يوم الهبأة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان ، وحلاديات القتلى ثلاثة آلاف سير .

[٢] وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤتى الإتاوة زهير ابن جذيمة - ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد - فأنت مجبوز من هوازن إلى زهير بسمن في نحي (النحي كحل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه ، وشكبت السنين اللواتي تنابن على الناس ، فدأته فلم يرض طعمه ، فدعها أي دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها ، فنضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان ومصدرها من الفيض ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة يثاروا إليه فقاتلوه حتى قتلوه .

عن الحقوق ، وعن السَّرَفِ في الدماء ، فإن يوم الهَبَاءِ ^(١) ألزمنى العار ، ومنع
الحُرْمَ إلامن الأَكْفَاءِ ، فإن لم تصيبوا لهنَّ الأَكْفَاءَ ، فإن خيرَ منا كهنَّ القبور ،
(أو خير منازلها) ، واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا
أخى ، وظلمتهم بأن قتل من لا ذنب له .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح البيون ص ٩٠)

٣١٣ - نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبسي قد اشترى من مكة درعاً حسنةً ، تسمى ذات
الفضول ، ووردَ بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عبس ،
فأخذها منه غصباً ، فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها : دعنى أناظر جدى ، فإن
صلح الأمر بينكما ، وإلا كنتُ من وراء رأيك ، فأذن لها ، فأتت
الربيع فقالت :

« إذا كان قيسُ أبى ، فإنك يا ربيعُ جدى ، وما يجب له من حق الأبوَّةِ
علىَّ ، إلا كالذى يجب عليك من حق البنوَّةِ لى ، والرأى الصحيحُ تبعته العِنايةُ ،
وتجملُ عن تحضيه النصيحةُ ، إنك قد ظلمتَ قيساً بأخذ درعه ، وأجدُ مكافأته
إياك سوءَ عزمه ، والمعارضُ منتصرٌ ، والبادى أظلم ، وليس قيسٌ يَمُنُّ يُخَوِّفُ
بالوعيد ، ولا يَرُدُّعه التهديدُ ، فلا تركنْ إلى منابذته ، فالحزمُ فى متاركتِهِ ،

[١] وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلاً مع أصحابها فى جفر الهباءة ، فانبهم قيس ومن معه حتى أدركهم
فيه ، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ علامين من بنى عبس ، فقتلها ، وهما
يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا) فشد قيس والربيع ومن معهما عليهم ، وهم ينادون ليكم ليكم ، يمسى أنهم
يجيبون نداء الصبية لما قتلوا ينادون يا أبتاه ، مناشدوهم الله والرحم ، فلم يفلحوا منهم ، وقتلوا حذيفة وحملوا
أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وحملوه فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ، وأسرف قيس فى النكابة
والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار ، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثى حل بن بدر ، وهو
أول من رثى مقتوله .

والحربُ مَثَلْفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ والتَّلَادِ ، والسَّلْمُ أَرْخَى للبال ، وَأَبْقَى
لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : لَقَدْ صَدَعْتُ بِحُكْمٍ ، وَمَا يَدْفَعُ قَوْلِي إِلَّا غَيْرُ
ذِي فَهْمٍ » ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فَرَأَى أَبِي رَأَى الْبَخِيلِ بِمَالِهِ وَشَيْمَةُ جَدِّي شَيْمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِي

(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٣١٤ — وصية حصن بن حذيفة لبنيه

وَأَوْصَى حِصْنُ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ بَنِي بَدْرِ فَقَالَ :

« اسْمَعُوا مِنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : لَا يَتَّكِلَنَّ آخِرُكُمْ عَلَى أَوَّلِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُدْرِكُ
الْآخِرُ مَا أَدْرَكَ الْأَوَّلُ ، وَأَنْكِحُوا الْكُفَّ الْغَرِيبَ ، فَإِنَّهُ عِزٌّ حَادِثٌ ، وَإِذَا
حَضَرَكُمْ أَمْرَانِ ، فَخُذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ مَوْزِدٍ مَغْرُوفٌ ، وَاصْبَحُوا
قَوْمَكُمْ بِأَجَلِ أَخْلَاقِكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنْ اخْتَلَفَ يُزْرَى بِالرَّئِيسِ
الْمَطَاعِ ، وَإِذَا حَدِثْتُمْ فَأَرْبَعُوا ^(٢) ، ثُمَّ قُولُوا الصَّدَقَ ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ ،
وَصُونُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهَا حُصُونُ الرِّجَالِ ، وَأَطِيلُوا الرِّمَاحَ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ، وَأَعِزُّوا
الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ، فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَغْزُوا إِلَّا بِالْعِيُونِ ^(٣) ،
وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمَنُوا الصَّبَاحَ ^(٤) ، وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ الْمَالِ ، وَأَعْجِلُوا
الضَّيْفَ بِالْقَرَى ^(٥) ، فَإِنْ خَيْرُهُ أَعْجَلُهُ ، وَاتَّقُوا فُضِيحَاتِ الْبَغْيِ ، وَفَلَتَاتِ الْمِزَاحِ ،

[١] الصدر : الرجوع . [٢] ربع : كنع انتظر ونحبس ، وربع الخيل : قتله من أربع طاقات ،
والعنى إذا حدثتم فتأنوا وتمهلوا ، أو فأحكموا القول . [٣] العيون : جمع عين وهي خيار كل شيء .
[٤] الصبايح الغارة : أي ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة .
[٥] قرى الضيف يغريه قرى : أحسن اليه ، والقرى أيضاً ما قرى به الضيف .

ولا تُجِيرُوا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم .

(أمالي السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

٣١٥ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جمالاً أمَّ إياس بنت عوف بن محم الشيباني، وكما لها وَقُوَّةٌ عقلها ، أراد أن يتزوجها ، فدعا امرأة من كندة ، يقال لها عِصَامُ ، ذات عقل ولسان، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فمضت حتى انتهت إلى أمها أُمَامَةَ بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدِمَتْ له ، فأرسلت أُمَامَةَ إلى ابنتها وقالت : أَي بُنْيَّةُ ، هذه خالتك أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تَسْتُرِي عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجهه وخلق ، وناطقها فيما استنطقتك فيه ، فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم ترَ عَيْنُهَا مثله قَطُّ بهجةً وحسناً وجمالاً ، فإذا هي أكمل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهي تقول : (تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أقبلت إلى الحارث فقَالَ لها : (ما وراءك يا عِصَامُ) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : (صَرَخَ الْمَخْضُ عَنْ الزُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جَنَّةً كالمرآة الصَّقِيلَةِ ، يَزِينُهَا شَعْرُ حَالِكٍ ، كأذئاب الخيل المصفورة ^(٢) ، إن أرسلته خِلَّتْهُ السلاسل ، وإن مشطته قلتَ عنا قيدُ كَرَمٍ جَلَاهَا الْوَابِلُ ^(٣) ، وحاجبين كأنهما خُطاً بِقَلَمٍ ، أوسودا بِحُمَمٍ ^(٤) قد تقوسا على

[١] مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصرع : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين

[٢] في الأصل « المصفورة » وهو تحريف وصوابه « المصفورة » . [٣] المطر الشديد الضخم

القطر . [٤] الحمم : الفجم .

عيني الظبية العَهرَة^(١) ، التي لم يرُ عنها قانص ، ولم يُذعرها قسورة^(٢) ، بينهما
أنف كحدّ السيف المصقول^(٣) ، لم يخنس^(٤) به قصّر ، ولم يخنس^(٥) به طول ،
حفّت به وجنتان كالأرجوان^(٦) ، في يياضٍ مخضٍ كالجمان^(٧) ، شقّ فيه فم
كالخاتم ، لذيد المبتسم ، فيه ثنّايا غرّ ، ذوات أشير^(٨) ، وأسنانٌ تبدو كاللثور ،
وريقٌ كالخر له نشرُ الرّوضِ بالسّحر ، يتقلب فيه لسانٌ ، ذو فصاحة ويان ،
يحرّكه عقلٌ وافر ، وجواب حاضر ، تلتقي دونه شفتان حراوان كالورد ، يجلبان
ريقاً كالشهد ، تحت ذلك عنق كإبريق الفضة ، رُكب في صدر كصدر تمثال
دُمينة^(٩) ، يتصل بها عضدان ممتلئان لحماً ، مكتنزان^(١٠) شحماً ، وذراطان
ليس فيهما عظمٌ يُحسّ ، ولا عِرْقٌ يُحسّ ، رُكبت فيهما كفّان ، دقيقٌ
قصبهما ، لينٌ عصبهما ، تُعقد إن شئت منهما الأنامل ، وترُكب الفصوص في
حُفر المفاصل ، وقد تربّع في صدرها حُقان ، كأنهما رُمّانان ، يخرقان عليها ثيابها ،
تحت ذلك بطنٌ طوى كطى القباطي^(١١) المذمجة ، كسبي عكنا^(١٢)
كالقراطيس المذرجة^(١٣) تحيط تلك العُكنُ بسرة كمدّهني^(١٤) العاج المجلّو ،
خلف ذلك ظهرٌ كالجدول ، ينتهي إلى خصرٍ ، لولا رحمة الله لآبتر ، تحته كفل^(١٥)

[١] العهرة والعهر : الرقعة البشرة الناصعة البياض ، والسمنية المتلثة الجسم .

[٢] القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور .

[٣] في جمع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل المجرب . [٤] خنس عنه كفرب وكرم : تأخر « والخنس : محركة تأخر الألف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، خنس كفرح فهو أخنس وهي خنساء » . [٥] وفي جمهرة الأمثال « ولم يعن » . [٦] الأرجوان : صنف أحمر .

[٧] الجمان : الوزؤ ، أو عنوات أشكال الوزؤ من فضة . [٨] أشير الأسنان : التعزير الذي فيها .

[٩] الدمية : الصورة المنقشة من الرخام أو طام . [١٠] اكتنز : اجتمع وامتلا .

[١١] القباطي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقاطي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قطبية

(بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر .

[١٢] البكن : جمع عكنة (كفرصة) وهي ما الطوى وتثنى من لحم البطن ممنا . [١٣] الطوية .

[١٤] المدمن : قارورة المدمن . [١٥] عجز .

يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ، وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصُ^(١) رَمْلٍ ، لِبَدُهُ سَقُوطُ
الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ خِذَانُ لَفَاوَانٍ^(٢) ، كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجَمَانِ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانِ ، خَذَلْتَانِ^(٣)
كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتَا بَشَرِ أَسُودَ ، كَأَنَّهُ حَلَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذْوِ
اللِّسَانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ ، مَعَ صَفَرِهَا كَيْفَ تَطِيقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سِوَى
ذَلِكَ . فَتَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ بِنَظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلُ
الْمَلِكَ إِلَى أَبِيهَا نَخْطِبُهَا ، فَرُوجُهُ إِيَّاهَا^(٤) .

(المقفد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجمهرة الأشكال ٢ : ٢٧)

٣١٦ - وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فلما حُمِلَتْ إِلَى زَوْجِهَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا أَمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ .

« أَيْ بَنِيَّةُ : إِنْ الْوَصِيَّةُ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لَذَلِكَ مِنْكَ ،
وَلَكِنِّي تَذَكُّرَةٌ لِلْغَافِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَأَةً اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ
لِغَنَى أَبَوَيْهَا ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنِي النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنِ النِّسَاءُ
لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلِهِنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ :

أَيْ بَنِيَّةُ : إِنَّكَ فَارَقْتِ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ ، وَخَلَفْتَ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ
دَرَجْتَ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأَلَفِيهِ ، فَأَصْبِحِي بِمِلْكِكَ^(٥) عَلَيْكَ رَقِيبًا
وَمِلِكًا ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا^(٦) . يَا بَنِيَّةُ : احْمِلِي عَنِّي عَشْرَ

[١] الدعص : الكتيب من الرمل المجتمع . [٢] اللفاء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .

[٣] ساق خذلة : ممتلئة ضخمة (والخذلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي المقفد : « خذلتان »
(بفتح الحاء والذال وتشديد اللام) والخذلة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .

[٤] في مجمع الأمثال وجمهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا
هو حد امري القيس ، وذكر صاحب المقفد أن القيس تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنهما ولدت له الحارث
ابن عمرو جد امري القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث
فقال لها ما وراءك يا عصام ؟ . الخ » . [٥] أملكها إياها : زوجه ، فملكها ملكاً مثلك الميم .

[٦] الوشيك : السريع ، أي يكن عبداً سريع الإجابة .

خصال تكن لك ذخراً وذكرًا ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يثم منك إلا أطيّب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيّب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنقيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيتة وماله ، والإرعاء على نفسه وخشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشى له سرًا ، ولا تعصى له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سرّه ، لم تأمن غدره ، وإن عصيت أمره ، أو غرت صدره ، ثم اتقى ذلك الفرح إن كان ثرحا ، والا ككتاب عنده إن كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكفى أشد ما تكونين له إعظاما ، يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مُرافقة ، واعلم أنك لا تصلين إلى ما تحين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله ينجيكم .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والعقد البريد ٣ : ٢٢٣)

٣١٧ - لبيد بن ربيعة يصف بقلة

وفد على النعمان بن المنذر عامر بن مالك ملاعب الأسنة في رهط من بني جعفر بن كلاب ، فيهم لبيد بن ربيعة ، فطمع فيهم الربيع بن زياد العبسي ، وذكر معايبهم - وكان نديما للنعمان ، وكانت بنو جعفر لهم أعداء - فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوما ، فرأوا منه جفاء - وقد كان يكرمهم ويقربهم - فخرجوا غضابا ، ولبيد متخلف في رحالهم ، يحفظ متاعهم ، ويفقدو يابلهم كل صباح يراها - وكان أحدثهم سنا - فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون

أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعًا ، ولا سَرَّحتُ لَكُمْ بَعِيرًا ، أو تخبروني فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حِجْر الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وَصَدَّ عَنَّا وَجْهَهُ ، فقال لبيد : هل تقدرين على أن تجمعوا بيني وبينه ، فأزجره عنكم بقول مُمَضٍّ مؤلم ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدًا ؟ قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنا نبلوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البقرة - وَقَدْ آمَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قليلة الأوراق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّربَّة - فقال :

« هذه التَّربَّة التي لا تُذَكِّي ^(١) نَارًا ، ولا تُؤْهِل ^(٢) دارًا ، ولا تُسْرِجُ جَارًا ، عُوْدَهَا ضَّئِيلٌ ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ ^(٣) ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مَرْعَى ، وأقصرها فَرْعًا ، وأشدّها قَلْعًا ، فَتَغْسَا لَهَا وَجَدْعًا ^(٤) ، بلدها شاسع ^(٥) ، وَتَبْتَهَا خَاشِعٌ ، وَآكِلُهَا جَائِعٌ ، والمقيم عليها قانع ^(٦) ، فالقوا بني أخا بني عَبَسَ ، أَرُدُّهُ عَنْكُمْ بِتَعَسٍ ^(٧) وَنَكْسٍ ، وأتركه من أمره في لَبَسٍ » .

فلما أصبحوا غَدَوْا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد رَجَزًا ما لبِثَ معه النعمان أن تقرَّز منه ، وأمره بالأنصراف إلى أهله . (مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ ، جهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجباء الأبناء ص ١٧١ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٣٥)

٣١٨ - محالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مُحَالِسُ بْنُ مَزَاحِمِ الْكَلْبِيِّ ، وَقَاصِرُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُدَامِيِّ . يباب النعمان

[١] تذكي : تشعل . [٢] أي ولا تؤدم أهل دار من الإهالة (ككتابة) وهي كل ما يؤتم به ، ويقال ثريدة مأهولة : أي فيها إهالة . [٣] ضئيف . [٤] قطعاً . [٥] بعيد . [٦] أي سائل . [٧] التمس : الهلاك .

ابن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرّتنى وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال: إن مخالساً هجاك، وأنشده فى ذلك أياتاً، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان، فشكا مخالساً وأنشده الأيات، فأرسل النعمان إلى مخالس، فلما دخل عليه قال: « لا أم لك ! أتتهجو امرأ هو ميتاً خير منك حياً، وهو سقيماً خير منك صحيحاً. وهو غائباً خير منك شاهداً؟ فبحرمة ماء المزن^(١)، وحقّ أبى قابوس^(٢)، لأنّ لاح لى أن ذلك كان منك، لأنزِعَنَّ غلصمتك من قفاك، ولا طعمينك لحك » .

قال مخالس: « أبيت اللعن؟ كلا، والذي رفع ذروتك بأعمادها، وأمات حسّادك بأكجادها، ما بلغت غير أقاويل الوشاة، ونعائم المصاة، وما هجوت أحداً، ولا أهجو امرأ ذكرت أبداً، وإنى أعوذ بحدّك الكريم، وعزّيتك القديم، أن ينالنى منك عقاب، أو يفاجئنى منك عذاب، قبل الفحص والبيان، عن أساطير أهل البهتان » .

فدعا النعمان قاصراً فسأله، فقال قاصر: « أبيت اللعن ! وحقك لقد هجاه وما أروانيها سواء » فقال مخالس: « لا يأخذنّ أيها الملك منك قول امرئ آفك^(٣)، ولا تورّدنى سبيل المهالك، واستدالّ على كذبه بقوله: إنى أرويته مع ما تعرف من عداوته »، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما .

فلما خرجا، قال مخالس لقاصر: « شقي جدّك، وسفل خدك، وبطل كيدك، ولا مح للقوم جرّمك، وطاش عنى سهمك، ولأنت أضيق حجراً من

[١] المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو الماء، جمع مزنة . [٢] يعنى نفسه وأبو قابوس كنيته .

[٣] كذاب .

فَذَرَفَتْ^(١) ، إِنَّ أُمَامِي مَالاً أُسَامِي^(٢) . رَبِّ سَامِعٍ بِخَبَرِي لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي .
 كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ . فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخْذَلُ . تَبَارَوْا
 فَإِنَّ الْبَرَّ يَنْمِي^(٣) عَلَيْهِ الْعَدَدُ . وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنْ مَقَتِلَ الرَّجُلَ بَيْنَ فَكَيْهِ .
 إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا . لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ
 وَاقِعٌ التَّوَقُّ . سَتُسَاقُ ، إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْاِقْتِصَادُ
 فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(٤) . مَنْ لَمْ يَأْسَ^(٥) عَلَى مَا فَاتَهُ وَدَعَا بَدَنَهُ ، وَمَنْ قَنِعَ بِمَا
 هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٦) . أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ
 أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظْتَكَ . وَيَلْ لَعَالَمِ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ .
 يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْمَقُ . الْوَحْشَةُ ذَهَابُ
 الْأَعْلَامِ^(٧) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ مُخْمَقٌ وَالْعِزُّ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْنٌ^(٨) . لَا تَغْضَبُوا مَنْ
 الْيَسِيرِ ، فَرُبَّمَا جَنَى الْكَثِيرِ . لَا تُجِيبُوا فِيمَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ . وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا
 لَا يُضْحِكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ . كُونُوا جَمِيعًا فَإِنْ اجْتَمَعَ غَالِبٌ ،
 تَثَبُّتُوا . وَلَا تَسَارِعُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ . رَبُّ نَجْلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا . اذْرِعُوا
 اللَّيْلَ وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا . فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ . وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ . تَنَاءً وَافِي
 الدِّيارِ وَلَا تَبَاغَضُوا . فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَقَعَّقُ^(٩) عَمْدُهُ . أَلْزَمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ^(١٠)

[١] ذرفت عينه كضرب : سال دمهها ، وفرفت العين دمهها أسالته ، وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر

يف حقيقته . [٢] ساماه : باراه في السمو . [٣] يزيد وي جمع الأمانال « يبقى » .

[٤] أى أبقى لبقرة ، من حم الفرس جماعا (بالفتح) ترك الضراب فتجمع موه ، وجم الماء يجم بهم

يم وكسرهما جوما كثر واجتمع ، والبر تراجيع ماؤها ، والجم بالفتح أيضا : الراحة . [٥] يحرن .

[٦] أى تفكر في التقدم قبل أن تندم . [٧] الأعلام جمع علم وهو سيد الفوم .

[٨] ضعف الرأى والمقل ، وفي الأصل أمن وهو تحريف . [٩] تققع : اضطرب

بحرك ، وفي الأصل مضرب بدل عمدته وهو تحريف ، وهذا مثل معناه لا بد من الافتراق بعد الاجتماع ،

والأصل يمتلئ الفوم وتعاربوا وقع بينهم الشر ففترقوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو

يغيب الزوال والانتظار [١٠] أى أن يهابوكم ويوقروكم ، وفي الأصل « المهابة » وهو تصحيف .

نِعْمَ لَهُوَ الْغُرَّةُ ^(١) الْمَغْزَل . إِنْ تَعِشْ تَرَمَا لَمْ تَرَهُ . قَدْ أَقْرَ صَامِت . الْكَثَار
كَحَاطِبٍ ^(٢) لَيْلٍ . مِنْ أَكْثَرِ أَسْقَط ^(٣) . لَا تَجْعَلُوا سِرّاً إِلَى أُمَّةٍ . لَا تَفَرَّقُوا فِي
الْقَبَائِلَ ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ ، عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ ^(٤) . وَإِيَّاكُمْ
وَالْوَشَائِظَ ^(٥) فَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ الذَّلَّةَ : لَوْ سَمَّيْتِ الْعَارِيَةَ قَالَتْ أَبْنَى لِأَهْلِ ذُلٍّ .
الرَّسُولُ مُبْلَغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . مِنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ
جَابَةً ^(٦) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إِنْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَوْعَفِ الْمَسْكَنَةِ . قَدْ تَجْمُوعُ
الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَذِيئِهَا ^(٧) . لَمْ يَجْرُ سَالِكُ الْقَصْدِ ، وَلَمْ يَنْمَ قَاصِدُ الْحَقِّ . مِنْ

[١] الشريفة . [٢] الحاطب : الذي يجمع الحطب ، وهو حطب ليل : أى مخطط فى كلامه .

[٣] أسقط كلمة ، وأسقط فى كلمة أى أخطأ .

[٤] عاقدوا : حالفوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . [٥] يقال هم وشيطة فى قومهم أى

حشوفهم . [٦] جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطاعة والطاعة والغارة والعمارة ،

قال المنفلوط : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت

له أنس بن سهيل ، فخرج معه ذات يوم ، فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقصور : الراية الصغيرة)

فأقبل الأخنس بن شريق الثقفى ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابنى ، قال الأخنس : حياك الله يافقى !

قال : لا ، والله ما أرى فى البيت ، انطلقت إلى أم حطلة : نحن دقيفاً ، فقال أبوه : أساء سمياً فأساء جابة

فأرسلها مثلاً . [٧] أى لا تعيش بسبب ثدييها وبما يفلان عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب فى

صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيخاً

كبيراً وكان حليفاً لعلفة بن خصعة الطائى ، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أبلى أهل دهرها

فأعجب بها ، فقال له : أتيتك خاطباً ، وقد يضحك الحاطب ، ويدرك الطالب ، ويمتدح الراغب ، فقال له

علامة : أنت كعب كرم يقبل منك المنور ، ويؤخذ منك المنور ، فأقم تنظر فى أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها

فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبنياً ، وقد خطب إلينا الرباء ، فلا ينصرفن إلا بحاجته

فقال امرأته لا بنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل المجعاج (أى السيد) ، الواصل المناخ ، أم الفتى

الوضاح ؟ قالت : لا ، بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يعيرك ، وإن الشيخ يعيرك ، وليس الكهل

الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفتى كحب

الرجاء أبقى الكلا ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد المحاب ، كبير العتاب ، قالت إن الشيخ بلى شبابى ،

ويدنس ثيابى ، ويشت بى أنراى ، فلم تزل أمها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على مائة وحسين

من الأبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينا هو ذات يوم جالس بهناء قومه وهى

إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتفتت الصعداء ، ثم

أرخت عينها بالبكاء ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفرخ ، فقال لها :

نكلك أمك تجوع الحررة ولا تأكل بشدييها ، الحق بأهلك فلا حاجة لى نيك .

شَدَّدَ نَفْرًا ، ومن تراخى تألَّف . الشرف التغافل . أوفى القول أوجزه . أصوب
 الأمور ترك الفضول . التفرير مفتح البؤس . التواني والعجز ينتجان الهلكة .
 لكل شيء ضراوة ^(١) . أحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى ، وم
 الملوك . حُبُّ المدح رأسُ الضياع . رضا الناس غاية لا تُبْلَغ . لا تَكْرَه سُخْطَ
 مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ . معالجة العفاف مشقة فتعوذ بالصبر . اقصر لسانك على الخير
 وأخر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . من قَدَرَ أزمع . أمرُ أعمال المقتدرين
 الانتقام . جاز بالحسنة ولا تكافئ بالسيئة . أغنى الناس عن الحقد مَنْ عَظُمَ عن
 المجازاة . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ . من جعل لِحُسْنِ الظن نصيباً رَوَّحَ عن
 قلبه . عِيَّ الصمت أحمد من عي المنطق . الناس رجلان محترس ومحترس منه .
 كثير النصح يَهْجُمُ على كثير الظنَّة ^(٢) . من ألحَّ في المسألة أْبْرَمَ ^(٣) . خير السخاء
 ما وافق الحاجة . الصمت يكسب المحبة . لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلبَ
 عليه الصدق . القلب قد يُثَبِّمُ وإن صدق اللسان . الانتقباض عن الناس مكسبة
 للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء . فكن من الناس بين القرب والبعد .
 فإن خير الأمور أوساؤها . فُسُولَةٌ ^(٤) الوزراء أضرم من بغض الأعداء . خير
 القُرَناء المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسْنُ العمل . من لم يكن له من نفسه
 زاجرٌ لم يكن له من غيره واعظ . وتمكَّن منه عدوه على أسوأ عمله . لن يَهْلِكَ
 امرؤ حتى يملَّ ^(٥) الناس عتيد فعله ويشتد على قومه . وَيُهْجَبُ بما ظهر من

[١] يقال: ضرى الكلب بالصيد (كفرح) صراوة أى تعود ، وكلب صار ، وأضرأه صاحبه هوّده

وأضرأه به : أغراه ، وضرأه أيضاً تضرية . [٢] التهمة . [٣] أبرمه : أضمره وأله .

[٤] فسل فسولة فهو فسل أى رذل لامروءة له ، والوزراء ، جمع وزير وهو النصير والظهير .

[٥] في الأصل « يملك » وأدى صوابه يمل .

مروءته . ويفتر بقومه . والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال في حسن الثناء نصيب . لا نكء مع العدم . إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . النعي أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك . لا ينبغي لعامل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة . أقل الناس راحة الحقود . من تعمّد الذنب لا تحل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يُمن .

(جهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، ومجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

٣٢١ - وصية أكرم بن صيفي لطبي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طبي :

« أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم . وإياكم ونكاح الحمقاء ، فإن نكاحها غرر^(١) ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيال فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة^(٢) ، ورقوة الدم^(٣) ، وبألبانها يتحف الكبير^(٤) ، ويُغذى الصغير ، ولو أن الإبل كُلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والعدم^(٥) العذل ، لا عذم المال . ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته . ومن رضى بالقسم^(٦) طابت معيشته . وآفة الرأي الهوى . والعادة أملك^(٧) . والحاجة مع المحبة خير من البُغض مع الغنى . والدنيا دُول ، فما كان لك أذاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء . والشماة تُعقب . ومن يرَ يوماً

[١] الفرر : الخطر ، عرر بنفسه تفريراً : عرصها لاهلكة والاسم الفرر . [٢] يريد مهرها .
[٣] رقا الدم : جف وسبكن ، والرقوة كعبور ما يوضع على الدم ليرقه ، والمعنى أنها تغطي في الديات فتحن بها الدماء . [٤] التحفة : البر واللفظ والطرفة ، وقد أتخفته تحفة . [٥] العدم بالضم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلط على فقدان المال . [٦] القسم : القدر .
[٧] وفي رواية : « العادة أملك من الأدب » .

يُرَبِّهِ . قبل الرِّمَاءُ تَمَلُّا الْكِنَانُ ^(١) . الندامة مع السفاهة . دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ .
 خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بقاء المودة عَدْلُ ^(٢) التعاهد . من يَزُرُّ غِيًّا يَزِدُّ حَبًّا .
 التفرير مفتاح البؤس . من التواني والعجز تُتَجَّتِ ^(٣) الهَلَكَةُ . لكل شيء
 ضَرَاوَةٌ . فَضْرٌ لِسَانِكَ بِالْخَيْرِ . عِي الصمت أحسن من عي المنطق . الحزم حفظ
 مَا كُفِّتَ وَتَرَكْتُ مَا كَفَيْتَ . كثير النصيح يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . من ألحف ، في
 المسألة ثَقُلَ . من سأل فوق قدره استحق الحرمان . الرَّفْقُ يُمْنٌ ، وَالْخُرْفُ شَوْمٌ .
 خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ » (جمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٣٢٣ - أمثال أكرم بن صيفي (وَبَزْرَجِيهِز) الفارسي ^(٤)

« الْعَقْلُ بِالتَّجَارِبِ . الصَّاحِبُ مَنَاسِبُ ^(٥) . الصَّدِيقُ مَنَ صَدَقَ غَيْبُهُ ^(٦) .
 الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . رَبُّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْقَرِيبُ مَنْ قَرُبَ
 نَفْعُهُ . لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغَمْتُمْ . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ ، خَيْرُ سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . خَيْرُ
 إِخْوَانِكَ مَنْ لَمْ تَخْبُرْهُ . رَبُّ غَرِيبٍ نَاصِحُ الْجَنِبِ ^(٧) ، وَابْنُ أَبِي مَتَّهِمِ الْغَيْبِ ، أَخْوَكُ

[١] الرماء مصدر رامى كالرماء ، والكنان جمع كنانة وهي جعبة السهام ، وهو مثل معناه : تؤخذ للأمر
 أهتبه قبل وقوعه ومثله قولهم « قبل الرمي يراش السهم » أي يوضع له الريش . [٢] العدل : الاستقامة
 أي بقاء المودة في استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه . [٣] وتجت الفاقة .
 [٤] هكذا في العقد الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على
 أنه قد ورد بينها أمثال لغير أكرم ، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أوردته
 آنفاً ، ولكي آثرت إيراد المثال برمته كما جاء في العقد ، وبزرجهز : مركب من بزرج معرب بزرك
 أي الكبير ، ومهر أي الروح وهو بزرجهز بن البحتكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان
 شديد الفكر ، حصيف الرأي . [٥] المناسب والنسيب : القريب ، من النسبة (بالكسر والضم)
 وهي : القرابة ، وبينهما مناسبة أي مشاكلة ، هذا يناسب ذاك أي يقاربه شبيهاً .

[٦] في الأصل « من صدق غيبه » وهو محرف ، وأراء من صدق غيبه أو غيبته أي من صدق في
 مودته ، وحفظ الأخاء ، في الغيبة لا في المحضر فحسب . [٧] حبيب القبيص طوقه ، وهو ناصح الجيب
 أي اللب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

مَنْ صَدَقَكَ ، الْأَخَ مَرَاةَ أَخِيهِ إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهَنْ^(١) . مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ^(٢) .
تَبَاعَدُوا فِي الدِّيارِ وَتَقَارَبُوا فِي الْحُبِّ . أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ^(٣) ؟ مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
كَلَهُ . إِنَّكَ إِنْ فَرَحْتَ لَأَقِي فَرَحًا . أَحْسِنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ أَرْحَمَ تُرَحِّمَ . كَمَا
تَدِينُ تُدَانُ^(٤) . مَنْ يَرِ يَوْمًا يُرِ بِهِ ، وَالدهِرَ لَا يُغْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ
فَذَرَفَتْ^(٥) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبْرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ . لَا يَعْدُو الْمَرْءُ رِزْقَهُ
وَإِنْ حَرَصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ
وَالْعَيْنِ^(٦) . الْحَرَمُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّناهِ^(٧) . الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .
خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْسَاقٌ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خُذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ .
مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ .
الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ . قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ ، رَبِّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِاثْنَيْنِ . لَنْ

[١] في الميداني : هذا المثل لهديل بن هيرة النعلبي ، وكان أطار على بنى صبة فغنم فأقبل بالعاسم . فقال له أصحابه قسمها بيننا ، فقال إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب فأبوا ، فعندها قال : « إذا عزَّ أخوك فهن » ثم نزل قسم بينهم الغنائم ، ومنعاهم : مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحمية به ، إنما هو حسن خلق وتفصل ، فإذا طسرك فياسره .

[٢] قاله أبو حنبل : وذلك أن رجلاً من بنى فزارة يقال له يهيس أخبر أن ناساً من أشجع في عز يشربون فيه - وكانوا قد قتلوا إخوته الستة - فاطلق بحال له يسمى أبا حنبل ، فقال له هل لك في ظار فيه طلباء لعلنا نصيب منها - وروى : هل لك في فنيمة باردة - ثم اطلق به حتى أقامه على دم العار ، ودفنه فيه فقال : صرباً أبا حنبل ، فقال بعضهم : إن أبا حنبل لبطل ، فقال أبو حنبل : مكره أخاك لا بطل ، فأرسلها مثلاً . [٣] في الميداني : أول من قاله النابغة الذبياني حيث قال :

ولست بمسئق أخاً لا تله على شعث : أي الرجال المهذب ؟

[٤] الدين بالكسر : الجزاء دانه يدينه ديناً بالفتح ويكسر ، ومعنى المثل كما تجارى تجازى : أي كما تعمل تجازى ، إن حسناً لحسن ، وإن سيئاً فسيئاً ، وقوله تدين : أراد تعمل فسمي الابتداء جراء للمطابقة والموافقة ، وعلي هذا قوله تعالى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ » . ويجوز أن يجري كلامهما على الجزاء أي كما تجازى أنت الناس على صنيعهم كذلك تجارى على صنيعك .

[٥] في الأصل « عين رقت » وهو تشويه ، وصوابه « عين عرفت فذرفت » .

[٦] الحينه : الهلاك ، وقوله : نزل بين الأذن والعين أي : سمع وقرأى ممن نزل به لا يختفياً عنه .

[٧] زنى يزنى زنى وزناه .

تَعْدَمُ الحَسَنَاءُ دَامًا ^(١) . لَمْ يَعْدَمِ الفَاوِي لَا ئِمَّا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجِنَازَةِ ^(٢) .
لَا تَسْخَرِ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ ، أَخْرُ الشَّرَّ فَإِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ . صَغِيرُ الشَّرِّ
يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يُبْصِرُ الْقَلْبُ مَا يَعْصِي عَنْهُ الْبَصَرُ . الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ .
الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ ^(٣) . مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ أَمْرَهُ . مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . مَنْ تَعَظَّمَ عَلَى الزَّمَانِ أَهَانَهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِلسُّلْطَانِ آذَاهُ ، وَمَنْ
تَطَامَنَ لَهُ تَخَطَّاهُ . مَنْ خَطَا يَخْطُو ^(٤) . كُلُّ مَبْذُولٍ تَمْلُولُ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
فِيهِ . كُلُّ عَزِيزٍ تَحْتَ الْقُدْرَةِ ذَلِيلٌ . لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالٌ .
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ . لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ .
قِيَمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُ . اطْلُبْ لِكُلِّ غَلَقٍ ^(٥) مُفْتَاحًا . أَكْثَرُ فِي الْبَاطِلِ
يَكُنْ حَقًّا . عِنْدَ الْقَنْطِ ^(٦) يَأْتِي الْفَرْجُ . عِنْدَ الصَّبَاحِ يُحْمَدُ السَّرَى ^(٧) .

[١] الدام : والذيم العيب ، قال الميداني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حي بنت مالك بن عمرو العدوانية (وحكي : بسم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجل النساء ، فسمع بجماها ملك غسان خطبها إلى أبيها ، وحكمه في مهرها ، وسأله لتعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت أمها لتباعد عنها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردت أن تدخلها على زوجها ، فطينيها بما في أصدافها ، فلما كان الوقت أمجلهن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ، البارحة ؟ فقال ما رأيت كالكيلة قط لولا رويعة أنكرتها ، فقالت هي من خلف الستر » لا تعدم الحسنة داما » فأرسلتها مثلا .

[٢] الجنازة بالكسر : الميت ، وينفتح ، أو بالكسر الميت ، والفتح السرير ، أو عكسه ، أو بالكسر السرير مع الميب ، والمراد بها الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله في الأصل مشوهة مختلطة هكذا : « لن تعدم الحسنة ما لم يعدم الفاوي لا يمالأ بك في أهلك كالجنازة » . [٣] الجد : الخط .

[٤] يريد : من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرن عليه ، أي أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماض » . [٥] الملق : القفل كالملاق . [٦] القنط والقنوط : اليأس .

[٧] السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو من يضرب الرجل يحتدل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خليل بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك الجنازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (صلاة خمس بكسر الحاء : بعد ورودها حتى يكون ورد النعم اليوم

الصدق مَنجاة ، والكذب مَهْوَاة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ
من صَوَل . رب ساعة ، ليس بها طاعة . رب عَجَلَة تُعَقِّبُ رَيْثاً^(١) . بعض الكلام
أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ من الحِلْم . ربيع القلب ما اشتهى . الهوى
شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى نائم ، والهوى يقظان . غلب عليك من
دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرورَ كَطِيبِ النَّفْسِ . العمر أقصر من أن
يحتمل إلهَجْر . أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول
ما اتَّبَعَ البِطْنَةُ^(٢) تذهب الفِطْنَةُ . شر العمى عمى القلب . أوثق العُرَى كلمة
التقوى^(٣) . النساء حبائل الشيطان . الشباب شُعبَة من الجنون . الشقى من شَقِيَ
في بطن أمه . السعيد من وُعِظَ بغيره . لكل امرئ في بدنه شُغْل . من يَعْرِفِ
البلاء يَصْبِرْ عليه . المقادير تُرِيك ما لا يخطر ببالك . أفضل الزاد ما تُرَوِّدَ للمَعَاد .

الرابع سوى اليوم الذى شربت به) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارف
(الشارف الناقة المسنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المغازة ، حتى إذا مضى يومان
وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب ما فى بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما فى
بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان فى الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون
سدرأ عظماً (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر
فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم حملوا على الماء فقال خالد وحزاً منه « عند الصباح يحمّد القوم السرى »
[١] الريث : الإبطاء ، ويروى تهب ريثاً ، وفى الميدانى : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف
ابن أبى عمرو بن عوف بن علف الشيبانى ، وكان سنان بن مالك بن أبى عمرو بن عوف بن علف شام غيماً ،
فأراد أن يرحل بإمرأته وهى أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع
هذه السحابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى معرض
له مروان الفرط بن زنباع العبسى ، فأعجله عنها واطلقها ، وجعلها بين بناته وأחותه ولم يكشف لها سترها
فقال مالك بن عوف لسنان : مما فعلت أخى ؟ قاله : تفتنى عنها الرماح ، فقال مالك : « رب عجلة تهب
ريثاً . ورب فروقة يدعى ليثاً ، ورب غيث لم يكن غيثاً » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب لارجل يشد حرمه على
حاجة ، ويخرق فيها حتى تذهب كلها » .

[٢] البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . [٣] انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

الفَحْلُ أَهْمَى لِلشَّوْلِ ^(١) . صاحبُ الحِطْوَةِ غَدًا ، من بلغ المَدَى . عواقب الصبر
محمودة . لا تُبْلَغُ الغَايَاتُ بِالْأَمَانِي . الصَّرِيعة ^(٢) على قدر العزيمة . الضيف مُبْتَنَى
أَوْ يَذُم . من تفكر اعتبر . كم شاهدٍ لك لا ينطق . ليس منك مَنْ غَشَّكَ .
ما نظر لأمرٍ مثل نفسه . ما سد فقرك إلا ملكٌ يمينك . ما على عاقل ضيعةٌ .
الغنى في الغربة وطن . المُقِلُّ في أهله غريب ، أول المعرفة الاختبار . يَدُكَ منك
وإن كانت سَلَاءً . أَتَقُوكَ منك وإن كان أجَدَع ^(٣) . من عُرِفَ بالكذب جاز
صدقه ^(٤) . الصِّحَّةُ دَاعِيَةُ السَّقَمِ . الشباب دَاعِيَةُ الهَرَمِ . كثرة الصِّيَاحِ من
الفَشَلِ . إذا قَدُمَتِ المَصِيبَةُ تَرَكْتَ التَّعْزِيَةَ . إذا قَدُمَ الإِخَاءُ سَمَّجَ الشَّاءُ . العادة
أَمَلَكُ مِنَ الْأَدَبِ . الرِّفْقُ يُنَمِّنُ وَالخُرْقُ شَوْمٌ . المِرَاةُ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ ^(٥) .

[١] الشول : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر خلف لبنها ،
وأحمى : أعل من الحماية . [٢] الصريعة : قطع الأمر (والعزيمة) .
[٣] وبروى « منك أسك وإن كان أجدع » وفي الميداني : « أول من قال ذلك قنفذ بن جمونة
المازني للربيع بن كعب المازني ، وذلك أن الربيع دفع فرساً كان قد أبرّ على الخيل (أي زاد) كرمًا
وجودة إلى أخيه كيش ليأتي به أهله ، وكان كيش أنوك مشهوراً بالحق ، وكان رجل من بني مالك يقال
له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم عرة فيأخذها ، وكان داهية فكث فيهم مقبلاً لا يعرفون
نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك
في عانة لم أر مثلها سمناً ولا عظماً (العانة : القطيع من حمر الوحش) وغير معها من ذهب ؟ فأما الآن
(بضمتين جمع أمان) فتروح بها إلى أهلك فتسلأ قدورم ، وتمرح صدورم ، وأما العير فلا انتقار بعده ،
قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أما لك به ، وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بليل ،
ولا يراه غيره ، قال كيش : فدونك ، قال : نعم وأمسك أنت راحتي ، فركب قراد الفرس وقال :
انتظرنى في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ، قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى
من غده وحاح ، فلما لم ير له أنراً انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألتني أخى عن الفرس قلت تحول
ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ، قال :
فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ، يقال له قنفذ بن جمونة :
أله عما فاتك ، فإن أتقك منك وإن كان أجدع ، فذهبت مثلاً .

[٤] في مجمع الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم
يحز صدقه » . [٥] الفهمان : هو الخازن والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل
بلعة الفرس .

الدال على الخير كفاعله . المحاجة قبل المناجزة . قبل الرماية تملأ الكناش . لكل
ساقطة لاقطة . مقتل الرجل بين فكّيه . ترك الحركة غفلة . الصمت حُبسة . مَنْ
خَيْرَ خَيْرَ . إن تسمع تُنظر^(١) . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . قيّدوا
النعم بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تغتر بمودة الأمير إذا
غشك الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن
نفسه على المصائب . لقاء الأوبة مسلاة لهم . قطيعة الجاهل كصلة العاقل .
من رضى على نفسه كثر الساخط عليه . قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عارفها .
أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البدي . إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله رباً .
احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف السبق . عند الرهان يُحمد
المضمار . السؤال وإن قل ، أكثر من النوال وإن جل . كافي المعروف بمثله أو
انشره . لا خلة^(٢) مع عيلة . لا مروءة مع ضرّ ، ولا صبر مع شكوى . ليس
من العدل ، سرعة العذل^(٣) . عبدٌ غيرك حرٌّ مثلك . لا يقدم الخيار ، من استشار .
الوضع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أهجر^(٤) . كفى
بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع . (العقد الفريد ١ : ٢٧٢)

*
*
*

ومن أمثال أكثم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تشترك العشيرة^(٥) . . إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد . هل

[١] أي إن تمنح أذنيه للأقاويل تمطر وابلا منها .

[٢] الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها ، والعيلة الفقر . [٣] الهم .

[٤] الاهجار : الاغش وهو أن يأتي في كلامه بالنعش .

[٥] مثل يضرب في الحث على المواساة .

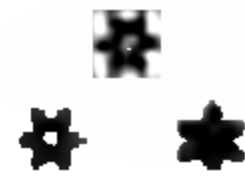
يُهْلِكُنِي فَقَدْ مَا لَا يَعُودُ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْمِيَنِي أَمْرٌ وَبِدَائِهِ . رَبُّ كَلَامٍ ، لَيْسَ فِيهِ
اِكْتِسَامٌ . حَافِظٌ عَلَى الصَّدِيقِ ، وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . لَيْسَ يَسِيرُ ، تَقْوِيمُ الْعَسِيرِ .
إِذَا أُرِدْتَ النَّصِيحَةَ ، فَتَاهَبْ لِلظَّنَّةِ . مَتَى تَعَالَجَ مَالٌ غَيْرُكَ تَسَامُ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ
سَمِينِ غَيْرِكَ . لَا تَنْطَحُ جَمَاهُ ^(١) ذَاتَ قَرْنٍ . قَدْ يُبْلَغُ الْخَضَمُ بِالْقَضَمِ ^(٢) . قَدْ صَدَعَ
الْفِرَاقُ ، بَيْنَ الرَّفَاقِ . اسْتَأْنُوا ^(٣) أَخَاكُمْ ، فَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . الْخُرُوفُ ^(٤)
لَا تَطْمَعُ ، فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ . (جمهرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٣٢٣ - كلمات هند بنت الحُصَيْنِ الإيَادِيَّةِ

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتَ الْحُصَيْنِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَقَالَتْ :
« انْظُرْ رَمَكَا ^(٥) جَسِيمَةً ، أَوْ يَبِضَاءَ وَسِيمَةً ، فِي بَيْتٍ جَدِّ ، أَوْ بَيْتِ حَدِّ ،
أَوْ بَيْتِ عَزٍّ » قَالَ : مَا تَرَكْتِ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرُّ النِّسَاءِ تَرَكْتُ ،
السُّوَيْدَاءُ الْمَرَضُ ^(٦) ، وَالْحُمَيْرَاءُ الْمَخِيَاضُ ^(٧) الْكَثِيرَةُ الْمِظَاطُ ^(٨) » .
وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَقْعُدُ بِالْفِنَاءِ ، وَتَمْلَأُ الْإِنَاءَ ،
وَتَعْدُقُ ^(٩) مَا فِي السَّقَاءِ » قِيلَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي إِذَا مَشَتْ
أَغْبَرَتْ ^(١٠) ، وَإِذَا نَطَقَتْ صَرَّصَرَتْ ^(١١) ، مُتَوَرِّكَةً جَارِيَةً ^(١٢) ، فِي بَطْنِهَا
جَارِيَةٌ ، يَتْبَعُهَا جَارِيَةٌ ^(١٣) » .

[١] الْجَمَاءُ : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . [٢] الْقَضَمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ ، وَالْخَضَمُ : الْأَكْلُ
بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ ، وَمَعْنَى الْمَثَلِ : قَدْ تَدْرِكُ الْغَايَةَ الْبَعِيدَةَ بِالرَّفَقِ . [٣] انْظُرُوا .
[٤] مَنْ عَزَفَتْ نَفْسَهُ عَنْهُ إِذَا زَهَدَتْ فِيهِ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ أَيُّ أَنْفٍ رَاغِبٍ عَنِ الدُّنْيَا .
[٥] الرَّمَكَا : السَّمَرَاءُ ، وَالرَّمَكَا كَحَمْرَةِ لَوْنِ الرَّمَادِ . [٦] الْمَرَضُ : الْمَرَضُ . [٧] الْكَثِيرَةُ الْحَيْضُ .
[٨] الْمِظَاطُ : الْمَنَازِعَةُ وَالْمَشَارِقَةُ . [٩] تَمْزُجُ .
[١٠] أَثَارَتِ الْفَبَارَ فِي مَشْيِهَا . [١١] أَحَدَّتْ صَوْتَهَا . [١٢] أَيُّ حَامِلَةٍ لَهَا عَلَى وَرْكِهَا .
[١٣] أَيُّ مِثْنَاتٍ .

قيل : فأى الغلمان أفضل ؟ قالت : « الأسوق الأعنق ^(١) ، الذى إن شَبَّ كأنه أحق » قيل : فأى الغلمان أفسل ^(٢) ؟ قالت : « الأويقص ^(٣) القصير العضد ، العظيم الحاوية ^(٤) ، الأغبير الغشاء ، الذى يطيع أمه ، ويعصى عمه » .
(الأمالى ٢ : ٢٦٠)



وقيل لها : أى الرجال أحب إليك ؟ قالت : السهل النجيب ، السمنح الحسيب ، النذب ^(٥) الأريب ، السيد المهيب ، قيل لها : فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم ، الأهيف الهفاف ^(٦) ، الأنف العياف ، المفيد المتلاف ، الذى يخيف ولا يخاف ، قيل لها : فأى الرجال أبغض إليك ؟ قالت : الأورء ^(٧) النثوم ، الوكل السثوم ، الضعيف الخيزوم ، اللثيم الملوم ، قيل لها : فهل بقى أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الأحق النزاع ، الضائع المضاع ، الذى لا يهاب ولا يطاع ، قالوا : فأى النساء أحب إليك ؟ قالت : البيضاء العطرة ، كأنها ليلة قمر ^(٨) ، قيل : فأى النساء أبغض إليك ؟ قالت : العنقص ^(٩) القصيرة ، التى إن استنطقتما سككت ، وإن سككت عنها نطقت .
(ذيل الأمالى ص ١٢٠)

[١] الأسوق : الطويل الساق ، والأعنق : الطويل العنق .

[٢] أفسل من فسل : ككرم وعلم وعى مسألة وفسولة فهو فسل أى رذل لا مروءة له .

[٣] الأويقص : صغير أوقص وهو الذى يدنو رأسه من صدره .

[٤] ما تحوى من الأمعاء أى استدار .

[٥] النذب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، والأريب : العاقل . [٦] الأهيف وصف من

الهيف بالتحريك ، وهو رقة الحاصرة ، والقميص الهفاف ، أى الرقيق الشفاف . [٧] الأورء :

الأحق من ورء كفرح . [٨] ليلة قمر وقراء ومقروءة : فيها القمر . [٩] العنقص : المرأة

البديهة القليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة .

* *

وقال لها أبوها يوماً : أى المال خير؟ قالت : « النخل ، الراسخات في الوخل ، المطعمات في المخل ^(١) » قال : وأى شيء؟ قالت : « الضأن ، قرية لا وباء بها ، تُنتجها رُخالا ^(٢) ، وتخلبها علالا ^(٣) ، وتجزؤها جفالا ^(٤) ، ولا أرى مثلها مالا » قال : فالإبل مالكِ تؤخرينها؟ قالت : « هي أذكّر الرجال ، وإرقاء الدماء ، ومهور النساء » قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خير الرجال المَرهقون كما خيرُ تلّاع البلاد أو طوؤها ^(٥)

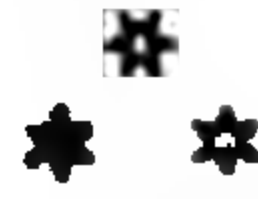
قال : أيهم؟ قالت الذى يسأل ولا يسأل ، ويضيف ولا يضاف ، ويصلح ولا يصلح .
قال : فأى الرجال شر؟ قالت : « الثطيط النطيط ، ^(٦) الذى معه سويط ^(٧) ، الذى يقول أذر كوني من عبد بنى فلان ، فإني قاتله أو هو قاتلي » . قال : فأى النساء خير؟ قالت : « التى فى بطنها غلامٌ ، تحمل على وركها غلامًا ، يمشى وراءها غلام » قال : فأى الجمال خير؟ قالت : « السبخل الرّجمل ^(٨) ، الراحلة الفحل » .
قال : أرايتك الجذع ^(٩) ، قالت : لا يضرب ، ولا يدع ، قال : أرايتك الشّي ^(١٠)
قالت : يضرب ، وضربته وفي ^(١١) ، قال : أرايتك السدس ^(١٢) ، قالت :
ذاك العرس ^(١٣) . (ذيل الأمالى ص ١٠٨)

[١] الهل : الشدة والجذب واقطاع المطر . [٢] الرخال جمع رخل كحمل وكنف وهو الأثني من أولاد الضأن . [٣] يقال عالت الناقة ، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره ، والاسم علال ككتاب . [٤] الجفال : الكثير من الصوف .
[٥] المَرهق : من يغشاه الناس والأضياف . [٦] الثطيط : الذى لا حيلة له ، والنطيط : الهذيان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة .
[٧] تصغير سوط . [٨] السبخل والرّجمل : البعير الضخم الكثير النعم . [٩] أرايتك : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني ، الجذع : البعير إذا كان فى السنة الخامسة . [١٠] البعير إذا كان فى السادسة وألقى نفيه . [١١] قال أبو علي : الصواب أنى أى بطل . [١٢] السدس : البعير إذا كان فى الثامنة . [١٣] العرس : الأسد .

وقيل لها : أى الخيل أحب إليك ؟ قالت : « ذوالميعة الصنيع ^(١) ،
السليط التليع ^(٢) ، الأيد الضليع ^(٣) ، الملهب ^(٤) السريع » فقيل لها : أى
الغيوث أحب إليك ؟ قالت : « ذوالهيدب المنبتق ^(٥) ، الأضخم المؤتلق ^(٦)
الصخب المنبتق ^(٧) » وقيل لها : مائة من المغز ؟ قالت : مؤيل يشف الفقر
من ورثته ، مال الضعيف ، وحرفة العاجز » قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت
« قرية لا جمى بها » قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : « بنج ^(٨) ، جمال ومال ،
ومنى الرجال » . قيل : فما مائة من الحيل ؟ قالت : « طغى من كانت له ولا
يوجد » قيل : فما مائة من الحمر ؟ قالت : « عازبة ^(٩) الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن
فيخلب ، ولا صوف فيجز ، إن ربط عيرها ^(١٠) أدلى ، وإن ترك ولّى ، وقيل
لها : من أعظم الناس في عينك ؟ قالت : « من كانت لي إليه حاجة » .

(شرح العيون ص ١٨٤)

[١] ماع المرس يبيع : جرى ، وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنعة (بفتح
الصاد يهما) والصنيع ذاك المرس . [٢] السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والتليع :
الطويل العنق من التلع بفتحين وهو طول العنق . [٣] الأيد ككبس : القوى ، من آد يئيد أيذا
أى قوى واشتد ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلعة ، وهى القوة وشدة الأصلاع .
[٤] هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير العبار ، من ألهب . [٥] الهيدب : السحاب المتدلى ،
والمنبتق : لايجع بالمطر . [٦] الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، واثنلق
البرق وتأللق : لمع . [٧] الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبتق : المنفجر .
[٨] بنج كقر : أى عظم الأمر ونخم ، تقال وحدها وتكرر ، بنج الأول منون مكسور ، والثانى مسكن ،
وبقال فى الإفراد : بنج ساكنة الخاء ، وبنج مكسورة ، وبنج مكسورة مونة ، وبنج مونة مصومة ، ويقال
بنج مسكنين ، وبنج متوطين مكسورين ، وبنج بنج مكسورين مشددين متوطين كلمة تقال عند الرما والإعجاب بالشيء .
[٩] يقال : جل عازب : أى لا يروح على الحى من المزوب وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : خرى
المجلس ، أى بما تحمته من التهيؤ المزج والإدلاء . [١٠] الير : الحمار (وغلب على الوحش) ،
وأدلى : أى أخرج قضيبه ليول أو يضرب .



وقالت: « أَخْبِثُ الذَّنَابَ ذَنْبَ الْفَضَا ^(١) ، وَأَخْبِثِ الْأَفَاعِي أَفْعَى الْجَذْبِ ،
وَأَسْرِعِ الظُّبَاءَ ظُبَاءَ الْحُلْبِ ^(٢) ، وَأَشْدِ الرِّجَالَ الْأَعْجَفَ ^(٣) ، وَأَجْمِلِ النِّسَاءَ الْفَخْمَةَ
الْأَسِيلَةَ ^(٤) ، وَأَقْبِحِ النِّسَاءَ الْجَهْمَةَ الْقَفِيرَةَ ^(٥) ، وَآكَلِ الدُّوَابَّ الرَّغُوثَ ^(٦) ،
وَأَطِيبِ اللَّحْمَ عُوْذُهُ ^(٧) ، وَأَغْلِظِ الْمَوَاطِيَّ الْحَصَى عَلَى الصَّفَا ، وَشِرِّ الْمَالَ مَا لَا
يَزْكِي ^(٨) وَلَا يَذْكِي ^(٩) ، وَخَيْرِ الْمَالَ سِكَّةَ مَابُورَةٍ ^(١٠) ، أَوْ مُهْرَةَ مَأْمُورَةٍ ^(١١) »
(مجمع الأمثال ١ : ١٧٤)

خطب الكهان

٣٢٤ - الكاهن الخزاعي يُنْقِرُ هَاشِمَ بْنَ عَبْدِ مَنْفٍ
عَلَى أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ

وَلِي هَاشِمَ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ^(١٢)

[١] الفضا : شجر له جمر يبقى طويلا . [٢] الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى ضروباً
من البهائم بضروب من الراعي تنسبها إليها ، فيقولون : ظلي الحلب ، وتيس الريلة (والريل حركة نبات
شديد الخضرة) ، وشيطان الحمامة (والحمامة كسابة : شجر شبيه بالبن ، أحب شجر إلى الحيات) . الخ
وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة في طباع الحيوان . [٣] من العجف بالتحريك وهو
ذهاب السمن . [٤] الطويلة المسترسلة . [٥] الجهم : مؤنث الجهم وهو الوجه الفليظ المجتمع
السمج ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك أي الشعر . [٦] الرغوث : كل مريض كالمرغث .
[٧] ما طاذ بالمعظم من اللحم . [٨] زكي كرضى نعا وزاد كزكا يزكو . [٩] ذكي تذكية :
سمن وبدن (بضم الدال) . [١٠] السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من أبرت الحل
آبره إذا لقحته وأصلحته . [١١] مأبورة : أي كثيرة الولد ، من آسرهما الله أي كثرتها ، وكان
يفني أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٨ فصل طويلا في كلام
هند بنت الحس وأختها جمعة .

[١٢] السقاية : هي إسقاء الحبيج الماء العذب ، والرفادة : خرج كانت تفرجه قريش في كل موسم من
أموالها ، قدمنه إليه ، فيصنع به طعاماً للعاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

فخسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشئت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسِنِّه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافر به على خمسين ناقة سود الحَدَقَ يَنَحِّرُها يبطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزَاعِيّ - وهو جد عمرو بن الحَمِقِ ، ومنزله بِعُسْفَانَ ^(١) ، وكان مع أمية هَمَمَةٌ بن عبد العُزَيّ الفِهْرِيّ ، وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن :

« والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم ^(٢) مسافر ، من مُنْجِدٍ و غائر ^(٣) ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أولٌ منه وآخر ، وأبوهممة بذلك خابر . »

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٣٢٥ — عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كَانَ حُجْرُ بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملكَ بني أسد ، وكان له عليهم إِتَاوَةٌ ^(٤) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقي كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من يَحْبِي ذلك منهم ، ونحجز يومئذ بتهامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك

[١] عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . [٢] العلم : ما نصب في الطريق يهتدى به .

[٣] أنجد : أتى نجداً ، وطار وأغار : أتى غوراً . [٤] خراج .

حجراً ، فسار إليهم ، فأخذ سرّواتيهم^(١) وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسُمّوا عبيد العصا) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعراً يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : « من الملك الصّلب^(٢) ، الغلاب^(٣) غير المغلب^(٣) ، في الإبل كأنها الربّ رب^(٤) ، لا يُقلِقُ رأسه الصّخب^(٥) ، هذا دمه ينثعب^(٥) ، وهو غداً أول من يُستَلَب^(٦) » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيش^(٦) نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية^(٧) » .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في قتله فقتلوه . (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشعر والنساء ص ٣١ ، والأغانى ٨ : ٦٣)

٣٢٦ - كاهن بنى الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لطيمة^(٨) لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فأوقع كسرى بهم ، وقتل المقاتلة ، وبقيت أموالهم وذرائعهم في مساكنهم لا مانع لها ، وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مذحج ، فشئ

[١] سروات جمع سراة بالفتح وهي اسم جمع سرى كنى من سرو سروا وهو المروءة في شرف .

[٢] حجر صلب : شديد صلب ، والصّلب أيضاً : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي

الشعر والنساء والأغانى « الأصهب » ومن معانيه الأسد . [٣] المغلب : المغلوب مراراً (وهو

أيضاً المحكوم له بالفلبة . ضد) . [٤] الربرب : القطيع من بحر الوحش . [٥] ينثعب .

[٦] جاشت النفس وتجيشت ارتفعت من حزن أو فرح . [٧] علانية ، يقال فطه ضاحية : أى علانية .

[٨] اللطيمة : الدير تحمل الطيب ويزن التجار .

بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتسموا بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من
ند وحزم بن رِيَّان في عسكر عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم ، فحذَّروهم كَاهِن
كَانَ مع بنى الحارث واسمه سَلَمَةُ بن المَعْقِل ، وقال :

« إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ أَعْقَابًا ^(١) ، وَتَغْزُونَ أَحْبَابًا ^(٢) ، سَعْدًا وَرَبَابًا ، وَتَرِدُونَ
مِيَاهًا جِبَابًا ^(٣) ، فَتَلْقَوْنَ عَلَيْهَا ضِرَابًا ، وَتَكُونُ غَنِيمَتُكُمْ تَرَابًا ^(٤) ، فَاطْبِعُوا
أَمْرِي وَلَا تَغْزُوا تَمِيمًا » ولكنهم خالفوه وقَاتَلُوا بنى تميم ، فَهَزِمُوا هَزِيمَةً نَكْرَاءَ .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغانى ١٥ : ٧٠)

٣٢٧ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كَانَ الْفَاكِهَةُ بن المغيرة المخزومي أحد فتیان قريش ، وكان قد تزوج هند
بنت عُتْبَةَ ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ لِلضِّيَافَةِ يَغْشَاهُ النَّاسُ فِيهِ بِلَا إِذْنٍ ، فَقَالَ ^(٥) يَوْمًا فِي
ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَهْنَدُ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا نَائِمَةً ، فَجَاءَ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَغْشَى
الْبَيْتَ ، فَلَمَّا وَجَدَ الْمَرْأَةَ نَائِمَةً وَلَّى عَنْهَا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْفَاكِهَةُ بن المغيرة ، فَدَخَلَ عَلَى
هِنْدَ وَأَنْبَهَاهَا ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا الْخَارِجُ مِنْ عِنْدِكَ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا انْتَبَهتُ حَتَّى
أُنْبَهْتِنِي ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ ، قَالَ : الْحَقُّ بِأَيْدِكَ ، وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِمْ ،
فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : يَا بِنْتُ الْعَارِ ^(٦) وَإِنْ كَانَ كَذِبًا ، بُثِّنِي شَأْنُكَ ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ
صَادِقًا دَسَسْتَ عَلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ ، فَيُقْطَعَ عَنْكَ الْعَارُ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا حَاكَمْتُهُ إِلَى

[١] أى يسير بكم عن بعض ، فريقاً في إثر فريق ، وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بنى قار ومن يوم جيلة ، وروى
أبو الفرج الأصبهاني أنه اجتمع من منحج ولحقها اثنا عشر ألفاً . [٢] هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها ،
وردت في الأصل عرفة هكذا : « إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ أَعْيَانًا ، وَتَغْزُونَ أَحْيَانًا ، سَعْدًا وَرَبَابًا » .

[٣] الجباب والأجباب جمع جب وهو الثر الكثيرة الماء البعيدة القعر . [٤] أورد صاحب الأغاني
من هذه الفقرة الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعراها إلى للأمور الحارثي وهو كاهن أيضاً .
[٥] قال قبله وقائلة وقيلولة ومقيلا : نام في القائلة وهي نصف النهار . [٦] أى اتقى العار .

بعض كهان اليمين ، قالت : والله يا أبتِ إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال :
إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبَيِّنَ ما قلت ، وإلا فإني كميني إلى
بعض كهان اليمين ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ،
ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما
شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بنية ،
ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت والله ما ذلك
لمكروه قبلي ، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولعله أن يسميني بِسْمَةٍ
تبقى على السنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأخبرُوكَ ، فصفر
بفرسه ، فلما أدلى حمداً إلى حبة بُرٍّ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى ^(١) عليها
وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في
أمر ، وقد خبأنا لك خبيئة ، فما هي ؟ قال : بُرَّة ، في كَمَرَةٍ ^(٢) ، قال : أريد
أبين من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرٍّ » ، في إحليل مُهرٍ ، قال : صدقت ، فانظر في أمر
هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ،
حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : « انهضى غير رَقْعَاء ^(٣)
ولا زانية ، وسَتَلِدِينَ مَلِكًا يسمى معاوية » .

فلما خرجت أخذ الفاكه يدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك
عنى ، والله لأحرِصَنَّ أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ،
فولدت له معاوية .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١١١)

[١] الوكاء ككتاب : حبل يشد به رأس القربة ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شدتها بالوكاء .
[٢] الكمرة : رأس الذكر . [٣] الرقعاء : البنى التي تكتب بالفجور ، من الرقاعة كفصاحة
وهي الكسب والتجارة ، هذا ما ورد في ابن أبي الحديد ، وفي غيره « رسعاء » والرسعاء : القبيحة ،
والرسعاء أيضاً : القليلة لحم العجز والمخزئين والأول أنسب .

٣٢٨ - خمسة نفر من طي^١ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفر من طي^١ من ذوى الحِجَا والرأى ، منهم بُرْج بن مُشهر ، وهو أحد المُعَمَّرِينَ ، وأُنَيْف بن حارثة بن لَأْمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَج أبو حاتم طي^١ ، وطارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبدِ رُضَى ، يريدون سَوَاد بن قارب الدَّوسى ، لِيَمْتَحِنُوا علمه ، فلما قَرُبُوا من السَّرَاة ، قالوا : لِيَخْتَبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا خَيْثًا ، وَلَا يُخْبِرْ بِهِ صَاحِبَهُ ، لِيَسْأَلَهُ عَنْهُ ، فَإِنْ أَصَابَ عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَخْطَأَ ارْتَحَلْنَا عَنْهُ ، نَخْبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَيْثًا ، ثُمَّ صَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَهْدُوا لَهُ إِبِلًا وَطُرْفًا مِنْ طُرْفِ الْحَيْرَةِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةً ، وَنَحَرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ دَعَا بِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فتكلم بُرْج - وكان أَسْنَهُمْ - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعَكَ الْجَنَابُ ^(١) ، وَصَفَّتْ عَلَيْكَ النِّعَمُ الرُّغَابُ ^(٢) ، نَحْنُ أَوْلُو الْآكَالِ ^(٣) ، وَالْحَدَائِقُ وَالْأَغْيَالِ ^(٤) ، وَالنِّعَمُ الْجُفَالِ ^(٥) ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلاكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُورِي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ - » .

فقال سواد : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالنَّعْمُ وَالْبَرَضُ ^(٦) ، وَالْقَرَضُ

[١] أمرع : أخصب ، والجناب : ماحول الدار . [٢] الصاق : السانغ الكثير ، يقال : خير فلان صاف على قومه : أى سابع عليهم ، والرضا : الواسعة الكثيرة جمع رغبة . [٣] الآكال : جمع أكل (كفعل وعنق) الرزق والمط من الدنيا . [٤] الأغيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . [٥] الجفال : الكثيرة . [٦] العمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الحلق إذا كان واسع الحلق سخيا ، والبوض : الماء القليل ، ويقال : فلان يتبرض حقه : أى يأخذه قليلا قليلا .

والفَرَضِ^(١) ، إنكم لأهلُ الهَضَابِ الشَّمِ^(٢) ، والنخيلِ العُمِ^(٣) ، والصَّخُورِ الصَّمِ^(٤)
مِنْ أَجَا العَيْطَاءِ ، وَسَلَمَى ذَاتِ الرَّقَبَةِ السَّطَمَاءِ^(٥)

قالوا : إنا كذلك ، وقد خَبَأَ لك كل رجل منا خَيْثًا ، لتخبرنا باسمه وخَيْثَه ،
فقال لبرج : « أَقْسَمُ بِالضِّيَاءِ وَالْحَلَاكِ^(٦) ، والنجومِ وَالْفَلَكَ ، والشروقِ وَالذَّلَكِ^(٧) ،
لقد خَبَأَتْ بُرْثُنَ فَرْنَخِ^(٨) ، فِي إَعْلِيَطِ مَرْنَخِ^(٩) ، تَحْتَ آسِرَةِ الشَّرْنَخِ^(١٠) » قال :
ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : أنت بُرْجُ بنِ مُشْهِرٍ ، عَصْرَةُ الْمُعْمَرِ^(١١) ،
وَتِمَالُ الْمُحَجَّرِ^(١٢) .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خَيْثِي وما اسمي ؟ فقال : « والسحابِ
والترابِ ، والأَصْبَابِ والأَحْدَابِ^(١٣) وَالنَّعَمِ الْكُثَابِ^(١٤) ، لقد خَبَأَتْ قُطَامَةَ
فَسِيطِ^(١٥) ، وَقُدَّةَ مَرِيطِ^(١٦) ، فِي مَدَرَةٍ مِنْ مَدَى مَطِيطِ^(١٧) » قال :
ما أخطأت شيئًا ، فمن أنا ؟ قال : « أنت أنيف ، قَارِي الضَّيْفِ ، وَمُعْمَلِ
السَّيْفِ ، وَخَالِطُ الشِّتَاءِ بِالصَّيْفِ » .

[١] الفرس : مانعطيه لتقضاء ، والفرس : ما فرضته على نفسك فوجبه أوجدت به لغير ثواب .
[٢] الشم : الطوال ، وكذا العم . [٣] أجَا وسلمى : حبلا طي ، والعيطاء : الطويلة ، وكذا
السطماء . [٤] الحلك : شدة السواد . [٥] دلكت الشمس دلوكاً : غربت أو اصفرت ،
والذلک : وقت الدلوک . [٦] البرثن : ظفر كل ما لا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة
فإذا كن مما يصيد ، قيل لظفره محلب . [٧] المرح : شجر تقدح منه النار ، والإعليط : وعاء ثمر
المرخ ، والعرب تشبه به آذان الحيل . [٨] الأسرة والإسار : القدر الذي يشد به خشب الرحل ،
وشرخا الرحل حاناه . [٩] المعمر : الذي ذهب منه ، والعصرة : الملبأ والمسجاة .
[١٠] التمال : الغيات الذي يقوم بأمر قومه ، والمحجر : الملبأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه .
[١١] الأصباب : جمع صيب كسبب : وهو ما انخفض من الأرض ، والأحداب جمع حدب كسبب أيضاً :
وهو ما علا . [١٢] الكثيرة . [١٣] القطامة : ما قطته بفك ، وألقطه بأطراف الأسنان ،
والفسيط : قلامة الظفر . [١٤] القدّة : الريشة ، والمريط من السهام : الذي قد تمرط ريشه أي تنف
[١٥] المدرة : قطعة طين يابسة ، والمدى : جدول صغير يسيل فيه ما هريق من ماء البثر ، والمطيط :
الماء الحار في أسفل الحوض .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم
لِسَوَامِ الْعَازِبِ ^(١) ، وَالْوَقِيرِ الْكَارِبِ ^(٢) ، وَالْمُجِدِّ الرَّاكِبِ ، وَالْمُشِيحِ
الْحَارِبِ ^(٣) ، لَقَدْ خَبَأَتْ نُفَاثَةُ قَتْنٍ ^(٤) ، فِي قَطِيعٍ قَدَمَرَنٍ ^(٥) ، أَوْ أَدِيمٍ قَدْ
جَرَنَ » . قال : ما أخطأت حرفاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعدِ النَّوَالِ ، عَطَاؤُكَ
سِجَالٌ ^(٦) ، وَشَرُّكَ عُضَالٌ ، وَحَمْدُكَ طَوَالٌ ، وَيَتَنُكَ لَا يُنَالُ » .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بِنَفْنَفِ
اللُّوْحِ ^(٧) ، وَالْمَاءِ الْمَسْفُوحِ ^(٨) ، وَالْفَضَاءِ الْمَنْدُوحِ ^(٩) ، لَقَدْ خَبَأَتْ زَمْعَةٌ طَلًّا
أَعْقَرَ ^(١٠) ، فِي زِعْنِفَةٍ ^(١١) أَدِيمٍ أَحْمَرٍ ، تَحْتَ حِلْسٍ نِضْوٍ أَدْبَرَ ^(١٢) » . قال :
ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسان المَضْبِ ، وَالْقَلْبِ
النَّدْبِ ^(١٣) ، وَالْمَضَاءِ الْغَرَبِ ^(١٤) ، مَنَاعُ السَّرْبِ ^(١٥) ، وَمُبِيحُ النَّهْبِ » .

ثم قام مُرَّةُ بْنُ عَبْدِ رُضَى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد :
« أقسم بِالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْبُرُوجِ وَالْأَنْوَاءِ ^(١٦) ، وَالظُّلَمَةِ وَالضِّيَاءِ ، لَقَدْ خَبَأَتْ
دِمَّةٌ ^(١٧) ، فِي رِمَّةٍ ^(١٨) ، تَحْتَ مَشِيطِلَةٍ ^(١٩) » . قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟

[١] السوام : المال الراعى من الإبل ، والعازب : البعيد . [٢] الوقير : القطيع من الغنم ،
والكارب : القريب . [٣] المنيع : الجاد ، في لغة هذيل ، وفي غيرها الحاذر ، والحارب : الساب ،
حربه حرباً كطلبه طلباً : سله ماله . [٤] النفاثة : ما تنفنه من فيك ، والفنن : واحد أمان
الأشجار وهي أغصانها . [٥] القطيع : ما يقطع من الشجر ، ومرن وحرن : لان .
[٦] أي متداول بين الناس ، لكل مريق منه نصيب . [٧] النفف واللوح واحد ، وهما الهواء
وإنما أضاف لما اختلف الله ظان ، مكانه أضاف الشيء إلى غيره . [٨] المصبوب .
[٩] الواسع . [١٠] الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأدبر من الطاء :
ما يعلو يياصه حمرة ، والزمعة : الشمرات المتدليات في رجل الأرنب . [١١] زعانف الأديم : أطرافه
مثل البدين والرجلين ، وما لا خير فيه جمع زعنفة بكسر الزاي والنون ، ومنه قيل لردال الناس الرعاف .
[١٢] الحلس البعير كالبرذعة للحافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذي أصابه
الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة . [١٣] الدكي . [١٤] الحد . [١٥] السرب بالفتح :
الماشية كلها ، وبالسكسر القطيع من الأطباء والنساء وغيرها . [١٦] الأنواء : جمع نوء (كسهم)
النجم : مال للغروب . [١٧] الدمة : القملة . [١٨] الرمة : العظام الدالية .
[١٩] اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، والمشيط : المشوط .

قال : « أنت مُرَّة ، السريع الكُرَّة ، البطيء الفرَّة ، الشديد المِرَّة ^(١) » .
 قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والناظر من حيث لا يُرى ، والسامع قبل أن يُنَاجى ، والعالم بما لا يُدْرى ، لقد عنت لكم عُقابٌ عَجْزاً ^(٢) ، في شغائب ^(٣) دَوْحة جَرْدَاء ، تحمل جَدلاً ^(٤) ، قماريم ^(٥) إِمَائِدًا وإِمَارِجَلًا » فقالوا : كذلك ، ثم مه ؟ قال : « سَنَحَ لكم قبل طلوع الشَّرْق ^(٦) ، سِيدٌ أَمَقٌ ^(٧) ، على ماء طَرَق ^(٨) » قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق ^(٩) ، سَنَدٌ في أبرق ^(١٠) ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوايلة ^(١١) والمِرْفَق ^(١٢) » .
 قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه . (الأمالي ٢ : ٢٩٢)

٣٢٩ — حديث مصاد بن مذعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِيُّ رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ ^(١٢) قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَذَدَّ ذَوْدَهُ ^(١٣) مِنْ أَذْوَادِهِ ، فَخَرَجَ فِي بَغَائِهَا ^(١٤) ، قَالَ : فَإِنِّي لِنِي طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا ^(١٥) كَشِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا ^(١٦) ، فَأَنْخَتُ رَاحَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَعْتُ ^(١٧) بَعِيرِي ، وَاضْطَجَعْتُ

-
- [١] للمرّة : اقوة . [٢] المعراء : التي ايض ذنبا ، (وحي غير هذا الموضع : التي كبرت عجيزتها) .
 [٣] الشغائب جمع شغوب كمصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة .
 [٤] الجدل : العصور وجمعه جدول . [٥] تجادلتم . [٦] الشرق : الشمس ، والرب تقول لا أفعل ذلك ماطلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . [٧] السيد : الذئب ، والأمق : الطويل . [٨] الطرق : الماء الذي بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طرق ومطروق .
 [٩] الأفرق من الشاء : العيد ما بين خصيه . [١٠] سند في الجبل : صد ، والأبرق والبرقاء والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ودل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوان .
 [١١] الوايلة : رأس العضد الذي يلي المنكب .
 [١٢] المرباع : ربع الغنمة ، وكان يختص به الرئيس في الجاهلية [١٣] ندّ : شرد ، والذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون [١٤] طلبها [١٥] كثير الشجر . [١٦] لعباً وكلا . [١٧] شددت رسفه

في بُرْدِي ، فإذا أَرَبِعُ جَوَارٍ ، كأنهن اللآلي ، يَرَعَيْنُ بَهْمًا لَهْنًا ، فلما خالطت عيني السُّنَّةُ ، أقبلن حتى جلسن قريباً مني ، وفي كف كل واحدة منهن حَصِيَّاتٌ تَقْلِبْنَهُنَّ ، نَخَطُتْ إحداهن ثم طَرَقْتُ ^(١) ، فقالت : « قلن يا بناتِ عَرَافٍ ، في صاحب الجمل النِّيَافِ ^(٢) ، والْبُرْدِ الكَشَافِ ^(٣) ، والجَرِمِ ^(٤) لِنُخْفَافِ ^(٥) » ، ثم طَرَقْتُ الثانية ، فقالت : « مُضِلُّ أذْوَادٍ عَلَا كِدِ ^(٦) ، كُومِ صَلَاحِهِ ^(٧) . منهن ثلاثٌ مَقَاحِدِ ^(٨) ، وأربعٌ جَدَائِدِ ^(٩) ، شُسُفٌ صَمَارِدِ ^(١٠) » ، ثم طَرَقْتُ الثالثة فقالت : « رَعَيْنُ الْفَرَعِ ^(١١) ، ثم هَبَطْنَ الْكَرْعَ ^(١٢) ، بين الْعَقِدَاتِ وَالْجَرَعِ ^(١٣) » فقالت الرابعة : « لِيَهْبِطِ الْعَائِطُ الْأَفْيَحِ ^(١٤) ، ثم ليظهرْ في الْمَلَا الصَّخَصَحِ ^(١٥) ، بين سَدِيرٍ وَأَمْلَحِ ^(١٦) ، فهناك الذُّودُ رِتَاعٌ بِمُنْعَرَجِ الْأَجْرَعِ » قال : فقدمت إلى جملي فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ما سألتهن مَنْ هُنَّ وَلَا يَمْنُنْ هُنَّ ؟ فلما أدبرت ، قالت إحداهن : « أَبْرَحُ ^(١٧) فَتَيَّ إِنْ جَدَّ فِي طَلَبٍ ، فماله غيرهن نَشَبِ ^(١٨) ، وسيثُوبٌ عن كَثَبِ ^(١٩) » ،

[١] الطرق : ضرب الكاهن بالخصي . [٢] جل نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع .
[٣] الكشيف . [٤] الجسد . [٥] الخفيف . [٦] أضل دابته : قدما ، والعلاكد :
الصلاب الشداد جمع علكد (بكسر وزبرج وقتند) . [٧] بغير أكرم ، وفاقه كوما : عطية السنام
والجمع كوم ، والصلاح : العظام الشداد ، واحدا صلاحدا بانغم . [٨] المقاحد جمع مقحاد ، وهي الغليظة
السنام (والقعدة كرقبة : السنام أو أصله) . [٩] الحدايد جمع جدود كصبور : وهي التي انقطع لبنها
[١٠] شسف جمع شاسف : وهو الياس صبرا وهزالا ، والصمارد جمع صمرد كزبرج : القليلة اللبن
[١١] الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل . [١٢] الكرْع : ماء السماء ينزل فيمنقع ، وسمى كرعا
لأن الماشية تكرر فيه . [١٣] العقيدات جمع عقدة : وهي ما تمقد من الرمل ، والجرع جمع جرعة
بالسكون وبحرك : للزلة لإلادمية النبات لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص
لا يثبت ، أو الكتيب جانب منه رمل وحانب حجارة كالأجرع والجرعاء . [١٤] العائط : المطمئن
من الأرض ، والأفيح : الواسع . [١٥] الملا : الفضاء ، والصحصح والصحصاح ولصحصعان :
ما استوى من الأرض . [١٦] سدير وأملح : موضعان . [١٧] أشد . [١٨] المال الأصيل من
الناطق والصامت . [١٩] يثوب : يرجع ، والكثب : القرب .

فَفَزَعَ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلَهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَفْتُ بِوَادِيَّ عَرَبًا
عُكَامِسًا ^(١) ؟ فَرَكِبْتُ السَّمْتَ ^(٢) الَّذِي وَصَفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ ،
فَإِذَا ذُوْدِي رَوَاتِعُ ، فَضَرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ، حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِبِلِي ،
فَإِذَا الرِّعَاءُ تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَقُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : أَغَارَتْ بَهْرَاءُ عَلَى إِبِلِكَ ،
فَأَسْحَفَتْهَا ^(٣) ، فَأَمْسَيْتُ وَاللَّهِ مَالِي مَالٌ غَيْرُ الذُّودِ ، فَرَمَى اللَّهُ فِي نَوَاصِيهِنَّ
بِالرَّغْسِ ^(٤) ، وَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَكْثَرُ بَنِي الْقَيْنِ مَالًا . (الْأَمْالُ : ١ : ١٤٣) .

٣٣٠ - حَدِيثُ خُنَافِرِ بْنِ التَّوَمِ الْحَمِيرِيِّ مَعَ رَثِيَّةٍ شِصَارٍ

كَانَ خُنَافِرُ بْنُ التَّوَمِ الْحَمِيرِيُّ كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ بِسَطْرَةٍ فِي الْجِسْمِ ،
وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودُ الْيَمَنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوُظِّعَ الْإِسْلَامُ ، أَغَارَ عَلَى إِبِلِ لِمُرَادٍ فَكَتَسَحَهَا ، وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَلَحِقَ
بِالشَّعْرِ ، فَخَالَفَ جَوْذَانَ بْنَ يَحْيَى الْفِرَاضِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيْعًا ، وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ
أَوْدِيَةِ الشَّعْرِ ، مُخَصِّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْعَرِينِ ^(٥) ، قَالَ خُنَافَرُ : وَكَانَ
رَثِيَّةً ^(٦) فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ غَنًى ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدَتْهُ مَدَّةً طَوِيلَةً ،
وَسَاءَ لِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَا أَنَا لَيْلَةٌ بِذَلِكَ الْوَادِي نَائِمًا ، إِذْ هَوَى هُوِيَّ الْمُقَابِ ، فَقَالَ :
خُنَافَرُ ؟ فَقُلْتُ : شِصَارُ ؟ فَقَالَ : اسْمَعْ أَقُلْ ، قُلْتُ : قُلْ أَسْمَعْ ، فَقَالَ : «عِ تَغْنَمُ ،
لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَآيَةٌ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ ، قُلْتُ : أَجَلٌ ، فَقَالَ : كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى

[١] المَرَجُ : نَحْوُ حِمَاةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْمَكَامِسُ وَالْمَكَابِسُ : الْكَثِيرُ . [٢] الطَّرِيقُ .

[٣] اسْتَأْصَلَهَا . [٤] الرِّغْسُ : الْبَرْكَةُ وَالنِّمَاءُ .

[٥] الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ الْكَثِيرُ ، وَالْفَيْضَةُ تَنْبُتُ السُّدْرَ وَالْأَرَاكَ ، أَوْ الْجَمَاعَةَ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ ،

وَالْعَرِينُ : جَمَاعَةُ الشَّجَرِ . [٦] الرُّثْيُ : مَا يَتَرَاءَى لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْجَنِّ فَيُحِبُّ .

أجل ، ثم يُتَّاح لها حَوْلٌ^(١) ، أُنْتُسِخَتْ النُّحْلُ ، وَرَجَعَتْ إِلَى حَقَائِقِهَا الْمِلَلُ ،
 إِنَّكَ سَجِيرٌ^(٢) مَوْصُولٌ ، وَالنُّصْحُ لَكَ مَبْدُولٌ ، وَإِنِّي آأَنْتُ^(٣) بِأَرْضِ الشَّامِ
 نَقْرًا مِنْ آلِ الْعُدَامِ^(٤) ، حُكَّامًا عَلَى الْحُكَّامِ ، يَذْبُرُونَ^(٥) ذَارَ وَتَقٍ مِنَ الْكَلَامِ ،
 لَيْسَ بِالشَّعْرِ الْمُؤَلَّفُ ، وَلَا السَّجْعِ الْمُتَكَلَّفُ ، فَأَصْغَيْتُ فَرْجِرْتُ ، فَعَاوَدْتُ
 فَظَلِّفْتُ^(٦) ، فَقُلْتُ : بِمِ تَهَيَّنُمُونَ^(٧) ، وَإِلَّامَ تَعْتَرُونَ^(٨) ؟ قَالُوا : « خِطَابُ
 كُبَّارٍ^(٩) ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، فَاسْمِعْ يَا شِصَارُ ، عَنْ أَصْدَقِ الْأَخْبَارِ ،
 وَاسْمُكَ أَوْضَحُ الْآثَارِ ، تَنْجُ مِنْ أَوَارٍ^(١٠) النَّارِ » ، فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا الْكَلَامُ ، فَقَالُوا :
 « فُرْقَانٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، رَسُولٌ مِنْ مُضَرَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ ، ابْتُعِثَ فَظْهَرَ ،
 لِنَجَاءِ بَقُولٍ قَدْ بَهَرَ ، وَأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ دَثَرَ ، فِيهِ مَوَاعِظٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَمَعَاذٌ لِمَنْ
 ازْدَجَرَ ، أَلْفَ بِالْأَيِّ الْكَبِيرِ » قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ :
 « أَحْمَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ ، فَإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّيْرَ^(١١) ، وَإِنْ خَالَفتَ أُصْلِيَتْ سَقَرًا ،
 فَأَمَنْتَ يَا خَنَافَرُ ، وَأَقْبَلْتَ إِلَيْكَ أَبَادَرُ ، لِمَنْ جَانِبُ كُلِّ كَافِرٍ ، وَشَايِعُ كُلِّ مُؤْمِنٍ
 طَاهِرٍ ، وَإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ، لَا عَنْ تَلَاقٍ » ، قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ أَبْغَى هَذَا الدِّينَ ؟ قَالَ :
 مِنْ ذَاتِ الْإِحْرَيْنِ^(١٢) وَالنَّفَرِ الْيَمَانِيِّ ، أَهْلُ الْمَاءِ وَالطِّينِ » قُلْتُ : أَوْضِغْ ،
 قَالَ : « الْحَقُّ يَثْرِبُ ذَاتِ النَّحْلِ ، وَالْحَرَّةُ ذَاتِ النَّحْلِ^(١٣) ، فَهَنَّاكَ أَهْلُ الطُّوَلِ

[١] الحول : التحول . [٢] السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير
 والشجير للصديق . [٣] أبهرت . [٤] العذام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .
 [٥] ذبرت الكتاب : قرأته (وذبرته أيما : كتبه كزبرته) . [٦] منعت .
 [٧] الهيبة : الصوت الحى . [٨] تنقبون . [٩] كبير . [١٠] الأوار : حر النار .
 [١١] ما يشرب بالسكون : الخير وحرك السجع . [١٢] الحرّة (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود
 وتجمع على حرّات وحرار وحرّين وأحرّين . [١٣] النحل : المكان الفليظ من الحرّة .

والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم املتس^(١) عني ، فبت مذعوراً أراعي الصباح ،
فلما برق لي النور ، امتطيت راحتي ، وآذنت^(٢) أغبدي ، واحتملت بأهلي ،
حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، بمحولها وسقايها^(٣) ، وأقبلت
أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فبايعته على الإسلام ، وعلمني سوراً من القرآن ، فن الله علي بالهدى بعد الضلالة ،
والعلم بعد الجهالة . (الأمل ١ : ١٣٣)

٢٣١ - شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
قديم على تبغ الآخر ملك اليمن ، قبل خروجه لقتال المدينة^(٤) ، شافع بن
كليب الصدفي^(٥) ، وكان كاهناً ، فقال له تبغ : هل تجد لقوم ملكا يوازي
ملكي ؟ قال : لا ، إلا ملك غسان ، قال : فهل تجد ملكاً يريد عليه ؟ قال :
« أجده لبار مبرور ، ورائد^(٦) بالقهور^(٧) ، ووصف في الزبور ، فضلت

[١] أفك . [٢] أعلت . [٣] الحول جمع حائل وهي الأنثى من أولاد الإبل ، والسقاب جمع
سقب كشش وهو الذكر .

[٤] قال ابن إسحق : « كان تبغ الآخر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على
على المدينة ، وكان حين مر بها في بدايته لم يهج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة ، فقدمها
وهو يجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله ، فزعم الأنصار
أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينما هو
على ذلك إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة طلمان راسخان في العلم ، فقالا له : قد سمعنا
ما تريد أن تفعل ، وإفك إن آيت إلا ذلك ، حيل بينك وبينه ، ولم نأمن عليك طاجل العقوبة ، فقال :
ولم ذلك ؟ قالا : إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون داره وقراره ،
فأنهى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما ، واتبعهما على دينهما ، وكان هو وقومه أصحاب أوثان ، وخرج
متوجهاً إلى اليمن ، فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطبقوا على دينه ، فن هنالك ومن ذلك كان
أصل اليهودية باليمن (سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦) .

[٥] الصدفي نسبة إلى صدف ككتف : بطن من كندة . [٦] الرائد في الأصل : المرسل في طلب
الكلاء من الرود وهو الطلب ، يعني به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رائداً لأمته يرتاد لها الخير
قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أهله » .

[٧] جاء في معجم البلدان : « القهر (كشش) أسافل الحجاز مما يلي نجد من قبل الطائف ،

أُمته في السُّفور^(١)، يَفْرِجُ الظُّلَمَ بالنور، أحمد النبي، طوبى لأُمته حين يحيى،
أجد بنى لؤى، ثم أجد بنى قُصَيٍّ .

فنظر تبع في الزبور، فإذا هو يمد صفة النبي صلى الله عليه وسلم .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٢ - سطيح الذئبي^(٢) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي

ورأى ربيعة بن نصر اللخمي ملك اليمين - وقد ملك بعد تبّع الآخر - رؤيا
هالته، فلم يدع كاهنًا، ولا ساحرًا، ولا عَافِيًا، ولا مَنْجِيًّا من أهل مملكته إلا
جمعه إليه، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفَطِطْتُ^(٣) بها، فأخبروني
بها وتأويلها، قالوا له : اقْصُصْهَا علينا نخبرك بتأويلها، قال : إني إن أخبرتكم
بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن

وأشد لحداش بن زهير :

دعوا جاني، إني سأزل جانباً لكم واسماً بين اليمامة والقهر
وأقول : هذا الوصف ينطبق على مكة فهي واقعة جنوبي الحجاز . . . الخ فالمراد : « أجد ملكاً يزيد على
ملكك لرائد يظهر بتلك القناع » أما كلمة القهور فلم أجدها في معجم، ولعل الكاهن جمع « القهر »
على قهور، لإقامة الفاصلة، أو هو على حد قول امرئ القيس :

يزل الغلام الحف عن صهواته كما زلت الصفواء بالمنزل

[١] السفر (كحل) الكتاب الكبير، أو جزء من أجزاء التوراة، وفي كتب اللغة أنها تجمع على
أسفار، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السجع أيضاً .

[٢] اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان، وكان يقال له الذئبي
نسبة إلى ذئب بن عدي، وكان من العمرين قبل طش ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة، وزعموا أنه لم يكن له
رأس ولا عنق، وأن وجهه كان في صدره، وأنه كان جسداً ملقى لا جوارح له، وكان لا يقدر على
الجلوس إلا إذا غضب، فإنه ينتفح فيجلس، وكان له سرير من الجريد والخوص، إذا أريد نقله إلى مكان
يطوى من رجليه إلى جيجته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير، وإذا أريد استخباره ليخبر عن
الغيبات يحرك كما يحرك سقاء القين فينتفح ويمتلئ ويطوى النفس فيسأل فيجبر عما يسأل عنه، (كذا)
وأن كاهنة بنى سعد بن هذيم وكانت بأطال الشام لما حضرتها الوفاة طلبت سطيحاً وشفا (وسبأني ذكره)
وتقلت في نفسها، وذكرت أن سطيحاً يخلطها في كهانتها، ثم ماتت في يومها ذلك .

[٣] فطع بالأمر كمرح فطاعة : إذا ماله وغلبه .

أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا ، فليبعث إلى سَطِيحٍ وشَقٍّ ، فإنه ليس أحد أعلم منهما فيها ، يُخبرانه بما سأل عنه ، فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبل شَقٍّ ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفَطِطْتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصَبْتها أصَبْتَ تأويلها . قال : أَفْعَل « رأيت مُحَمَّةً ^(١) ، خرجت من ظَاُمة ^(٢) ، فوقعت بأرض تَهمة ^(٣) ، فأكلت منها كل ذاتِ مُجْجمة ^(٤) » ، فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سَطِيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : « أخلِفُ بما بين الحرَّتين ^(٥) من حَشَش ، لِيَهْبِطَنَّ أرضكم الحبشُ ، فَلِيَمْلِكُنَّ ما بين أُبَيْنَ ^(٦) إلى جُرَش ^(٧) » ، فقال له الملك : وأيّك يا سَطِيح . إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن ، أفي زمانى هذا أم بعده ؟ قال : « لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين » قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : « لا ، بل ينقطع لبِضْع وسبعين من السنين ، ثم يُقْتَلون بها أجمعين ، ويخرجون منها هارين » قال : ومن يَلِي ذلك مِنْ قَتْلِهِمْ وإخراجهم ؟ قال : « يليه إِرَمٌ ^(٨) ذى يَزَن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومن يقطعه ؟ قال نبي زَكَّى ، يأتيه الوحي من قِبَلِ الْعَلِيِّ

[١] الحمة وتجمع على حم : الفحمة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الحمة على الجمر مجازاً باعتبار ما يشول إليه وهو المراد هنا . [٢] الظلمة : الظلام ، وسترى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى الأحباش السود . [٣] التهمة بالتحريك : الأرض المنصوبة إلى البحر ، كالتهم محركة أيضاً كأنهما مصدران من تهامة ، لأن التهام منصوبة إلى البحر (ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرجة أى شديدة الحر ، من التهم بالتحريك وهو شدة الحر) وى ابن الأثير « بهمة » بالباء يقال : أرض بهمة كفرجة أى بكثيرة البهيمى ، والبهيمى بالضم اسم نبت ، والضبط الأول عندى أرجح . [٤] أى كل نفس . [٥] الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، [٦] مخلاف باليمن منه مدينة عدن . [٧] مخلاف باليمن من جهة مكة . [٨] الإرم كغيب وكنف : العلم (بالتحريك) أو خاص بعاد ، والعلم سيد القوم ، أى بهولاه سيد بنى ذى يزن ، وهو سيف بن ذى يزن .

قال : وممن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : « نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يستعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون » .
قال : أحق ما تُخبرنا يا سطيح ؟ قال : « نعم ، والشفق ، والغسق ^(١) ، موافلق ^(٢) إذا انشق ، إن ما أنباتك به لحق » .

٣٣٣ — شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ، قال : « نعم ، رأيت حمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » . فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أحلف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة ^(٤) البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران ^(٥) » فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موبع ، فتى هو كائن : أفى زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ الهوان » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدني ولا مدن ^(٦) ، يخرج عليهم من

[١] الشفق : الحمرة في الأفق من الرووب إلى قرب الغتة ، والغسق : ظلمة أول الليل .

[٢] الفلق : الصبح أو ما انتفاق من عموده . [٣] هو شق بن مصعب بن بشكر بن رهم بن أقر

ابن قيس بن عجر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شق إنسان (أى نصفه) له يد واحدة ورجل

واحدة وعين واحدة . [٤] مؤنث طفل : وهو الرخصى الناعم من شيء . [٥] مخلاف شمالى اليمن .

[٦] اللقى : مسهل عن دنى ، والدنى : المقصر عما ينبغي له أن يغطه ، وفي ابن الأثير « مزن »

بالزاي واللزن : المنهم ، من أزننته بكذا أى اتهمته به .

يبت ذى يَزَن^(١) » قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول
مُرْسَل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه
إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى
فيه من السماء بِدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَع فيه بين الناس
لِلْمِيقَات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحق ما تقول ؟
قال : « إى وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رَفَع وَخَفَض ، إن
ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض^(٢) »

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما
يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسكنهم
الحيرة ، فمن بقية ولده النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن
النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .
(سيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٤ - وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطوح

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجّ إيوان كسرى ، فسقطت

[١] وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التبايسة باليمن (وكان قد تهوّد
ولمصب اليهودية وحمل عليها قبائل اليمن) اصطهد نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها
على ابنين له قتلوهما ظلماً ، فتوسل إلى ذى نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحصى له ولدينه وغزاهم ،
ويقال إن رجلاً من أهل نجران أملت من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجد به على ذى نواس ، فبعث
قيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بنصرة النصارى ، فجهز نجاشياً إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو
نواس فيمن معه فدارت الدائرة عليه ، وملك الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج
سيف بن ذى يزن الحميرى وقدم على قيصر يوستنيان يستنجد به على الحبشة فأبى ، وقال : « الحبشة على دين
النصارى ، فرجع إلى كسرى أبوشروان واستعانه ، فأمدّه بجيش ممن كانوا فى سجونه ، فقاتلوا الأحباش
وهزمهم ، واسترد سيف عرش آبائه على فريضة يؤديها كل طام للمرس ختى قتل ، فأرسل كسرى عاملاً
على اليمن واستمرت عماله إلى أن كان آخرهم باذان فأسلم ، وصارت اليمن إلى الإسلام فى عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم . [٢] أى شك أو باطل .

منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كَانَ أَوْشَكَ أَنْ كُتِبَ
إِلَيْهِ صَاحِبُ الْيَمَنِ يُخْبِرُهُ أَنَّ بِحِيرَةَ سَاوَةَ ^(١) خَاضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
صَاحِبُ السَّامَاوَةِ يُخْبِرُهُ أَنَّ وَادِيَ السَّامَاوَةِ ^(٢) انْقَطَعَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
صَاحِبُ طَبَرِيَّةَ أَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَجْرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي بَحِيرَةِ طَبَرِيَّةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ
فَارِسَ يُخْبِرُهُ أَنَّ بَيْوتَ النِّيرَانِ خَمَدَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَمْ تَخْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ سَنَةٍ ،
فَلَمَّا تَوَاتَرَتْ الْكُتُبُ أُبْرَزَ سَرِيرُهُ وَظَهَرَ لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ
الْمُوبَدَّانُ ^(٣) : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا هَالَتْنِي ، قَالَ لَهُ : وَمَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ :
رَأَيْتُ إِبِلًا صَعَابًا ، تَقْوُدُ خَيْلًا عَرَبِيًّا ، قَدْ اقْتَحَمَتْ دَجَلَةً وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِنَا ،
قَالَ : رَأَيْتَ عَظِيمًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا
شَيْءٌ ، وَلَكِنْ أُرْسِلُ إِلَى عَامِلِكَ بِالْحِيرَةِ يُوَجِّهُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ
أَصْحَابُ عِلْمٍ بِالْحَدِثَانِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيَّةِ الْفَسَّانِي ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ
كَسْرَى الْخَبَرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَاللَّهِ مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا شَيْءٌ ،
وَلَكِنْ جَهَّزْنِي إِلَى خَالِ لِي بِالشَّامِ يُقَالُ لَهُ سَطِيجٌ قَالَ : جَهِّزْهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ إِلَى
سَطِيجٍ وَجَدَهُ قَدْ اخْتَضِرَ ، فَنَادَاهُ فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَكَلِمَةً فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ :
أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ^(٤)
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَتَنْ أَيْضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنُ ^(٥)

[١] هكذا في العقد الفريد ، وفي السيرة الحلبية . « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره
أن بحيرة ساوة خاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى ومهذان في
وسط ، بينها وبين كل واحد من هذان والرى ثلاثون فرسجاً ، وفي حديث سطيج في أعلام النبوة :
« وجدت فار فارس ، وطارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

[٢] موضع بين الكوفة والشَّام . [٣] الموبدان والموبد : فقه العرس وحاكم الخوس .

[٤] الغطريف : السيد الفريف . [٥] الضففاض : الواسع .

رسول قيل المعجم يهوى للوثن لا يزهب الرعد ولا ريب الزمن^(١)
 فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جبل مشيح^(٢) ، إلى سطيح ، وقد
 أوفى على الضريح^(٣) ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخود
 النيران ، ورؤيا الموبدان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً عرباً ، قد اقتحمت في
 الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة^(٤) ، وظهر
 صاحب الهراوة^(٥) ، وفاض وادي السماوة ، وفاضت بحيرة ساوة ، وخذت
 نار فارس ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شكماً ، يملك منهم
 ملوك وملكات^(٦) ، عدد سقوط الشرفات ، وكل ما هو آت آت » ثم قال :
 إن كان ملك بني ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطواراً دهاير^(٧)
 منهم بنو الصرح بهرام وإخوته والهرمزان وسابور وسابور
 فربما أصعبوا يوماً بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاير^(٨)
 حثوا المطي وجدوا في رحالهم فما يقوم لهم سرج ولا كور^(٩)
 والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقل فحتور ومهجور^(١٠)
 والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

[١] القيل : الملك ، أو هو دون الملك الأعلى . [٢] حاد سريع . [٣] أى القبر ، والمراد الموت . [٤] أى تلاوة القرآن . [٥] الهراوة : العصا الضخمة ، وصاحبها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه . [٦] قال صاحب الديرة الحلبية : « لم أقف على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهى بوران ، ملكت سنة ثم هلكت » .
 [٧] أفرطهم : تركهم وزال عنهم ، قال تعالى : « لَأَجْزَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّابَ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ » أى متروكون فيها ، ودهر دهاير : أى شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم . [٨] المهاير جمع مهيار أو مهير وهو الأسد من المهر وهو الكسر والجذب والإمالة . [٩] الكور : الرجل بأداته . [١٠] أولاد العلات : أولاد أمهات شتى من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغمة ذلك ، ثم تعزى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(العقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر لأبي العلاء ١ : ١١٠)

٣٣٥ - شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كَانَ قَسِيٌّ - وهو ثقيف ^(١) - مقيمًا باليمن ، فضاقت عليه موضعه ونبأ ^(٢) به ، فَأَتَى الطَّائِفَ ، وهو يومئذ منازل فهم وَعَدَوَانِ بنى عمرو بن قيس بن عِيلَانَ ، فأتتهى إلى الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي ، فوجده نائمًا تحت شجرة فأيقظه ، وقال : من أنت ؟ قال : أَنَا الظَّرْبُ ، قال : عَلَى أَلِيَّةٍ ^(٣) ، إن لم أقتلك ، أو تحلف لى لَتَزَوِّجَنِي ابْنَتَكَ ، ففعل ، وانصرف الظرب وقسيَّ معه ، فأتاه ابنه عامر بن الظرب ، فقال : من هذا معك يا أبتِ ؟ فقص قصته ، قال عامر : لله أبوه ! لقد ثَقِفَ ^(٤) أمره ، فسمى يومئذ ثقيفًا ، وغيرَ الظرب بتزويجه قَسِيًّا ، وقيل زوجت عبدًا ، فسار إلى الكهان يسألهم ، فأتتهى إلى شِقِّ بن مُصْعَبِ الْبَجَلِيِّ ، وكان أقربهم منه ، فلما أتتهى إليه قال : إنا قد جئناك في أمر فما هو ؟ قال : « جِئْتُمْ فِي قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ عَبْدٌ إِيَادَ ، أَبَقَ ^(٥) لَيْلَةَ الْوَادِ ، فِي وَجْجٍ ^(٦) »

[١] هو أبو الصيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : لهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ، وعليه جمهور الناس ، ويرى آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وأن النعم أحوه لأبيه وأمه ، ثم افترا ، صار أحدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج ، وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا نمود من العرس القديمة التى نادت وانقرصت . قال المجاج على المنبر : يزعمون أنا من بقايا نمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَنَمُودَ فَمَا أَبَقَ » وقال مرة أخرى : واتى كنا من بقايا نمود لما نجتمع صالح إلا خيارم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف في شرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٩٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٨ ، والافان ٤ : ٧٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ . [٢] نبأه منزله : لم يواقع . [٣] الألية : اليمن . [٤] ثقف ككرم وفرح صار حذقا خفيفا فطما وثقفا الشيء كفرح : ظمربه . [٥] هرب . [٦] وج : اسم واد بالطائف .

ذاتِ الأنداد ، فوالى سعداً ليفكاد ، ثم لوى بغير معاد « يعنى سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر ، ثم توجه إلى سطيح الذئبي حتى من غسان - ويقال إنهم حتى من قضاة نزل في غسان - فقالوا : إنا جئناك في أمر فها هو ؟ قال : « جئتم في قسي ، وقسي من ولد ثمود القديم ، ولدته أمه بصخراء تريم ^(١) ، فالتقطه إياد وهو عديم ، فاستعبده وهو ملهم ^(٢) » ، فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره ، وقد وكّد عليه في الحلف والتزويج ، وكانوا على كفرهم يوفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من ثمود ، لأن إياداً من ثمود .

(الأغانى ٤ : ٧٥)

٣٣٦ - تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيين إلى عزي سلمة الكاهن

كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذو الهرم ^(٣) ، فغلبه عليه خندف بن الحارث الثقي ، فنافرهم عبد المطلب إلى عزي سلمة الكاهن - أو إلى نفيل بن عبد العزي جد عمر بن الخطاب ^(٤) - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثقيون مع صاحبهم ، وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب ، فنفد ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبوا ، فبلغ العطش منه كل مبلغ ، وأشرف على الهلاك ، فبينا عبد المطلب يشير بعيره ليركب ، إذ فجّر الله له عيناً من تحت جرائه ، فحمد الله وعلم أن ذلك منه ، فشرب وشرب أصحابه ريّهم ، وترودوا منه حاجتهم ، ونفد ماء الثقيين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث لا نخنين

[١] رام يريم ريماً : تباعد . [٢] ألام فهو ملهم : آتى ما يلام عنه

[٣] ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ، والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع الآتية

[٤] وهجاء معجم ياقوت : « فنافرهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاي وهو سلمة بن أبي حبة

مخرجوا إليه إلى الشام » .

على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لا مستقينهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد خبئوا له رأس جرادة ، في خُرْزَةٍ مَزَادَةٍ ^(١) ، وجعلوه في قِلَادَةٍ كَابٍ لهم يقال له سَوَّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببعرتين تسوقان بينهما بَخْرَجًا ^(٢) كلتاها تزعم أنه ولدها ، وَلَدَتَا في ليلة واحدة ، فأكل النمرُ أحد البَخْرَجَيْنِ ، فهما ترأَّمان ^(٣) الباقي ، فلما وقفنا بين يديه . قال الكاهن : هل تدرون ما تريد هاتان البعرتان ؟ قالوا : لا . قال الكاهن : « ذهب به ذوجسدٍ أَرْبَدٌ ^(٤) ، وَشِدْقٌ مُرْمَعٌ ^(٥) ، وناب مُعَلِقٌ ^(٦) ، ما للصغرى في ولد الكبرى حقٌ » فقضى به للكبرى ، ثم قال ما حاجتكم ؟ قالوا : قد خبئنا لك خبيئًا ، فأنبئنا عنه ، ثم نخبرك بحاجتنا ، قال : « خبئتم لي شيئًا طارفِسطع ، فتصوب فوق ، في الأرض منه بُقْعٌ ، فقالوا : لَادَهُ ، أَى يَنَّهُ . قال : « هو شيء طار ، فاستطار ، ذو ذَنَبٍ جَرَّار ، وساق كَالِإِنْشَار ، ورأس كَالِإِسْمَار » فقالوا : لاده ، قال : « إن لاده فَلَادَهُ ^(٧) ، هو

[١] المرادة : الراوية ، والحُرْزَةُ : السِر يخرز به .

[٢] الخرج : ولد القرة . [٣] رُمْتُ ولدها : عطفت عليه ولزمته . [٤] من الرَبْدَةِ (كَهْفَرَةٍ) : لون إلى الغبرة . [٥] رمع كنع رَمَعَانَا (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله مرمع : اسم فاعل من رمع المصنف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . [٦] من أعلق الصائد إذا علق الصيد في جبالته أى نشب . [٧] روى ابن الأعرابي إله لاده فلاده ساكن الهاء ، ويرى إله لاده فلاده مكسور الهاء منونة ، قال ياقوت في معجمه : « يقول إن لم يكن قولي بياناً فلا بيان » وقال الزمخشري في المستقصى : « إن لاده فلاده بفتح الدال ويكسر ، وهي كلمة فارسية مداهما الضرب قد استعملتها العرب في كلامها ، وأصله أن الموتور كان يلقى واثراً فلا يتعرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إليك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكن ده فلا يكون ده أى إن لا يوجد صرب الساعة ، فلا يوجد صرب أبداً ، ثم اتسموا فيه ، فصريره مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المذرى : « قالوا معناه إله لاده فلا هذه ، يعنى أن الأصل إله لاده فلاده بالفتح المعجمة ، فعربت بالدال غير المعجمة كما قالوا يهوذا ثم عرب فصار يهوذا .

رَأْسَ جَرَادَةٍ ، فِي خُرُزْمَزَادَةٍ ، فِي عُتُقِ سَوَارِ ذِي الْقِلَادَةِ ، قَالُوا : صَدَقْتَ ،
فَأَخْبَرْنَا فِيمَ اخْتَصَمْنَا إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلَمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ،
أَنَّ الْمَالِذَا الْهَرَمِ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكَرَمِ » ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ
عَلَى حَكْمِهِ . (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ١ : ٣٠ ، وَمَعْجَمُ الْبَلَدَانِ ٨ : ٤٦٠)

* *

وَرَوَى الْجَاهِظُ لِعَزَى سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ :

« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَعَاءِ ^(١) ، وَاقْنَعَةٍ يَبْقَعَاءِ ^(٢) ، لَقَدْ نَفَرَ
الْمَجْدُ بَنَى الْعُشْرَاءِ ^(٣) ، لِلْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ ^(٤) » . (الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ١ : ١٥٩)

٣٣٧ - مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ فِي مَنَامِهِ مِنْ حَفْرِ زَمْزَمَ
وَلِيَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمَطْلَبِ ، وَشَرُفَ فِي
قَوْمِهِ ، وَعَظَّمَ شَأْنَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ زَمْزَمَ ، وَهِيَ بَثْرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، الَّتِي أَسْقَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ جُرْهُمُ قَدْ دَفَّتْهَا ^(٥) ، وَكَانَ سَبَبُ حَفْرِهِ
إِيَّاهَا أَنَّهُ قَالَ :

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ بِالْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفَرِ طِيبَةَ ، قُلْتُ : وَمَا طِيبَةُ ؟
فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :

[١] الصَّقَعَةُ بِالصَمِّ : بِيَاضٌ فِي وَسْطِ رِءُوسِ الطَّيْرِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ أَصْفَعٌ ، وَهِيَ صَقْعَاءُ (وَالصَّقَعَاءُ أَيْضاً
الشَّمْسُ) . [٢] الْبَقْعَاءُ : اسْمُ مَاءٍ . [٣] الْعُشْرَاءُ : قَوْمٌ مِنْ قُرَادَةِ ، وَنَقَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ
عَلَيْهِ بِالْغَلْبَةِ . [٤] السَّنَاءُ : الرِّعَاةُ .

[٥] وَذَلِكَ أَنَّ جَرَهْمَا لَمَّا اسْتَعْتَقَتْ بِأَمْرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَارْتَكَبُوا الْأُمُورَ الْعِظَامَ ، قَامَ فِيهِمْ رَئِيسُهُمْ
مُصَاصُ بْنُ عَمْرٍو خَطِيباً وَوَعَظَهُمْ فَلَمْ يَرْعَوْا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ عَمِدَ إِلَى غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ كَانَا فِي الْكَعْبَةِ
وَمَا وَجَدَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ أَى السِّبُوفِ وَالْدُرُوحِ الَّتِي كَانَتْ تَبْدِي إِلَيْهَا ، وَدَفَّنَهَا فِي بَثْرِ زَمْزَمَ ، وَكَانَتْ قَدْ
نَسَبَ مَأْوَاهَا لِحَرَمِهَا مُصَاصٌ بِالْقَلِيلِ وَأَعْمَقُ الْخَفْرِ وَدَفَنَ فِيهَا ذَلِكَ وَطَمَ الْبَثْرَ ، وَمَا زَالَتْ مَطْمُومُهُ إِلَى زَمَنِ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

احفر برة ، قلت : وما برة ؟ فذهب وتركني ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي ، فسمت فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة ، قلت : وما المذنونة ؟^(١) فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فسمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « ترأت من أيك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تُذم »^(٢) ، تسقي الحجاج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسم^(٣) ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقد محكم ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهي بين القرث والدم^(٤) ، عند نقرة الغراب الأعصم^(٥) ، عند قرية النمل .

فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعه ابنة الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة ، في الموضع الذي تنحرف فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى^(٥) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

خطب الكواهن

٣٣٨ - الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عثمة بنت مطرود البجلية ذات عقل ورأى مستمع في قومها ، وكانت

[١] طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لزمزم . [٢] نزلت البئر : نزلت كنزت بالصم ، وبثذمة بالفتح وذميم وذميمة قليلة الماء لأنها تدم . [٣] جفل النعام : أسرع وذهب في الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . [٤] أي في محلها ، والقرث : السرجين في الكرش ، وذلك بين إساف ونائلة ، (وأساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تهج عندهما ذبايحها التي تتقرب بها . [٥] الأعصم : قيل أحر المتقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجاحين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . [٦] الطوى : البئر .

لها أخت يقال لها خَوْدٌ، وكانت ذات جمال ومِيسَمٌ^(١) وعقل، نخطب سبعة إخوة غُلَمَةٌ من بطن الأزْدِ خودا إلى أبيها، فأتَوْه وعليهم الحُلَلُ اليمانية، وتحتهم النجائب الفُرَّة^(٢)، فقالوا: نحن بنو مالك بن غَفِيلَةَ ذِي النُّحَيْنِ، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا إليهم، ثم أصبحوا قَادِينَ في الحُلَلِ والهيئة، ومعهم رَيْبَةٌ^(٣) لهم يقال لها الشَّعْثَاءُ: كَاهِنَةٌ، فَرَّوْا بِوَصِيدِهَا^(٤) يتعرضون لها، وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها، فجلسوا إليه، فرحَّبَ بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتاً، ونحن كما ترى شَبَابٌ، وكلنا يَمْنَعُ الجانب، وَيَمْنَحُ الراغب، فقال أبوها: كلِّم خِيار، فأقيموا نرى رأينا، ثم دخل على ابنته، فقال: ما تَرَيْنِ، فقد أَتَاكِ هؤلاء القوم؟ فقالت: «أُنكِحْنِي على قدرى، ولا تَشْطُطْ في مَهْرِي، فإن تُخْطِئِي أحلامَهُمْ، لا تُخْطِئِي أجسامَهُمْ، لعلِّي أُصِيبُ وَلَدًا، وأَكْثُرُ عَدَدًا» فخرج أبوها، فقال: أخبروني عن أفضلكم.

قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة: «أَسْمَعُ أَخْبِرْكَ عَنْهُمْ: هم إخوة، وكلهم أَسْوَةٌ^(٥). أما الكبير فَمَالِكٌ، جَرِيٌّ فَاتِكٌ، يُتَعَبُ السَّنَابِكُ^(٦)، ويستصغر المِهَالِكُ. وأما الذي يَلِيهِ فَالْعَمْرُ، بِحَرٍّ غَمْرٌ^(٧)، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَخْرُ، نَهْدٌ^(٨)، صَقْرٌ. وأما الذي يَلِيهِ فَعَلْقَمَةٌ، صَلِيبُ الْمَعْجَمَةِ^(٩)، مَنِيْعُ الْمَشْتَمَةِ^(١٠)، قليلُ الْجَمْعَةِ^(١١)

[١] البسم والوسامة: أثر الحسن. [٢] النجائب جمع نجيب: وهو البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، والفُرَّة: (كقفل وركع وكتب) جمع فاره، وهو من الدواب الجيد السير النشط الخفيف. [٣] الرَيْبَةُ: الحاضرة. [٤] الوصيد: الفناء (بالكسر) والعنبة. [٥] الأسوة: القدوة. [٦] السنايك جمع سنبك كقنفذ: وهو طرف الحمار، أى أنه يجهد الحيل في حومة الوغى. [٧] الغمر: معظم البحر، والكريم الواسع الحاق. [٨] الهد: الأسد والكريم. [٩] من عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره. [١٠] المشتمة: مصدر شتم، والمعنى: أنه في حرز من أن يشتم ويسب عرضه، لحسن فلو وكرم خلقه. [١١] الجمجمة: إخفاء الشيء في الصدر.

وأما الذى يليه فعاصم ، سَيِّدُ نَاعِمٍ ^(١) ، جَلْدُ صَارِمٍ ، أَبِي حَازِمٍ ، جيشُهُ غَانِمٍ ،
وَجَارُهُ سَالِمٌ . وأما الذى يليه فَثَوَابٌ ، سَرِيعُ الْجَوَابِ ، عَتِيدُ الصَّوَابِ ^(٢) ، كَرِيمُ
النَّصَابِ ^(٣) ، كَذَيْتُ الْغَابِ . وأما الذى يليه فَمُذْرِكٌ ، بَذُولٌ لِمَا يَمْلِكُ ،
عَزُوبٌ ^(٤) عما يترك ، يُفْنِي وَيُهْلِكُ . وأما الذى يليه جَنْدَلٌ ، لِقَرْنِهِ مُجَدَّلٌ ^(٥) ،
مُقِلٌّ ^(٦) لما يُحْمَلُ ، يُعْطَى وَيَبْذُلُ ، وعن عدوه لَا يَنْكُلُ ^(٧) .

فِشَاوَرْتُ أَخْتَهَا فِيهِمْ ، فَقَالَتْ أَخْتَهَا عَثْمَةُ : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ،
وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ » ^(٨) اسمعى منى كلمة ، إن شَرَّ الْغَرِيبَةِ يُعْلَنُ ، وخيرها
يُذْفَنُ ، أنكحى فى قومك ولا تَفْرُزْكَ الْأَجْسَامَ ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى
أبيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُحَاتِهَا ، وحمّلها مدرك ،
فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صَبَّحَهُمْ فَوَارِسٌ مِنْ بَنَى مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ ، فاقتلوا
مساءة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فَسَبَّوْهَا فِيمَنْ سَبَّوْا ،
فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : مَا يُنْكِيكَ ، أَعْلَى فِرَاقِ زَوْجِكَ ؟ قالت : قَبِيحَةٌ
اللَّهِ ، قالوا : لَقَدْ كَانَ جَمِيلًا ! قالت : قَبِيحَ اللَّهِ جَمَالًا لَا تَفْعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى
عَصْيَانِي أَخْتِي ، وقولها : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ »
وأخبرتهم كيف خطبوها ، فقال لها رجل منهم يُكْنَى أَبَا نَوَاسٍ شَابٌ أَسْوَدُ
أَفْوَاهٍ ^(٩) مضطرب الخلق : أَتَرْضَيْنِ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذُنَابِ الْعَرَبِ ؟
فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرَيْنِ لَيَمْنَعُ الْحَلِيلَةَ ^(١٠) ،

[١] نعم كسمع ونصر وصرب فهو ناعم : أى ذو تنعم وترفه . [٢] العتيد : الحاضر المهيأ .
[٣] النصاب : الأصل . [٤] بعيد . [٥] جدله : صرعه على الجمالة (كسحابة) وهى الأرض .
[٦] حامل . [٧] نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكص وجبن . [٨] الدخل : ما يبطن فى
الشيء ، وهو مثل بضرب الرجل له منظر ولا يخبر له . [٩] الأفواه : وصف من العوه بالتحريك
وهو سعة الفم . [١٠] الزوجة .

وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قالت : هذا أَجَلُ جِمال ، وأَكْمَلُ كِمال ، قد رَضِيتُ بِهِ ،
فَزَوَّجُوهَا مِنْهُ . (مجمع الأمثال للبدياني ١ : ٩١)

٣٣٩ - طَرِيفَةُ الْخَيْرِ تَتَكَهَّنُ بِسَبِيلِ الْعَرِمِ وَخَرَابِ سَدِّ مَا رَبِّ

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُون في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد
ابن عَبدون ، التي قالها في رثاء دولة بني الأَفطس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيقِهِمْ ، عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مُزَيَّقِيَاءَ^(١) ،
وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ،
وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ،
فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَتَتْ الْمَلِكَ
عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالُ عَنِ النَّوْمِ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ
وَبَرَقَ^(٢) » ، طَوِيلًا ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا
مِنَ الْفَزَعِ سَكَّنَهَا ، ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةً لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ^(٣) ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا
بَرَزَتْ مِنْ يَتِّهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مُنَاجِيدٍ مُتَّصِبَاتٍ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ ، وَاضْنَعَاتٍ
أَيْدِيَهُنَّ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ - وَهِيَ دَوَابُّ تُشَبِّهُ الْبَرَايِعَ^(٤) - فَفَعَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْنَعَةً
يَدِيهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيفُهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمُنَاجِيدَ فَأَخْبِرْنِي ، فَلَمَّا
ذَهَبَتْ أَعْلَمَهَا ، فَانْطَلَقَتْ مَسْرَعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا خَلِيجُ الْحَدِيقَةِ الَّتِي فِيهَا عَمْرُو ،

[١] لَقِبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّتَيْنِ ، وَيَمُزَّجُهُمَا بِالْعَمَى ، يَكْرَهُ الْمَوَدِّعِيَّهَا ، وَيَأْتَفُ أَنْ
يَلْبَسَهَا غَيْرَهُ . [٢] رَعَدَتْ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ (كُنْصَر) ، وَأَعَدَّتْ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ ، وَأَكْرَأَ الْأَصْعَمَى
الرَّبَائِيَّ فِيهَا . [٣] الْوَصِيفُ : الْحَادِمُ وَالْحَادِمَةُ . [٤] الْبَرِيعُ : دَوِيبَةٌ نَحْوُ الْفَأَرَةِ لَكِنْ ذَنْبُهُ
وَأُذُنَاهُ أَطْوَلُ مِنْهَا ، وَرِجْلَاهُ أَطْوَلُ مِنْ يَدَيْهِ عَكْسَ الزَّرَّانَةِ .

وثبت من الماء سُلْحَفَاة ، فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم
 الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتحثو التراب على بطنها من جنباته ،
 وتقذف بالبول قذفاً ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة
 إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين انتصف النهار في ساعة
 شديدة الحر ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحيا منها ، وأمر
 الجاريتين بالتسحى ، ثم قال لها يا طريفة : فكهمت وقالت : « والنور والظلماء ،
 والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمان السالك » .
 قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع
 فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت : « أقول قول النذمان لهفًا ، لقد رأيت
 سُلْحَفَا^(١) ، تجرّف التراب جرّفًا ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا
 الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ،
 من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ ويحك ! قالت : « أجل ،
 إن فيه الويل ، ومالك فيه من قيل^(٢) ، وإن الويل فيما يحىء به السيل » فألقى
 عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ،
 وحزن طويل ، وخلف قليل » . قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : « اذهب
 إلى السد ، فإذا رأيت جرّذاً يُكثِرُ يديه في السدّ الحفر ، ويقلب برجليه من
 أجل الصخر ، فاعلم أن نَعْمَرَ النَعْمَرُ^(٣) ، وأن قد وقع الأمر » . قال : وما هذا
 الذي تذكرين ؟ قالت : « وعدّ من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل ،

[١] يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيما سلحفا ساكنة للام . مفتوحة الحاء .

[٢] قلّ قبلا : نام في القائلة وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

[٣] النعمر : الماء الكثير .

فبغيرك يا عمرو فليكن الشَّكْل (١) ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب برجليه
صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً ، (كذا) فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول :
أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرَحُ السَّقَمِ (٢)
مِنْ جُرْذٍ كَفَخَلٍ خِثْرِيرٍ الْأَجَمِ أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْغَنَمِ (٣)
يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ مَخَالِبٌ وَأَنْيَابٌ قُضْمٌ (٤)
مَا فَاتَهُ سَخْلًا مِنَ الصَّخْرِ قُضْمٌ (٥)

فقالت طريفة : وإن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر بزجاجة
فتوضع بين يديك ، فإن الريح تملؤها من تراب البطحاء (٦) ، من سهلة (٧)
الوادي ورملة ، وقد علمت أن الجنان مُظْلَلَةٌ لا يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر
عمرو بزجاجة فوضعها بين يديه ، ولم يَمُكْثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْ تَرَابِ
الْبُطْحَاءِ ، فَأَخْبَرَ عَمْرُو طَرِيفَةَ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ هَؤُلَاءِ السَّدُّ ؟ قَالَتْ
لَهُ : فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . قَالَ : فَنِي أَيُّهَا يَكُونُ ؟ قَالَتْ : « لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ
إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلَّمْتَهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَبْعِ السَّنِينَ إِلَّا
ظَنَنْتُ الْهَلَكَ فِي غَدَا ، أَوْ فِي مَسَاءِهَا ، ثُمَّ رَأَى عَمْرُو فِي نَوْمِهِ سَيْلَ الْعَرَمِ ،
وَقِيلَ لَهُ : آيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ تَرَى الْحَصْبَاءَ فِي سَعَفِ النَّخْلِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدَ
الْحَصْبَاءَ فِيهَا قَدْ ظَهَرَتْ ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ سَتُخْرَبُ ، فَكُتِمَ ذَلِكَ

[١] الشَّكْل كسبب وقيل : الموت والهلاك . [٢] البرح : الشدة . [٣] الأجم جمع أجنة وهي
الشجر الكثير اللثف ، والصرم : الجماعة ، والعرقه تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفراق ، وجمع الجمع الجمع
أفاريق ، والجلاميد جمع جلود كصغور : الصخر . [٤] العرم : السد يفترض به الوادي (ومن معانيه
أيضا المطر الشديد ، والجرذ ، وواد جاء السيل من قبله) [٥] سحله كنع : قشره ونحته ، وقصمه كسره .
[٦] البطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . [٧] السهلة بالكسر : تراب كالرمل
يجيء به الماء ، وأرض سهلة كفرح : كثيرتها .

وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب^(١) وأن يخرج منها هو وولده^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد^(٣) السيل فهدمه .

(شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)

*
* *

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

• • وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء ،
ومعهم طريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

[١] مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانيها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
[٢] وقد خشي أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعو إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملأ من الناس ، وإذا لطمه ، برفع هو يده ويلطمه ، ثم صنع طعاماً وبعث إلى أهل مأرب أن همراً صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه ، فلما جلس الناس لقطعهم جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ، فجعل يأمره بأمر فيتأبى عليه وينهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلفطه على وجهه فلفطه ابنه ، وكان اسمه ملكاً ، فصاح عمرو وادلاه يوم نحر عمرو يبيعه صبي وبصر وجهه ، وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع بي فيه هذا ، ولأبيعن أموالى حتى لا يرث منها بعدى شيئاً ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتصبوا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرعى ، فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، ونشأ بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم ، فلما أكتثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، ففروا أرض عك فخربتهم عك ، فارتحلوا عنها ، ثم اصطلمعوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فمنهم من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم أبنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد العنزة إلى أرض الشراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيء فزلت جبل طيء أجاً وسلسى ، ونزلت ريثة ابن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسموا خزاعة لانخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق .

[٣] كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ، ويقال إن الذي بناه كان من ملوك خيبر ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشعر وأودية اليمن ، فردها ردماً بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسفرون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم .

« لَا تَوُثُّوْا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكَمُ ، رَبُّ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قَالُوا لَهَا : مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ قَالَتْ : خَذُوا الْبَعِيرَ الشَّدَقَمَ ^(١) ، نَخْضِبُوهُ بِالْدَمِ ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضُ جُرْهُمَ ^(٢) ، جِيرَانِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ . (الأنفال ١٣ : ١٠٠)

* *

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلَقْتُ طَرِيفَةَ الْكَاهِنَةِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَزِيْقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كِهَانَتِهَا ^(٣) أَنْ سَدَّ مَأْرِبَ سَيِّخَرَبَ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَيْلُ الْعَرَمِ ، فَيُخَرَّبُ الْجَنَّتَيْنِ ^(٤) ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُونَ لَا يَدْرُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَدَعَا طَرِيفَةُ فَشَكَّوْا إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا : فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

« مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا هَمٍّ بَعِيدٍ ، وَجَمَلٍ شَدِيدٍ ، وَمَزَادٍ ^(٥) جَدِيدٍ ، فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عُثْمَانَ الْمَشِيدِ ^(٦) ، فَكَانَتْ أَرْذُفُهُمَا ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا جِلْدٍ

[١] الواسع الشدق . [٢] وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن أفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رواداً إلى الشام وإلى العراق ، فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبى ذلك جرم إماء شديداً ، وقالوا : لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيّقوا علينا مراتبنا ومواردنا ، وكانت الحرب بين الفريقين ، وانتهزت جرم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

[٣] كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرته الكهانة بالكسر .

[٤] قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَيْنَ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » .

[٥] للزاد والمزاید جمع مزادة وهي الراوية . [٦] المشيد : الرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء
أما مدت لمصره نزار ؟ بلى ، وتغوص المجد المشيد .

وَقَسَرَ^(١) ، وَصَبَرَ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَعَلِيهِ بِالْأَرَاكِ^(٢) مِنْ بَطْنِ مُرٍّ^(٣) ،
فَكَانَتْ خُرَاعَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِيَّاتِ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتِ
فِي الْمَخْلِ^(٤) ، فَلْيَلْحَقْ يَثْرِبَ ذَاتَ النَّخْلِ ، فَكَانَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، ثُمَّ
قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْخَمَرَ الْخَمِيرَ ، وَالْمُلْكَ وَالتَّامِيرَ ، وَيَلْبَسُ الدِّيَابِجَ
وَالْحَرِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ بِيُضْرَى وَغَوِيرَ ، (وَهُمَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) ، فَكَانَ الَّذِينَ
سَكَنُوا مِنْ آلِ جَفْنَةَ مِنْ غَسَّانَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ الرَّقَاقَ ،
وَالْخَلِيلَ الْعِتَاقَ ، وَكُنُوزَ الْأَرْزَاقِ ، وَالْدَّمَ الْمُهْرَاقَ ، فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ،
فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوا آلَ جَذِيمَةَ الْأَبْرِشِ ، وَمَنْ كَانَ بِالْحِيرَةِ وَآلِ مُحَرَّقٍ^(٥) .
(مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ : ١ : ١٨٦)

٣٤٠ — حَدِيثُ زَبْرَاءَ الْكَاهِنَةِ مَعَ بَنِي رِثَامٍ مِنْ قِضَاعَةٍ

كَانَ ثَلَاثَةُ أَبْطَنٍ مِنْ قِضَاعَةٍ مُجْتَوِرِينَ^(٦) بَيْنَ الشَّخْرِ وَحَضْرَمَوْتَ :
بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ ، وَبَنُو رِثَامٍ ، وَكَانَتْ بَنُو رِثَامٍ أَقْلَهُمْ عَدَدًا ، وَأَشْجَعَهُمْ
لِقَاءً . وَكَانَتْ لِبَنِي رِثَامٍ عَجُوزٌ تَسْمَى خُوَيْلَةَ ، وَكَانَتْ لَهَا أُمَةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ
الْعَرَبِ تَسْمَى زَبْرَاءَ ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى خُوَيْلَةَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ لَهَا مُحَرَّمٌ ،
بَنُو إِخْوَةٍ وَبَنُو أَخَوَاتٍ ، وَكَانَتْ خُوَيْلَةُ عَقِيًّا ، وَكَانَ بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ
مُتَظَاهِرِينَ عَلَى بَنِي رِثَامٍ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو رِثَامِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُرْسٍ لَهُمْ ، وَهُمْ سَبْعُونَ
رَجُلًا ، كُلُّهُمْ شَجَاعٌ بَيْسٌ^(٧) ، فَطَعِمُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى شَرَابِهِمْ ، وَكَانَتْ زَبْرَاءُ كَاهِنَةً
فَقَالَتْ لَخُوَيْلَةَ : إِنِ انْطَلَقَ بَنِي رِثَامٍ إِلَى قَوْمِكَ أَنْذِرْهُمْ ، فَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةُ تَتَوَكَّأُ عَلَى زَبْرَاءَ

[١] قَسَرَ عَلَى الْأَمْرِ : قَهَرَ . [٢] الْأَرَاكِ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمَوْضِعُ بَعْرَفَاتٍ ، وَجَبَلٌ بِهَذِيلٍ .

[٣] مُرٌّ بَنُو أَدْبَنٍ طَائِفَةٌ . [٤] الْمَخْلُ : الشَّدَّةُ وَالْجَدْبُ . [٥] هُوَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ لِأَنَّهُ حَرَّقَ

مِائَةً مِنْ بَنِي تَيْمٍ . [٦] مُجْتَوِرِينَ . [٧] الْبَيْسُ : الشَّجَاعُ ، مِنْ بَيْسٍ كَرَمٍ بِأَسَا .

فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يَا ثَمَرَ الْأَكْبَادِ ، وَأُنْدَادَ ^(١)
 الأولاد ، وشَجَا ^(٢) الحُسَادِ ، هذه زَبْرَاءُ ، تخبركم عن أنباء ، قبل انْحِسَارِ الظُّلَمَاءِ ،
 بِالْمُؤَيِّدِ ^(٣) الشَّنْعَاءِ ، فاسمعوا ما تقول » . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :
 « وَاللُّوحِ ^(٤) الْخَافِقِ ، وَاللَّيْلِ الْغَاسِقِ ^(٥) ، وَالصَّبَاحِ الشَّارِقِ ، وَالنَّجْمِ
 الطَّارِقِ ^(٦) ، وَالْمُزْنِ الْوَادِقِ ^(٧) ، إِنَّ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْدُو خِتْلًا ^(٨) ، وَيَحْرُقُ أَنْبِيَاءًا
 عُصْلًا ^(٩) ، وَإِنْ صَخْرُ الطُّودِ لَيُنْذِرُ ثُكْلًا ^(١٠) ، لَا تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْلًا ^(١١) »
 فوافقت قومًا أُشَارَى ^(١٢) سُكَارَى ، فقالوا : « رِيحٌ خَجْجُوجٌ ^(١٣) ، بَعِيدَةٌ
 مَا بَيْنَ الْفُرُوجِ ، أَتَتْ زَبْرَاءَ بِالْأَبْلَقِ الشُّوجِ ^(١٤) » .
 فقالت زبراء : « مَهْلًا يَا بَنِي الْأَعِزَّةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْمُ ذَفَرَ ^(١٥) الرِّجَالِ تَحْتَ
 الْحَدِيدِ » فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيْلُ بْنُ مُنْقِذٍ : « يَا خَذَاقِ ^(١٦) ، وَاللَّهِ

[١] أُنْدَادُ : جمع ند بالكسر وهو المثل والنظير . [٢] الشَّجَا : ما عترض في الخلق من عظم ونحوه .
 [٣] المؤيد : الداهية والأمر العظيم . [٤] اللوح بالضم والفتح (والضم أعلى) : الهواء بين السماء
 والأرض . [٥] غسق الليل بكس : اشتدت ظلمته . [٦] الطارق : في الأصل ، كل من آتى
 ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . [٧] الرن : السحاب أو أيصه أو ذو الماء ، والوادي :
 من ودق المطر كوهده : قطر . [٨] أدوت له آدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأيت له ، ودألت له
 أيضاً) والختل : الخدع . [٩] حرق أنبياءه : إذا حك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند المضرب
 يفضبه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأصراس ، والعصل : الموجة
 جمع أصصل . [١٠] الطود : الجبل ، والشكل : الفقد . [١١] المعل : المجى .
 [١٢] الأشرعركة : المرح . [١٣] الخجوج : السريعة المرح . [١٤] الأبلق : وصف من البلق
 محركة وهو ارتفاع البياض في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون تتوحاً ، والعرب تضرب هذا مثلاً لشيء
 الذي لا ينال ، تقول « طلب الأبلق العقوق ، فلما فاته أراد بيض الأنوق » والعقوق كصبور : الحامل ،
 والأنوق كصبور أيضاً : الذكر من الرخم ولا يبيض له ، هذا قول بعض المغويين ، فالمعنى أنه طلب ما لا
 يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضاً ما لا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخمة وهي تبيض في مكان
 لا يوصل فيه إلى يبيضها إلا بعد عناء ، فالمعنى أنه طلب ما لا يقدر عليه ، فلما لم يله طلب ما يجوز أن يناله .
 [١٥] الدفر : حدة الريح ، يكون في الثن والطيب (والدفر لا يكون إلا في الثن) .
 [١٦] خذاق : كناية عما يخرج من الإنسان ، يقال : خنق ومزق وزرق .

ما تَشْمَنِ إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ ، فانصرفت عنهم ، وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ،
فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشْرَبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ
بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوا أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَةَ مع الصباح ، فوقفت
على مصارعهم ، ثم عَمَدَتْ إِلَى خَنَاصِرِهِمْ ، فَقَطَعَتْهَا وَانْتَظَمَتْ مِنْهَا قِلَادَةً ، وَأَلْقَتْهَا
فِي عُنْقِهَا ، وَخَرَجَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوَى بْنِ سَعْوَةَ الْمَهْرِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا
فَأَنَاحَتْ ، بِفَنَائِهِ ، فَاسْتَعَدَّتْهُ عَلَى بَنِي دَاهِنَ وَبَنِي نَاعِبَ ، فَخَرَجَ فِي مَنَسِيرٍ^(١) مِنْ
قَوْمِهِ ، فَطَرَقَهُمْ فَأَوْجَعَ فِيهِمْ . (الأملال ١ : ١٢٦)

٣٤١ - كَاهِنَةُ ذِي الْخَلَصَةِ تَتَكهن بِمَا فِي بطن رُقِيَّة بنت جشم
زعموا أن رُقِيَّة بنت جُشَم بن معاوية ولدت تُمَيِّزاً وَهَلَالاً وَسَوَاءً ، ثُمَّ
اعْتَاطَتْ^(٢) ، فَأَتَتْ كَاهِنَةَ بَنِي الْخَلَصَةِ^(٣) ، فَأَرْتَهَا بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ
وَلَدْتُ ثُمَّ اُعْتَطْتُ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ :
« رَبُّ قَبَائِلَ فِرْقٍ ، وَجِبَالِسَ حَلَقٍ ، وَظُغُنٌ^(٤) حُرُوقٌ^(٥) ، فِي بَطْنِكَ
زُقٌّ^(٦) »

[١] المنسر من الحبل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين ،
أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .
[٢] اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . [٣] ذو الخلصة محرّكة وبضمّتين : بيت كان
يدعي الكعبة اليمانية لحشم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . [٤] الظعن والطمان جمع ظعينة : وهي الهردج
سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت في الهردج ، ويقال : الظعينة في الأصل وصف للمرأة في
هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها لصير مظعونة (أي يظعن بها زوجها ، فهي فعلة
بمعنى مفعولة) . [٥] الحزق والحزقة (بكسر الحاء) والحازقة والحريق والحزيقة والحزاقة (بالفتح)
الجماع ، والجمع حزائق وحزيق وحزق (بضمّتين) . [٦] أي وضع وأصل الرق : رمى الطائر
بدرقه ، والمعنى : رب جنين تنشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكراً يتحلفون في المجالس والأندية
وجاعات من النسوة ، قد أودع بطبك .

فلما تَخَضَّتْ ^(١) بريعة بن عامر ^(٢) ، قالت : إني أعرف ضَرِطِي بهلال ،
« أي هو غلام ، كما أن هلالا كان غلاماً » . (مجمع الأمثال ١ : ٣٢١)

٣٤٢ - رأى سلمي الهمدانية في حريم المرادي

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيم » على إبل عمرو بن بَرَّاقَة
الهُمْدَانِيَّ وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى الهمدانية ، وكانت بنت
سَيِّدِهِمْ ، وعن رأيها كانوا يَصْدُرُونَ ، فأخبرها أن حريماً المرادي أغار على إبله
وخيله ، فقالت : « والخَفَوُ وَالْوَمِيزُ ^(٣) ، وَالشَّفَقُ كَالِإِحْرِيضِ ^(٤) ، وَالْقَلَّةُ
وَالْحَضِيضُ ^(٥) ، إِنْ حَرِيماً لَمْ يَنْبَعْ الْحِيزُ ^(٦) ، سَيِّدٌ مَزِيْزٌ ^(٧) ذُو مَعْقِلٍ حَرِيْزٌ ، غَيْرَ
أَنِّي أَرَى الْحِمَّةَ ^(٨) سَتَظْفَرُ مِنْهُ بِمَثَرَةٍ ، بِطَيْئَةِ الْجَبَرَةِ ، فَأَغِرْ وَلَا تُنْكَعْ ^(٩) »
فأغار عمرو ، فاستاق كل شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن
يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع وَرَجَعَ حريم . (الأمل ٢ : ١٢٣)

٣٤٣ - تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية
روى أن العَجَفَاءَ بنتَ عَلْقَمَةَ السَّعْدِيَّ ، وثلاث نسوة من قومها ، خرجن
فَاتَعَدْنَ بِرَوْضَةٍ يتحدثن فيها ، فَوَافَيْنَ بِهَا لَيْلاً فِي قَرْزَاهِرٍ ، وَلَيْلَةً طَلَّقَةً سَاكِنَةً ،
وَرَوْضَةً مُعْشِبَةً خِصْبَةً ، فلما جلسن قلن : مَا رَأَيْنَا كَاللَّيْلَةِ لَيْلَةً ، وَلَا كَهَذِهِ

[١] تخضت كسع ومنع وعنى : أخذها الطاق .

[٢] هو بريعة بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جعفر بن كلاب بن ربيعة .

[٣] الخفو : اللعان الضعيف ، والوميز : أشد من الخفو . [٤] الإحريض : المصفر .

[٥] القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شيء ، والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

[٦] الناحية . [٧] مزيز : فاضل ، من قولهم هذا أمر من هداي أي أفضل منه .

[٨] الحمة القدر (حركة) ، وقيل هي واحد الحمام (بالكسر) .

[٩] نكعه عن الأمر (كنع) رده ودفنه .

الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ ، ثم أفَضْنَ في الحديث ، فقلن : أى النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخُرُود ^(١) الودود الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغناء ^(٢) ، وطيبِ الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوعُ الجمُوع ، النَّفُوعُ غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرُهم الحَظِيّ ^(٣) الرِّضِيّ ، غير الحَظِلِ ^(٤) البَطِيّ . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحَسَبِ الميم ، والمجدِ القديم . قالت الثالثة : خيرهم السَّخِيّ ، الوَفِيّ الرِّضِيّ ، الذى لَا يُغَيِّرُ ^(٥) الحرّة ، ولا يتخذ الضَّرّة . قالت الرابعة : وأيكن ، إن فى أبى لَنَعْتَكُنْ ، كَرَمَ الأخلاق ، والصدقَ عند التَّلَاقِ ، والفَلَجِ ^(٦) عند السَّبَاقِ ، ويحمده أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها مُعْجَبَةٌ .

وفى بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى يُكْرَمُ الجار ، وَيُعْظَمُ الخِطَارُ ^(٧) ، وَيَنْخَرُ العِشَارُ ^(٨) ، بعد الحُورِ ^(٩) ، وَيَحْمِلُ الأمور الكبار ، ويأْنِفُ من الصغار ، فقالت الثانية : إن أبى عظيم الخطر ، منيع الوزر ^(١٠) ، عزيز النفر ، يُحْمَدُ منه الورد والصدْر ، فقالت الثالثة : إن أبى صدوق اللسان ، حديد الجنان ،

[١] الخرود والحريد والحريدة : الحية الطويلة السكوت الحافضة الصوت للنسرة .

[٢] الكفاية والمنفعة . [٣] الحظي : ذو الحظوة والمكانة عند زوجه ، والحطية كذلك .

[٤] رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر محاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفى مجمع الأمثال « غير

الحظال ، ولا النبال » والنبال بالنشديد من التبل (بفتح فسكون) وهو الحقد .

[٥] أغار امرأته : تزوج عيناها . [٦] الفوز والظفر .

[٧] الخطار جمع خطر كسب وهو السبق يتراهن عليه . [٨] العشار جمع عشراء كفساء وهى من

النوق التى مضى لملها عشرة أشهر أو ثمانية . [٩] الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه

أو إلى أن يفصل عن أمه . [١٠] الوزر : الملبأ .

رَذُوم^(١) الجِفَان ، كثير الأعوان ، يُزَوِي السَّنان ، عند الطَّمان . قالت الرابعة :
 إن أبي كريم النَّزال ، مُنِيفُ المقال ، كثير النِّوال ، قليل السُّوال ، كريم الفِعال .
 ثم تنافرن إلى كَاهنة معهن في الحى ، فقلن لها : اسمى ما قلنا ، واحكى
 بيننا واعِدلى ، ثم أُعْذِن عليها قولهن ، فقالت لهن : « كل واحدة منكن
 ماردة^(٢) بأبيها واجدة^(٣) ، على الإحسان جاهدة ، لصِّواحِبَاتِهَا حاسدة ، ولكن
 اسمعن قولى : خَيْرُ النساءِ المُبْقِيَّةُ على بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ على الضَّرِّاءِ مخافةً أن ترجع
 إلى أهلها مُطْلَقَةً ، فهى تُؤَثِّرُ حظَّ زوجها على حظِّ نَفْسِهَا ، فتلك الكريمة
 الكاملة ، وخير الرجال الجَوَادُ البَطل ، القليل الفَشَل ، إذا سألهُ الرجل ، ألقاه
 قليلَ العِلَل ، كثيرَ النَّفَل^(٤) ، ثم قالت : كل واحدة منكن بأبيها مُعْجَبَةٌ .
 (مجمع الأمثال ٢ : ٥٤ ، وجهرة الأمثال ٢ : ١٣٣)

٣٤٤ - عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال

روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة ، فوفد
 عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهتثونه ، فرفع الحجاب عن الوافدين .
 وأوسعهم عطاء ، واشتد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا في
 المنام أخافته وأذعرتة وهالته في حال منامه ، فلما انتبه أنسبها حتى لم يذكر منه
 شيئاً ، وثبت ارتياؤه في نفسه بها ، فانتاب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفو
 حتى أساءوا به الظن ، ثم إنه حشر الكُهَّان فجعل يخلو بكاهن كاهن ، ثم يقو
 له : أخبرنى عما أريدأن أسألك عنه ، فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندى ، حتى
 يدع كاهناً عليه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه ، وطال أرقه ، وكأ :

[١] الرذوم : القصة المثلثة تصعب جوانبها . [٢] أى قد بلغت العاية .

[٣] وجد به (بالكر) أحبه . [٤] النفل : الهبة .

أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهم علماً مما أراد علمه ، ولما ينس من طلبته سلا عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرفعت له آيات من ذرا^(١) جبل ، وكان تدلفحه الهجير ، فعدل إلى الآيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المدعدة^(٢) ، والملبة المترعة^(٣) ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح^(٤) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرم الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جمالا ، فقالت : « أبيت اللعن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفت ، وتصام عن كلمتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فذاك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيساً^(٥) ، وقامت تذب عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً صريفاً^(٦) وضريباً^(٦) ، فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومذبرة ، فلأت عينيه حسناً ، وقلبه هووى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي غفراء ،

[١] أى فى كفه وستره . [٢] الجفنة : القصعة ، والمدعدة : التى ملئت بقوة ثم حركت حتى تراس ما فيها ، ثم ملئت بعد ذلك . [٣] الملبة : قدح ضخم من جلود الابل أو من خشب يحلب فيها ، والمترعة : الملوثة . [٤] الأرواح ، والرياح جمع ربح . [٥] القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيعجن شديداً ثم يدرسه نواه (والأقط شيء يتخذ من الخيض النعمى) . [٦] الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضريب : اللبن يحلب من مدة لقاح لى إناء .

فقال لها : يا عفراء ، من الذى دَعَوْتِهِ بالملك الهمام ؟ قالت : « مَرَّئِدُ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، حَاشِرُ الْكُوَاهِنِ وَالْكُهَّانِ ، لِمُعْضِلَةِ بَعْدِ عَنْهَا الْجَانَّ » ، فقال يا عفراء : أتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت : « أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهَا رُؤْيَا مَنْامٍ ، لَيْسَتْ بِأُصْنَافٍ ^(١) أَحْلَامٍ » . قال الملك : أَصَبْتَ يَا عَفْرَاءَ ، فَمَا تِلْكَ الرُّؤْيَا ؟ قالت : « رَأَيْتَ أَعَاصِيرَ ^(٢) زَوَاجِعَ ، بَعْضُهَا لِبَعْضٍ تَابِعَ ، فِيهَا لَهَبٌ لَامِعٌ ، وَلَهَا دُخَانٌ سَاطِعٌ ، يَقْفُوها نَهْرٌ مُتَدَاوِعٌ ، وَصَمَمْتَ فِيمَا أَنْتَ سَامِعٌ ، دُعَاءُ ذِي جَرَسٍ ^(٣) صَادِعٌ : هَلُمُّوا إِلَى الْمَشَارِعِ ^(٤) ، فَرَوَى جَارِعٌ ^(٥) ، وَغَرِقَ كَارِعٌ ^(٦) » - فقال الملك : أَجَلٌ ، هَذِهِ رُؤْيَايَ ، فَمَا تَأْوِيلُهَا يَا عَفْرَاءَ ؟ قالت : « الْأَعَاصِيرُ الزَّوَاجِعُ ، مَلُوكٌ تَبَاجِعٌ ^(٧) ، وَالنَّهْرُ عِلْمٌ وَاسِعٌ ، وَالِدَاعِي نَبِيٌّ شَافِعٌ ، وَالْجَارِعُ وَلِيٌّ تَابِعٌ ، وَالْكَارِعُ عَدُوٌّ مُنَازِعٌ » . فقال الملك : يَا عَفْرَاءَ ، أَسَلِمَ هَذَا النَّبِيُّ أَمْ حَرْبٌ ؟ فقالت : « أَقْسَمُ بِرَافِعِ السَّمَاءِ ، وَمُنْزِلِ الْمَاءِ مِنَ الْعَمَاءِ ^(٨) ، إِنَّهُ لَمُطِلُّ الدَّمَاءِ ^(٩) ، وَمُنْطَقُ الْعُقَاتِلِ نُطْقَ الْإِمَاءِ ^(١٠) » . فقال الملك : إلامَ يدعوا يا عفراء ؟ قالت : « إِلَى صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَصِلَةِ أَرْحَامٍ ، وَكَسْرِ أَصْنَامٍ ، وَتَعْطِيلِ أَزْلَامٍ ^(١١) ، وَاجْتِنَابِ

[١] أَصْنَافُ أَحْلَامٍ : رُؤْيَا لَا يَصِحُّ تَأْوِيلُهَا لِاخْتِلَافِهَا . [٢] الْأَعَاصِيرُ جَمْعُ إِعْصَارٍ وَهُوَ الرِّيحُ الَّتِي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أَوْ الَّتِي فِيهَا الْعَصَارُ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الْغَبَارُ الشَّدِيدُ .
[٣] الْجَرَسُ : الصَّوْتُ . [٤] الْمَشَارِعُ جَمْعُ مَشْرَعَةٍ وَهِيَ مُورِدُ الشَّارِبَةِ . [٥] جَارِعٌ فَاعِلٌ مِنْ جَرَعَ الْمَاءَ كَسَحَ وَمَنَعَ إِذَا بَلَغَهُ . [٦] كَارِعٌ فَاعِلٌ مِنْ كَرَعَ فِي الْمَاءِ كَسَحَ وَمَنَعَ تَنَاوَلَهُ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَهْرَبَ بِكَفِيهِ وَلَا بِأَمَاءٍ . [٧] التَّبَاجِعُ جَمْعُ تَبَعَ كَسَكَرَ : مَلُوكٌ الْيَمِينِ .
[٨] الْعَمَاءُ : السَّحَابُ الْكَثِيفُ . [٩] انْظُرْ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي خُطْبَتِهِ فِي حُجَّةِ الْوُدَّاعِ « وَإِنَّ دَمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ » . [١٠] الْعُقَاتِلُ : كِرَاثِمُ النِّسَاءِ جَمْعُ عُقِيلَةٍ ، وَالنُّطْقُ جَمْعُ نَطَاقٍ كَمَا فِي كِتَابِ النَّطَاقِ وَالْمُطَفَّةِ : مَا شَدَّ بِهِ الْمَرْأَةُ وَسَطَهَا لِلْمَهْنَةِ ، وَنَطَقَهَا تَنْطِيقًا : أَلْبَسَهَا النَّطَاقَ فَتَنْطَقَتْ وَاتَّطَقَتْ وَمَنْطَقَ النِّسَاءِ أَيْ بِسَبِيلِنِ فَيَشْدُونِ النَّطْقَ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لَخِدْمَةِ كَالْإِمَاءِ . [١١] الْأَزْلَامُ جَمْعُ زَلَمٍ كَسَبَ : قَدَّاحٌ كَلَّزَ الْعَرَبُ يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ (أَيْ يَطْلُبُونَ مَعْرِفَةَ مَا قَسَمَ لَهُمْ) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَصَدُوا فَلَا مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ سَفَرٍ أَجَلُوا ثَلَاثَةَ قَدَّاحٍ (الْقَدَّاحُ جَمْعُ قَدَحٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يَرِيشَ) وَكَانَتْ عِنْدَ أَصْنَافِهِمْ ، أَحَدُهُمَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : أَمْرٌ فِي رَبِّي ، وَالثَّانِي : نَهَانِي رَبِّي ، وَالثَّلَاثُ : غَفْلٌ ، فَإِنْ خَرَجَ الْأَوَّلُ مَضُوا فِي الْأَمْرِ ، أَوْ الثَّانِي أَحْبَبُوا عَنْهُ ، أَوْ الثَّلَاثُ أَجَلُوا ثَانِيَةً حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُ الْأَوَّلِينَ .

آثام « فقال الملك : يا عفراء ، إذا ذبح قومُهُ فمن أعضاده ^(١) ؟ قالت : أعضاده غَطَارِيفُ ^(٢) يَمَانُونَ ، طائرُهُم به مَيْمُون ، يُغْزِيهِم فيَغْزُونَ ، وَيُدَمِّتُ ^(٣) بِهِم الحُزُونَ ، وإلى نصره يَغْتَرُونَ ». فأطرق الملك يُؤامِرُ ^(٤) نفسه في خِطْبَتِهَا ، فقالت : « أيدت اللعن أيها الملك ! إن تابى غَيُور ، ولأمرى صَبُور ، وناكى مَثُور ، وَالكَالْفُ بى ثُبُور ^(٥) ». فنهض الملك وجال في صَهْوَةٍ ^(٦) جَوَادِهِ ، وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كَوْمَاء ^(٧) . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

[١] الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .
 [٢] الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . [٣] يسهل ، والحزون جمع حزن كشهس وهو ما غلط من الأرض . [٤] يشاور . [٥] الثبور : الهلاك . [٦] الصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه . [٧] الكوماء : الناقة المطيعة السنام .

انتهى الجزء الأول

ويليسه

الجزء الثانى وأوله : الباب الثالث فى خطب ووصايا

العصر الأموى

فهرس

الخطب الأولى

من جمهرة خطب العرب

الباب الأول

الخطب والوصايا في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم المصحة	رقم الخطبة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب	١	
مقال مرثد الخير	٢	١
مقال سبيع بن الحرث	٢	٢
مقال ميثم بن مثوب	٣	٣
مقال مرثد الخير	٤	٤
طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقال حمير	٥	٥
منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين	٦	٨
أشراف العرب بين يدي كسرى	١١	
مقال حذيفة بن بدر الفزاري	١٢	٧
مقال الأشعث السكندی	١٢	٨
مقال بسطام الشيباني	١٣	٩
مقال حاجب بن زرارة	١٣	١٠
مقال قيس بن عاصم السعدي	١٥	١١

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

وفود العرب على كسرى

١٥.

خطبة النعمان بن المنذر	١٢	١٦
» أكتم بن صيفي التميمي	١٣	٢١
» حاجب بن زرارة التميمي	١٤	٢٢
» خطبة الحارث بن عباد البكري	١٥	٢٣.
» عمرو بن الشريد السلمي	١٦	٢٤
» خالد بن جعفر الكلابي	١٧	٢٥
» علقمة بن علاثة العامري	١٨	٢٥
» قيس بن مسعود الشيباني	١٩	٢٦
» عامر بن الطفيل العامري	٢٠	٢٧
» عمرو بن معديكرت الزبيدي	٢١	٢٨
» الحارث بن ظالم المري	٢٢	٢٨

وفود العرب يعزون سلامة ذا فائش بابنه

٣٠

خطبة الملبب بن عوف	٢٣	٣٠
خطبة جعادة بن أفلح	٢٤	٣٠
تعزية أكتم بن صيفي لعمر بن هند عن أخيه	٢٥	٣١
خطبة عبد المطلب بن هاشم	٢٦	٣١
خطبة هاشم بن عبد مناف	٢٧	٣٢
خطبة كعب بن لؤي	٢٨	٣٣
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير	٢٩	٣٤
خطبة قس بن ساعدة الأيادي	٣٠	٣٥
خطبة المأمون الحارثي	٣١	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني	٣٢	٣٧

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة عمرو بن كلثوم	٣٣	٣٧
خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة	٣٤	٣٨
حديث بعض مقاول حمير مع ابنه	٣٥	٣٨
قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي	٣٦	٤٣
وصية أوس بن حارثة لابنه مالك	٣٧	٤٥
» ذى الاصبع العدواني لابنه أسيد	٣٨	٤٦
» أكرم بن صيفي لبنه ورهطه	٣٩	٤٦
نصيحة أكرم بن صيفي لقومه	٤٠	٤٧
وصية عمرو بن كلثوم لبنه	٤١	٤٨
وصية الحرث بن كعب لبنه	٤٢	٤٩

[تنبيه] بقية خطب العصر الجاهلي ستأتي بعد من صفحة ٢٧٢ إلى الآخر .

الباب الثاني

الخطب والوصايا في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

خطبته يوم فتح مكة

خطبة له عليه الصلاة والسلام

» » » »

» » » »

» » » »

خطبته بالخيف

خطبة له عليه الصلاة والسلام

٤٣	٥١
٤٤	٥٢
٤٥	٥٢
٤٦	٥٣
٤٧	٥٣
٤٨	٥٤
٤٩	٥٤
٥٠	٥٥

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
أول خطبة خطبها بالمدينة	٥١	٥٥
خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة	٥٢	٥٦
خطبته في حجة الوداع	٥٣	٥٧
خطبته في مرض موته	٥٤	٦٠
خطب يوم السقيفة		
خطبة سعد بن عباد	٥٥	٦١
خطبة أبي بكر رضى الله عنه	٥٦	٦٢
نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة	٥٧	٦٣
خطبة الحباب بن المنذر	٥٨	٦٤
» عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٥٩	٦٤
» أخرى للحباب بن المنذر	٦٠	٦٤
» بشير بن سعد	٦١	٦٥
خطب أبي بكر رضى الله عنه		
خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم	٦٢	٦٦
خطبته بعد البيعة	٦٣	٦٧
خطبة أخرى له بعد البيعة	٦٤	٦٧
» »	٦٥	٦٩
» له	٦٦	٧٠
» »	٦٧	٧١
» . » . »	٦٨	٧٢
خطبة له في ندب الناس لفتح الشام	٦٩	٧٣
خطبة له في الأنصار	٧٠	٧٣

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

وصاياه

وصيته لأسامة بن زيد	٧١	٧٤
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة	٧٢	٧٥
وصيته لخالد بن الوليد	٧٣	٧٥
وصيته ليزيد بن أبي سفيان	٧٤	٧٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها	٧٥	٧٧

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خطبته حين ولي الخلافة	٧٧	٧٩
خطبة أخرى	٧٨	٧٩
خطبة له	٧٩	٨٠
خطبة له	٨٠	٨٠
خطبة أخرى	٨١	٨١
خطبة له	٨٢	٨٢
خطبة له	٨٣	٨٣
خطبة له	٨٤	٨٥
خطبة له	٨٥	٨٦
خطبة له	٨٦	٨٦
خطبته عام الرمادة	٨٧	٨٧

ندب الناس لقتال فارس

خطبة المثني بن حارثة الشيباني	٨٨	٨٨
عمر رضي الله عنه	٨٩	٨٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص	٩٠	٨٩
خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على الصديق	٩١	٩٠
وصاياه		
وصيته للمجاهدين	٩٢	٩١
» لسعد بن أبي وقاص	٩٣	٩١
» لسعد بن أبي وقاص أيضاً	٩٤	٩٣
» أخرى كتبها لسعد بن أبي وقاص	٩٥	٩٣
» للخليفة من بعده	٩٦	٩٥
خطب يوم الشورى		
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٩٧	٩٧
» عثمان بن عفان	٩٨	٩٨
» الزبير بن العوام	٩٩	٩٨
» سعد بن أبي وقاص	١٠٠	٩٩
» علي بن أبي طالب	١٠١	٩٩
خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه		
خطبته حين بايعه أهل الشورى	١٠٢	١٠٠
خطبته بعد البيعة ..	١٠٣	١٠١
خطبة أخرى	١٠٤	١٠١
خطبته حين تقم عليه الناس	١٠٥	١٠٢
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة	١٠٦	١٠٢
خطبته في الرد على الثوار	١٠٧	١٠٣

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٠٤	١٠٨	خطبته وقد اشتد عليه الحصار
١٠٤	١٠٩	آخر خطبة خطبها عثمان

خطب الوفود

١٠٥	١١٠	خطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
١٠٦	١١١	خطبة ثابت بن قيس بن الشماس
١٠٦	١١٢	عمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
١٠٧	١١٣	خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي
١٠٨	١١٤	ردّه صلى الله عليه وسلم
١٠٩	١١٥	خطبة ظبيان بن حداد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

١١١	١١٦	خطبة هلال بن بشر
١١١	١١٧	» زيد بن جبلة
١١٢	١١٨	» الأحنف بن قيس
١١٢	١١٩	» الأحنف بن قيس

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس

١١٤	١٢٠	خطبة النعمان بن مقرن
١١٥	١٢١	» المغيرة بن زرارة
١١٦	١٢٢	مقال ربيع بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس
١١٧	١٢٣	خطبة المغيرة بن شعبه في حضرة رستم
١١٧	١٢٤	» خالد بن الوليد في وقعة اليرموك

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبله	١١٩	١٢٥
» سعيد بن العاص حين قدم الكوفة والياً عليها	١٢٠	١٢٦
الخنساء تحرّض أولادها على القتال	١٢٠	١٢٧
خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية	١٢١	١٢٨
» السيدة عائشة في الانتصار لأبيها	١٢٣	١٢٩
رثاؤها لأبيها	١٢٥	١٣٠
خطبتها حين أنبت بقتل عمان	١٢٦	١٣١

فتنة أصحاب الجمل

خطبة طلحة	١٢٧	١٣٢
» السيدة عائشة بالربد	١٢٧	١٣٣
» عدى بن حاتم يستنفر قومه لنصرة الإمام عليّ رضي الله عنه	١٢٨	١٣٤
» زفر بن زيد يستنفر قومه لنصرة الإمام عليّ رضي الله عنه	١٢٩	١٣٥
» سعيد بن عبيد الطائي	١٣٠	١٣٦
» أبي موسى الأشعري	١٣٠	١٣٧
» أخرى له	١٣١	١٣٨
» زيد بن صوحان	١٣٢	١٣٩
» القعقاع بن عمرو	١٣٢	١٤٠
» سيجان بن صوحان	١٣٣	١٤١
» الحسن بن عليّ رضي الله عنه	١٣٣	١٤٢
وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل	١٣٤	١٤٣
خطبة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه	١٣٦	١٤٤
» السيدة عائشة يوم الجمل	١٣٦	١٤٥
» زفر بن قيس	١٣٨	١٤٦

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة جرير بن عبد الله البجلي ١٤٧ ١٣٨

» زياد بن كعب ١٤٨ ١٣٩

» الأشعث بن قيس ١٤٩ ١٣٩

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

خطبة الإمام عليّ ١٥٠ ١٤٠

» هاشم بن عتبة ١٥١ ١٤٠

» عمار بن ياسر ١٥٢ ١٤١

» قيس بن سعد بن عبادة ١٥٣ ١٤١

» سهل بن حنيف ١٥٤ ١٤٣

» الإمام عليّ ١٥٥ ١٤٢

» الأشتر النخعي ١٥٦ ١٤٣

مقال من ثبطوه عن المسير ١٥٧ ١٤٤

رد الإمام عليهم ١٥٨ ١٤٤

خطبة عدى بن حاتم الطائي ١٥٩ ١٤٥

» زيد بن حصين الطائي ١٦٠ ١٤٦

» أبي زينب بن عوف ١٦١ ١٤٦

» يزيد بن قيس الأرحبي ١٦٢ ١٤٧

» زياد بن النضر ١٦٣ ١٤٧

» عبد الله بن بديل الخزاعي ١٦٤ ١٤٧

أدب الإمام عليّ كرم الله وجهه ١٦٥ ١٤٩

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

١٤٩ ١٦٦ مقال عمرو بن الحمق

١٥٠ ١٦٧ » حجر بن عدى

١٥٠ ١٦٨ » هاشم بن عتبة

١٥٢ ١٦٩ خطبة الامام على

١٥٣ ١٧٠ » الحسن بن على

١٥٣ ١٧١ » الحسين بن على

وفد على إلى معاوية

١٥٤ ١٧٢ خطبة بشير بن عمرو

١٥٥ ١٧٣ » شعث بن ربيع

١٥٥ ١٧٤ » معاوية

وفد على الى معاوية أيضا

١٥٦ ١٧٥ خطبة عدى بن حاتم

١٥٦ ١٧٦ جواب معاوية

١٥٧ ١٧٧ خطبة يزيد بن قيس

١٥٧ ١٧٨ » معاوية

وفد معاوية الى على

١٦٠ ١٧٩ خطبة حبيب بن مسلمة

١٦١ ١٨٠ » على بن أبى طالب

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٦٢ ١٨١ خطبة عمرو بن العاص

١٦٣ ١٨٢ » أخرى لعمر بن العاص

١٦٣ ١٨٣ » معاوية بن أبى سفيان يحرض أهل الشام

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة ذى الكلاع الحميرى	١٨٤	١٦٤
» يزيد بن أسد البجلي	١٨٥	١٦٧
التحريض على القتال من قبل الامام على		
خطبة الامام على	١٨٦	١٦٩
» أخرى له	١٨٧	١٧٠
من كلام له كرم الله وجهه كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين	١٨٨	١٧١
خطبة أخرى للامام	١٨٩	١٧٢
» للامام على	١٩٠	١٧٣
» أخرى له	١٩١	١٧٤
» عبد الله بن عباس	١٩٢	١٧٤
» عبد الله بن بديل الخزاعى	١٩٣	١٧٦
» أبى الهيثم بن التيهان	١٩٤	١٧٦
» للامام على	١٩٥	١٧٧
» سعيد بن قيس	١٩٦	١٧٨
» يزيد بن قيس الأرحبى	١٩٧	١٧٩
» هاشم بن عتبة المرفال	١٩٨	١٨٠
» عمار بن ياسر	١٩٩	١٨١
» الأشتر النخعى	٢٠٠	١٨٢
» الأشتر فى المنهزمين من الميمنة	٢٠١	١٨٣
» أخرى له فيهم	٢٠٢	١٨٤
» على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم	٢٠٣	١٨٥
» خطبة خالد بن معمر	٢٠٤	١٨٦
» عقبة بن حديد التمرى	٢٠٥	١٨٨

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٨٧	٢٠٦	خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد
١٨٨	٢٠٧	تحريض معاوية أيضاً
١٨٩	٢٠٨	ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين
١٩٠	٢٠٩	جواب قيس بن سعد
١٩١		خطب الشيعة في وقعة صفين
١٩١	٢١٠	خطبة عكرشة بنت الأطرش
١٩٣	٢١١	» أم الخير بنت الحريش
١٩٦	٢١٢	» الزرقاء بنت عدى الهمدانية
١٩٨		اختلاف أهل العراق في الموادعة
١٩٨	٢١٣	خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه
١٩٩	٢١٤	» كردوس بن هاني
١٩٩	٢١٥	» سفيان بن ثور
١٩٩	٢١٦	» حريث بن جابر
٢٠٠	٢١٧	» خالد بن معمر
٢٠٠	٢١٨	» الحصين بن المنذر
٢٠٠	٢١٩	» عثمان بن حنيف
٢٠٢	٢٢٠	» عدى بن حاتم
٢٠٣	٢٢١	» عبد الله بن حجل
٢٠٣	٢٢٢	» صعصعة بن صوحان
٢٠٤	٢٢٣	» للنذر بن جارود
٢٠٤	٢٢٤	» الأحنف بن قيس
٢٠٥	٢٢٥	» عمير بن عطار
٢٠٥	٢٢٦	» عليّ بن أبي طالب

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢٠٥	٢٢٧	مقال عدى بن حاتم
٢٠٦	٢٢٨	» الأشر النخعي
٢٠٦	٢٢٩	» عمرو بن الحق
٢٠٦	٢٣٠	» الأشعث بن قيس
٢٠٧	٢٣١	» عبد الرحمن بن الحارث
٢٠٧	٢٣٢	» عمار بن ياسر

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٠٨	٢٣٣	كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري
٢٠٩	٢٣٤	وصية شريح بن هاني » » »
٢١٠	٢٣٥	» الأحنف بن قيس » » »
٢١١	٢٣٦	» معاوية لعمر بن العاص
٢١٢	٢٣٧	رد عمرو بن العاص عليه
٢١٢	٢٣٨	مقال شرحبيل بن السمط لعمر
٢١٢	٢٣٩	خطبة أبي موسى الأشعري
٢١٢	٢٤٠	» عمرو بن العاص
٢١٣	٢٤١	» الإمام بعد التحكيم
٢١٤	٢٤٢	» الحسن بن عليّ
٢١٤	٢٤٣	» عبد الله بن عباس
٢١٥	٢٤٤	» عبد الله بن جعفر

فتنة الخوارج

٢١٥	٢٤٥	مناظرة ابن عباس لهم
٢١٧	٢٤٦	» الإمام لهم

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢١٨	٢٤٧	صورة أخرى
٢٢١	٢٤٨	مناظرة ابن عباس لهم
٢٢٢	٢٤٩	خطبة يزيد بن عاصم المحاربي
٢٢٣	٢٥٠	» عبد الله بن وهب الراسبي
٢٢٤	٢٥١	» حرقوص بن زهير السعدي
٢٢٤	٢٥٢	» حمزة بن سنان الأسدي
٢٢٤	٢٥٣	» شريح بن أوفى العبسي
٢٢٥	٢٥٤	مقال زيد بن حصين الطائي
٢٢٦	٢٥٥	خطبة الإمام في تخويف أهل النهروان
٢٢٨	٢٥٦	صورة أخرى
٢٢٩	٢٥٧	خطبة المستورد بن علفة
خور أصحاب الإمام وتقاعسهم عنه		
٢٣٠	٢٥٨	خطبة ابن عباس في أهل البصرة
٢٣١	٢٥٩	» الامام وقد أراد الانصراف من النهروان
٢٣١	٢٦٠	مقال الأشعث بن قيس
٢٣٢	٢٦١	خطبة الامام يستنفر لقتال معاوية
٢٣٣	٢٦٢	» » » » »
٢٣٤	٢٦٣	صورة أخرى
٢٣٦	٢٦٤	خطبة أبي أيوب الأنصاري
٢٣٦	٢٦٥	» الامام وقد أعار النعمان بن بشير على عين التمر
٢٣٧	٢٦٦	صورة أخرى
	٢٦٧	خطبة الإمام وقد أعار الضحاك على الحيرة
٢٨٩		» » وقد أغار سفيان بن عوف على الانبار

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة للحسن بن عليّ في يوم الجمعة	٢٦٩	٢٤٣
» معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر	٢٧٠	٢٤٣
فتنة البصرة		٢٤٤
تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله		٢٤٤
خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي	٢٧١	٢٤٤
» الضحاك بن عبد الله الهلالي	٢٧٢	٢٤٥
» عبد الرحمن بن عمير القرشي	٢٧٣	٢٤٦
» زياد بن أبيه	٢٧٤	٢٤٧
» شيان الأزدي	٢٧٥	٢٤٧
» صبرة بن شيان	٢٧٦	٢٤٧
» الامام عليّ	٢٧٧	٢٤٨
» أعين بن ضبيعة	٢٧٨	٢٤٩
» جارية بن قدامة	٢٧٩	٢٥٠
» زياد	٢٨٠	٢٥٠
» أبي صبرة شيان	٢٨١	٢٥١
» صبرة بن شيان	٢٨٢	٢٥١
» خنفر الحناني	٢٨٣	٢٥٢
صعصعة بن صوحان ومعاوية	٢٨٤	٢٥٣
خطبة عبد الله بن مسعود	٢٨٥	٢٥٧
وصية دريد بن الصمة	٢٨٦	٢٥٨
» عمير بن حبيب الصحابي لبنيه	٢٨٧	٢٥٩
» قيس بن طاصم المنقري لبنيه	٢٨٨	٢٥٩
» العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله	٢٨٩	٢٦٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أكتثم بن صيفي يدعو قومه إلى الاسلام	٢٩٠	٢٦٠
وصية أبي طالب لوجه قريش عند موته	٢٩١	٢٦٢
خطبة مالك بن نمط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٢	٢٦٣
سفانة بنت حاتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٣	٢٦٤
خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء	٢٩٤	٢٦٥
أبوزيد الطائي يصف الأسد	٢٩٥	٢٦٦
تمة في الحكم	٢٩٦	٢٦٩
<hr/>		
بقية العصر الجاهلي		
خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة	٢٩٧	٢٧٢
منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية	٢٩٨	٢٧٣
مقال قيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر	٢٩٩	٢٧٤
رد امرئ القيس عليه	٣٠٠	٢٧٥
بين مهلهل بن ربيعة ، ومرة بن ذهل الشيباني	٣٠١	٢٧٦
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي	٣٠٢	٢٧٨
قيس بن رفاعه والحارث بن أبي ثمر النساني	٣٠٣	٢٨٢
قس بن ساعدة عند قيصر	٣٠٤	٢٨٣
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي	٣٠٥	٢٨٣
إحدى ملكات اليمن وحاطبوها	٣٠٦	٢٨٥
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته	٣٠٧	٢٨٦
وصية عامر بن الظرب العدواني	٣٠٨	٢٨٧
» دويد بن زيد لبنيه	٣٠٩	٢٨٨
» زهير بن جناب الكلبي	٣١٠	٢٨٩
» النعمان بن ثواب العبدي لبنيه	٣١١	٢٩٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط	٣١٢	٢٩١
نصيحة الجمانه بنت قيس بن زهير لجدّها الرّبيع بن زياد	٣١٣	٢٩٢
وصية حصن بن حذيفة لبنيه	٣١٤	٢٩٣
وصف عصام الكنديّة أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني	٣١٥	٢٩٤
وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس	٣١٦	٢٩٦
ليد بن ربيعة يصف بقلة	٣١٧	٢٩٧
مخالس بن مزاحم ، وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر	٣١٨	٢٩٨
ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر	٣١٩	٣٠٠
وصية لأكثم بن صيفي	٣٢٠	٣٠١
» أكثم بن صيفي لطبي	٣٢١	٣٠٥
أمثال أكثم بن صيفي وبزر جهر الفارسي	٣٢٢	٣٠٦
كلمات هند بنت الحس الايادية	٣٢٣	٣١٢

خطب الكهان

الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس	٣٢٤	٣١٦
عوف بن ربيعة الأسدى يتكهن بمقتل حجر بن الحارث	٣٢٥	٣١٧
كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم	٣٢٦	٣١٨
أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة	٣٢٧	٣١٩
خمسة نفر من طبيّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي	٣٢٨	٣٢٠
حديث مصاد بن مذعور القيني	٣٢٩	٣٢٤
» خنافر بن التوهم الحميري مع رثيه شصار	٣٣٠	٣٢٦
شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم	٣٣١	٣٢٨
سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي	٣٣٢	٣٢٩
شق أعمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً	٣٣٣	٣٣١

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطيج	٣٣٤	٣٣٢
شق وسطيج ينبئان بأصل ثقيف	٣٣٥	٣٣٥
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيفين إلى عزي سلمة الكاهن	٣٣٦	٣٣٦
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم	٣٣٧	٣٣٨
خطب الكواهرن		
الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة	٣٣٨	٣٣٩
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم ، وخراب سد مأرب	٣٣٩	٣٤٢
حديث زبراء الكاهنة مع بى رثام	٣٤٠	٣٤٧
كاهنة ذى الخلصة تتكهن بما فى بطن رقية بنت جشم	٣٤١	٣٤٩
رأى سلمى الهمدانية فى حريم المرادى	٣٤٢	٣٥٠
تنافر المعجفاء بنت علقمة وصواجاتها إلى الكاهنة السعدية	٣٤٣	٣٥٠
عقيراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال	٣٤٤	٣٥٢



فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إنباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

امرؤ القيس ٢٧٥	- ا -
أوس بن حارثة ٤٥	أبو أيوب الأنصاري ص ٢٣٦
- ب -	أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٦٢ - ٦٣ -
بسطام الشيباني ١٢	٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -
بشير بن سعد ٦٥	٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٢٦٩
بشير بن عمرو ١٥٤	أبو زيد الطائي ٢٦٦
- ث -	أبو زينب بن عوف ١٤٦
ثابت بن قيس بن الشماس ١٠٦	أوطالب بن عبد المطلب ٣٨ - ٢٦٢
- ج -	أبو موسى الأشعري ١٣٠ - ١٣١ - ٢١٢
جارية بن قلانة ٢٥٠	أبو الهيثم بن التيهان ١٧٦
جرير بن عبد الله البجلي ١٣٨	الأحنف بن قيس ١١٢ - ٢٠٤ - ٢١٠
جماعة بن أفلح ٣٠	الأشتر النخعي ١٤٣ - ١٨٢ - ١٨٣ -
الجمانة بنت قيس ٢٩٢	١٨٤ - ٢٠٦
- ح -	الأشعث بن قيس الكندي ١٢ - ١٣٩ -
حاجب بن زرارة ١٣ - ٢٢	٢٠٦ - ٢٣١
الحارث بن ذبيان ٥	أعين بن ضبيعة ٢٤٩
الحارث بن ظالم المزني ٢٨	أكثم بن صيفي ٢١ - ٣١ - ٤٦ - ٤٧ -
الحارث بن عباد ٢٣	٢٦٠ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١١
الحارث بن كعب ٤٩	أميمة بنت الحارث ٢٩٦
	أم الخير بنت الحريش ١٩٣

- ذ -

ذو الأصبع المدواني ٤٦

ذو الكلاع الحميري ١٦٤

- ر -

ربيع بن عامر ١١٦

- ز -

زبراء الكاهنة ٣٤٧

الزبير بن العوام ٩٨

الزرقاء بنت عدى ١٩٧

زفر بن قيس ١٣٨ - ١٢٩

زهير بن جناب الكلبي ٢٨٩

زياد بن أبيه ٢٥٠ - ٢٤٧

زياد بن كعب ١٣٩

زياد بن النضر ١٤٧

زيد بن جبلة ١١١

زيد بن حصين الطائي ٢٢٥ - ١٤٦

زيد بن صوحان ١٣٢

- س -

سبيع بن الحارث ٢

سطيح الذئبي ٣٣٥ - ٣٣٢ - ٣٢٩

سعد بن أبي وقاص ٩٩

سعد بن عبادة ٦١

سعيد بن العاص ١٢٠

الحباب بن المنذر ٦٤

حبيب بن مسلمة ١٦٠

حجر بن عدى ١٥٠

حذيفة بن بدر الفزاري ١٢

حرقوص بن زهير ٢٢٤

حويث بن جابر ١٩٩

الحسن بن علي ١٣٣ - ١٥٣ - ٢١٤ - ٢٤٣

الحسين بن علي ١٥٣

حصن بن حذيفة ٢٩٢

الحصين بن المنذر ٢٠٠

حمزة بن سنان ١٢٤

حممة بن رافع اللوسي ٣٤

- خ -

خالد بن جعفر الكلبي ٢٥

خالد بن معمر ٢٠٠ - ١٨٦

خالد بن الوليد ١١٧

خنثر بن عبيدة ١٨٧

الخنساء ١٢٠

خنفر الحامي ٢٥٢

د

دريد بن الصمة ٢٥٨

دويد بن زيد ٢٨٨

- ط -

- طريف بن العاصي ٥
طريفة الكاهنة ٣٤٢
طلحة بن عبيد الله ١٢٧
طهفة بن أبي زهير النهدي ١٠٧

- ظ -

- ظبيان بن حداد ١٠٩

- ع -

- عائشة رضي الله عنها ١٢٣ - ١٢٥ -
١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٦
عامر بن جوين ٢٧٨
عامر بن الطفيل ٨ - ٢٧
عامر بن الظرب ٢٨٦ - ٢٨٧
عبد الرحمن بن الحارث ٢٠٧
عبد الرحمن بن عمير ٢٤٦
عبد الرحمن بن عوف ٩٧
عبد الله بن بديل بن ورقاء ١٤٨ - ١٧٦
عبد الله بن جعفر ٢١٥
عبد الله بن حبل ٢٠٣
عبد الله بن الزبير ١٢١
عبد الله بن عامر الحضرمي ٢٤٤
عبد الله بن عباس ١٧٤ - ٢٠٨ -
٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢١ - ٢٣٠ - ٢٧١

سعيد بن عبيد الطائي ١٣٠

سفانة بنت حاتم ٢٦٤

سفيان بن ثور ١٩٩

سلمى الهمدانية ٣٥٠

سهل بن حنيف ١٤٢

سواد بن قارب ٣٢١

سيحان بن صوحان ١٣٣

- ش -

شافع بن كليب الصديقي ٣٢٨

شيث بن ربيعي ١٥٥

شرحبيل بن السمط ٢١٢

شريح بن أوفى ٢٢٤

شريح بن هاني ٢٠٩

الشعثاء الكاهنة ٣٣٩

شق أنمار ٣٣١ - ٣٣٥

شيان الأزدي ٢٤٧ - ٢٥١

- ص -

صبرة بن شيان ٢٤٧ - ٢٥١

صعصة بن صوحان ٢٠٣ - ٢٥٣

- ض -

الضحاك بن عبد الله الهلالي ٢٤٥

ضمرة بن ضمرة ٣٠٠

٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -	٢٧٢ - ٢٥٧	عبد الله بن مسعود
٢٢٩ - ٢٤٩	٢٢٣	عبد الله بن وهب
٢٠٧ - ١٨١ - ١٤١	٣٣٨ - ٣١	عبد المطلب بن هاشم
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٦٤ - ٧٩ -	١١٩	عتبة بن غزوان
٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٦ -	٢٠٠	عثمان بن حنيف
٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ -	١٠٠ - ٩٨	عثمان بن عفان رضى الله عنه
٩٣ - ٩٥ - ٢٧٠	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ٢٧١	عجفاء بنت علقمة
عمر بن الأهم ١٠٦	٣٥٠	عدي بن حاتم
عمر بن الحرق ١٤٩ - ٢٠٦	١٢٨ - ١٤٥ - ١٥٦ - ٢٠٢ - ٢٠٥	عري سلمة
عمر بن الشريد ٢٤	٣٣٦	عصام الكندية
عمر بن العاص ١٦٢ - ١٦٣ - ٢١١ - ٢١٢	٢٩٤	عطارد بن حاجب بن زارة ١٠٥
عمر بن كلثوم ٣٧ - ٤٨	٣٥٢	غفراء الكاهنة
عمر بن معد يكرب الزيدى ٢٨	١٨٧	عقبة بن حديد النمرى
عمير بن حبيب ٢٥٩	١٩١	عكرشة بنت الأطرش
عمير بن عطارد ٢٠٥	٢٥ - ٨	علقمة بن علاثة
عوف بن ربيعة الأسدى ٣١٧		على بن أبى طالب كرم الله وجهه
— ق —	٩٩ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ -	
فاصر بن مسلمة ٢٩٨	١٤٩ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ -	
قبيصة بن نعيم ٢٧٤	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ -	
قس بن ساعدة ٣٥ - ٢٨٣	١٨٥ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -	
القعقاع بن عمرو ١٣٢ - ١٣٤	٢١٨ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٣٢ -	
قيس بن خفاف البرجى ٤٣		
قيس بن رفاعة ٢٨٢		

مصاد بن مذعور القيني ٣٢٤
 معاوية بن أبي سفيان ١٥٥ - ١٥٦ -
 ١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٨ - ٢١١ - ٢٤٣
 المغيرة بن زرار ١١٥
 المغيرة بن شعبة ١١٧
 الملبب بن عوف ٣٠
 المنذر بن الجارود ٢٠٤
 ميثم بن مشوب ٣
 - ن -
 النعمان بن بشير ١٨٩
 النعمان بن ثواب العبدى ٢٩٠
 النعمان بن مقرن ١١٤
 النعمان بن المنذر ١٦ - ٢٧٨
 نقيل بن عبد العزى ٢٧٣
 - ه -
 هاشم بن عبد مناف ٣٢ - ٢٧٢
 هاشم بن عتبة ١٤٠ - ١٥٠ - ١٨٠
 هاني بن قبيصة الشيباني ٣٧
 هلال بن بشر ١١١
 هند بنت الحس الإيادية ٣١٢
 - ي -
 يزيد بن أسد البجلي ١٦٧
 يزيد بن عاصم الحارثي ٢٢٢٠
 يزيد بن قيس ١٤٧ - ١٥٧ - ١٧٩

تم فهرس أعلام الخطباء

تميس بن زهير ٢٩١
 قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ - ١٩٠
 قيس بن عاصم السعدى ١٤
 قيس بن عاصم المنقرى ٢٥٩
 قيس بن مسعود الشيباني ٢٦
 - ل -
 كاهن بنى الحارث بن كعب ٣١٨
 كاهنة ذى الخلصة ٣٤٩
 الكاهن الخزاعي ٣١٦
 الكاهن البيني ٣١٩
 كردوس بن هاني ١٩٩
 كعب بن لؤى ٣٣
 - ل -
 لبيد بن ربيعة ٢٩٧
 - م -
 المأمون الحارثي ٣٦
 مالك بن النبط ٢٦٣
 المثني بن حارثة الشيباني ٨٨
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -
 ٥٦ - ٦٧ - ٦٠ - ١٠٨ - ٢٦٥
 مخالس بن مزاحم ٢٩٨
 مرة بن ذهل ٢٧٦
 مرثد الخير ٥٤ - ٥٢
 المستورد بن علفة ٢٢٩

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
الرَّحَاب	الرَّحَاب	٧	٨
نَكْدٍ	نَكْدٍ	٩	١٢
رَجَالُهَا	رَجَالُهَا	١٢	٩
لَغِيَاث	لَغِيَاث	١٢	١٦
تُنَازِع	تُنَازِع	١٦	٦
أُمَّة	أُمَّة	١٦	٨
وَجَنَّتْهُمْ ، وَعَدَتْهُمْ	وَجَنَّتْهُمْ ، وَعَدَتْهُمْ	١٦	١٣
وَأَصُولُهَا	وَأَصُولُهَا	١٦	١٨
الزَّاقَةُ الْمُسْنَةُ	الزَّاقَةُ : الْمُسْنَةُ	١٧	١
تَخْفَرُ	تَخْفَرُ	١٨	٣
كُلُّ	كُلُّ	٢٠	١١
شَرٌّ	شَرٌّ	٢٢	٢
وَأَتْرَكَ	وَأَتْرَكَ	٢٤	٦
وَيَسْتَطَابُ	وَيَسْتَطَابُ	٢٤	١٦
يَعْرِضُ	يَعْرِضُ	٢٧	٥
تَفْجَأُ	تَفْجَأُ	٣٠	١٠
الْحَرِيصُ	الْحَرِيصُ	٣٤	١١
الْأَيْزُ	الْأَيْزُ	٣٧	١

صفحة	سطر	الخطأ	المصواب
٣٧	٣	الناثرة	الناثرة
٥٠	٨	الدعة	الرعة (١)
٥٥	٣	الضعيف	الضعف
٦٨	٩	امتعتتم	استطعتم
٨٧	٩	اتقصه	اتقصه
٩٤	٩	الطلائع	الطلائع
١٥٠	٨	وأهلها	وأهلها
١٥٠	١٠	وأزمتنا	وأزمتنا
١٥٠	١٢	اكل	اكل
١٨٠	٩	عقبة	عتبة
١٩٧	١	حتم	حتم
١٩٨	٦	أعجب	أعجب
٢٠٤	١	فأسر	فأسر
٢٤٠	٢	على	على
٢٦٧	١٦	الغلل : العطش أوشدته الخ	الغلل : الماء الذى يجرى بين الشجر

[١] يقال : هو حسن الرعة والتورع ، أى حسن الطريقة .

